التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية
٧٨

Yanabee'a
ينابيع

مَجلّةٌ ثقافيّةٌ تُعنى بنشرِ فكرِ أهلِ البيتِ عليهم السلام/ السّنة ١٤/ العدد ٧٨ ربيع الأول- ربيع الثاني ١٤٣٩هـ/ تشرين الثاني- كانون الأول/ ٢٠١٧ م

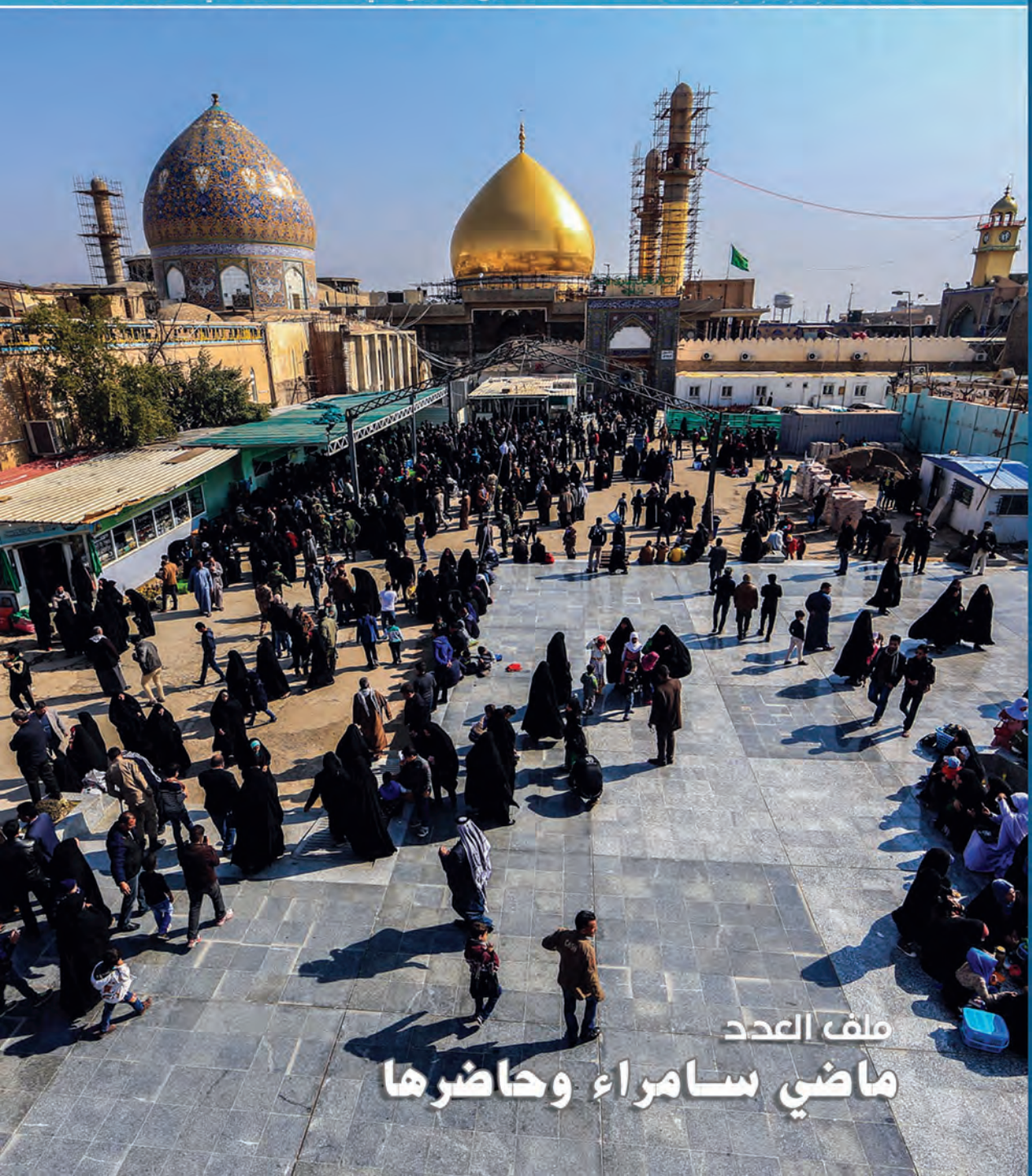

ملف العدد
ماضي سامراء وحاضرها

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أنُشرت أم لم تنشر.

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام
تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) **موبايل:** ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.
قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

قصيدة في مدح نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله يا سيد السادات

محمد بن أحمد الأبشيهي

يا سيد السادات جئتك قاصداً ... أرجو رضاك وأحتمي بحماكا

والله يا خير الخلائق إن لي ... قلباً مشوقاً لا يروم سواكا

ووحق جاهك إنني بك مغرم ... والله يعلم أنني أهواكا

أنت الذي لولاك ما خُلق امرؤ ... كلا ولا خُلق الورى لولاكا

أنت الذي من نورك البحر اكتسى ... والشمس مشرقة بنور بهاكا

أنت الذي لما رُفعت إلى السما ... بك قد سمت وتزينت لسراكا

أنت الذي ناداك ربك مرحباً ... ولقد دعاك لقربه وحباكا

أنت الذي فينا سألت شفاعة ... ناداك ربك لم تكن لسواكا

أنت الذي لما توسل آدم ... من ذنبه بك فاز وهو أباكا

وبك الخليل دعا فعادت ناره ... برداً وقد خمدت بنور سناكا

ودعـــــاك أيـــــوب لـضـــر مسه ... فـأزيـل عـنـه الـضـر حـيـن دعـاكـا
وبـك المسيح أتـى بشيراً مخبراً ... بصفات حسنك مـادحـاً لعلاكا
وكـــذاك مـوسـى لـم يـزل متوسلاً ... بـك فـي الـقـيـامـة مـرتـج لنداكا
والأنـبـيـاء وكـل خلق فـي الـورى ... والـرسـل والأمـــلاك تحت لواكا
لك معجزات أعجزت كل الـورى ... وفـضـائـل جـلـت فليس تحاكى
نـطـق الـــذراع بسمة لـك معلناً ... والـضـب قـد لـبـاك حـيـن أتـاكـا
والـذئـب جـاءك والـغـزالـة قـد أتت ... بـك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش أتت إليك وسلمت ... وشـكـا البعير إلـيـك حين رآكـا

* * * * * * * * * * * * * * *

ودعـــوت أشـجـاراً أتـتـك مطيعة ... وسـعـت إلـيـك مجيبة لـنـداكـا
والـمـاء فـاض براحتيك وسبحت ... صـم الحصى بالفضل فـي يمناكا
وعليك ظللت الغمامة في الـورى ... والـجـذع حـن إلـى كـريـم لقاكا
وكـذاك لا أثـر لمشيك فـي الثرى ... والـصـخـر قـد غـاصـت بـه قدماكا
وشفيت ذا العاهات مـن أمراضه ... ومـلأت كـل الأرض مـن جدواكا
وعـلـي مـن رمـد بـه داويـتـه ... فـي خيبر فشفي بطيب لماكا
وسألت ربـك في ابـن جابر بعدما ... قـد مـات أخـيـاه وقـد أرضـاكـا

* * * * * * * * * * * * * * *

ومـسـست شـاة لأم معبد بعدما ... نشفت فـدرت مـن شـفـا رقياكا
ودعـوت عـام المحل ربـك معلناً ... فانهل قطر السحب عند دعاكا
ودعـوت كل الخلق فانقادوا إلى ... دعـــواك طـوعـاً سامعين نـداكـا
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى ... ورفـعـت دينـك فـاسـتـقـام هناكا
أعـداك عـادوا في القليب بجهلهم ... صرعى وقد حرموا الرضا بجفاكا
فـي يـوم بـدر قـد أتـتـك ملائك ... مـن عـنـد ربـك قـاتـلـت أعـداكـا

والـفـتـح جـاءك يـوم فتحك مكة ... والنصر في الأحـزاب قـد وافاكا
هـود ويـونـس مـن بـهـاك تجملا ... وجـمـال يوسف مـن ضياء سناكا

* * * * * * * * * * * * * * *

قـد فـقـت يـا طـه جميع الأنبيا ... نـوراً فـسـبـحـان الـذي سـواكـا
والـلـه يـا ياسين مثلك لـم يكن ... فـي الـعـالـمـيـن وحـق مـن نباكا
عـن وصـفـك الـشـعـراء يـا مدثر ... عـجـزوا وكـلـوا عـن صفات علاكا
إنجيل عيسى قـد أتـى بـك مخبراً ... وأتـى الـكـتـاب لنا بـمـدح حلاكا
مـاذا يقول الـمـادحـون ومـا عسى ... أن يجمع الـكـتـاب مـن معناكا
والـلـه لـو أن الـبـحـار مـدادهـم ... والـعـشـب أقـلام جـعـلـن لـذاكـا
لـم تـقـدر الـثـقـلان تـجـمـع ذرة ... أبـداً ومـا اسـتـطـاعـوا لـه إدراكـا
لـي فـيـك قـلـب مـغـرم يـا سيدي ... وحـشـاشـة مـحـشـوة بـهـواكـا
فـإذا سـكـت ففيك صمتي كله ... وإذا نـطـقـت فـمـادح علياكا

* * * * * * * * * * * * * * *

وإذا سمعت فعنك قـولاً طيباً ... وإذا نـظـرت فـلا أرى إلاكـا
يـا مالكي كـن شافعي مـن فاقتي ... إنـي فـقـيـر فـي الـورى لغناكا
يـا أكـرم الثقلين يـا كنز الـورى ... جد لي بجودك وارضـني برضاكا
ولأنـت أكـرم شـافـع ومشفع ... ومـن التجأ لحماك نـال وفاكا
فاجعل قـراي شفاعة لـي فـي غد ... فعسى أرى في الحشر تحت لواكا
صلى عليك الـلـه يـا خير الـورى ... مـا حـن مـشـتـاق إلـى مـثـواكـا

(المستطرف في كل فن مستظرف/ الإبشيهي/ ج١ ص٣٧٥)

أهم المواضيع

جمع القرآن الكريم وتدوينه ١٠

تاريخ مدينة سامراء ٣٩

الترهيب الحسي في البرزخ ٢٦

أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام ٦٦

الإمام السجاد عليه السلام ودوره في إصلاح المجتمع ٧٢

المناهج التربوية في الاسلام ٨٧

كلمة العدد

النصر .. وما بعده

رئيس التحرير ٨

قرآنيات

جمع القرآن الكريم وتدوينه

أ.م.د عادل عباس النصراوي ١٠

التحديد القرآني لقياس الزمن

د. فيصل علي البصام ١٤

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

أحمد جاسم النجفي ٢٠

آمن الرسول

الترغيب الحسّي في حياة البرزخ

محسن عبد العظيم هادي الخاقاني ٢٦

الخوف والرجاء ودورهما في استقامة المؤمن

الشيخ حسن العيساوي ٣٢

ملف العدد (مدينة سامراء)

تأريخ مدينة سامراء

المحامي أحمد المالكي..... ٣٨

قراءة في كتاب (مآثر الكُبراء في تاريخ سامراء)

سكرتير التحرير ٤٤

نظام الوكالة في عهد الإمام الهادي عليه السلام

د. علي عبد الزهرة الفحام ٥٠

مراحل إعمار المرقد الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام

الباحث حامد شاكر منيب ٦٠

إضاءات السيرة

أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام

بقلم سكينة الربيعي..... ٦٦

الإمام السجاد عليه السلام ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي

لينا أمير عبد الحسين ٧٢

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٧٨

في النفس والمجتمع

المناهج التربوية في الإسلام

محمد دعيبل..... ٧٢

العقوبات القرآنية للزوجة

أ.م.د محمد كاظم الفتلاوي ٨٨

قراءات

القراءات القرآنية المنسوبة إلى الإمام الصادق

د. عصام كاظم الغالبي ١٠٠

للفضيلة نجومها

شريف العلماء .. سيرته وآثاره العلمية

د. سلمان هادي آل طعمه ١٠٤

الشريف المرتضى .. مكانته .. علمه .. آثاره

أ.د. الشيخ صاحب محمد حسين نصار..... ١١٠

نجيب بني أمية .. خالد بن سعيد بن العاص

محمد علي جعفر ١١٦

طروحات عامة

المقاومة البكتيرية ضد أدوية المضادات

د. عبد الوهاب رزاق ١٢٢

ظلامة أئمة بقيع الغرقد عليهم السلام

د. حسن عبد المجيد الشاعر ١٢٨

ما ذا بعد شهري الأحزان

حسن جميل الربيعي ١٣٤

واحة الأدب

تداعيات المتلقي من بيان كلام الإمام الحسين عليه السلام

م.م فرقان الدباغ ١٤٠

حكاية مستبصر..... ٩٢

في الذاكرة..... ٩٤

وقفة مع الذكرى:..... ٩٨

كلمة العدد

ما بعد النصر

بقلم رئيس التحرير

لم يكن النصر الذي تحقّقَ في حروبنا ضد الدواعش وليدَ صدفة، وما كان المخَطِّطون والخوّاضون لمعاركها الأسطورية، وملاحمها البطوليّة، في عشواءَ مِنْ أمْرهم ساعةَ هَبُّوا لتلبية داعي ا لدفاع عن الأنفس والأعراض والمقدسات.

فبعدما جَنَّدَ أعداءُ الإسلام ما جندوه من طاقاتهم، وسخَّروا ما سخَّروه من جهودهم، وبذلوا ما بذلوه من مليارات أموالهم، جامعين كلَّ شذاذ الآفاق والمجرمين والمرتزقة من شتّى بقاع المعمورة، مغدقين عليهم من الأموال أكثرَها، ومن الأسلحة أحدثَها، ومن التدريب أفضلَه، بعد أن قاموا بعمليات غسيل لأدمغتهم وأقنعوهم بأن عملهم هذا جهادٌ في سبيل الله، وسهلوا لهم الوصول إلى بلدنا عبر حدود دول نعرفها جميعًا. وكانوا قد مهدوا لهم حواضن في الداخل لإيوائهم ودعمهم لوجستيًا وصاروا لهم أدلاء وأعوان لتعريفهم بطرق الحركة في أماكن لم يدخلوها من قبل .. ثم شغّلوا مكائنهم الإعلامية المحترفة لدعم مشروعهم الشيطاني وتسميتهم بالثوار ثم بدولة الخلافة،... وبعد اللّتيّا والّتي، هبَّ أهل العراق- أعزَّهُمُ الله - هَبَّةَ رجلٍ واحد، جعلتْ من أضغاثِ أحلامهم هشيماً تذروه الرياح.

لقد تظافرت جهود دول كبرى وصغرى بكامل قوتها لدعم هذا العدوان الغاشم على شعبنا وبلدنا بهدف تفكيكه وتمزيقه واستعباد شعبه ونهب خيراته، وذلك بدق الأسافين بين أبنائه على أسس عرقية وطائفية وقومية.

وكانت مرجعيتنا الدينية لهؤلاء بالمرصاد، بما تمتلكه من إحاطة تامة بخفيِّ مؤامراتهم المدبرة بليل، ومن وعي في أنجع الأساليب لمواجهتها، فبعدما استنفدت وسعها لتجنيب البلاد ويلات الحرب، كان لابدَّ مما ليس منه بُدٌّ، لتأتي فتوى الدفاع الكفائي ضد الدواعش، هذه الفتوى التي قلبت الموازين على عقب وغيرت مجريات الأحداث وجعلت من المُدافع المخذول مهاجماً منتصراً بإذن الله تعالى، محيلةً اندفاعَ الغزاة وتهورَهم الهمجيَّ إلى تقهقر وتراجع وهزائمَ (...**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**...)(الحشر:٢)

وهكذا أعلنَ النصر تتويجاً لاستجابة الجماهير المؤمنة لنداء المرجعية الرشيدة، إثر بذلهم في سبيل ذلك كلَّ غالٍ ونفيس، وفي طلائعهم المجاهدون الأبطالُ الذين رفدوا المعارك بأنهار من الدماء الزكية، وضحّوا بأعزِّ ما يملكه الإنسان وهو الروح، مخلفين وراءهم ذويهم الصابرين المحتسبين، تليهم جموعُ المؤمنين الذين ما بخلوا بالأموال والغذاء والدواء والتجهيزات والإعلام الهادف الصادق الذي يشد العزائم ويرفع الهمم، وتقديم كلِّ ما تحتاجه المعركةُ لاستمرار المجابهة والصمود، ثم بالدعاء للمجاهدين بالحفظ والنصر، وكذلك تقديم ما أمكنهم للجرحى والمعاقين، ولذوي الشهداء وأيتامهم.

صحيح أن النصر العسكري في معركتنا ضد داعش قد أعلن وفرحنا به، ولم يكن تحقيق النصر بالشيء الهيّن، وكانت المعركة شرسة وصعبة جدًا ... ولكن ينبغي أن نعلم أن الأصعب من المعركة هو الحفاظ على هذا النصر وديمومته. فصعود القمة صعب، ولكن الأصعب منه البقاء على القمة، يجب ألّا يؤثر هذا النصر على فسخ عزائمنا ونقض هممنا.

يتوجَّبُ علينا ونحن نحتفي بالنصر في غَمرة أفراحنا، ونمتطي بابتهاج صهوةَ انتصاراتنا، ألا ننساقَ بعيداً عن الواقع الذي تعلمناه من تجاربنا القاسية التي خَبَرْناها وخَبَرَتنا، والتي تذكِّرُنا بجعلِ عراقنا الحبيب على الدوام، ولأسباب معروفة، هدفًا لكل طامع، وهاجسًا لكل مناوئ.

إن المعركة قد وضعت أوزارَها بانتهاء فصلٍ من فصولها الدامية، وكلَّلها شعبُنا الأبيُّ بانتصاره المَهيب، لكنَّ الحرب لم تنتهِ بعد، فالصراع بمفهومه الواسع مع قوى الشر والعدوان مازال مفتوحًا على مصراعيه، فقوى الظلام لا زالت تحوك الدسائس والمؤامرات بخلاياها النائمة التي تعمل تحت الأرض وتتحين الفرص للانتقام من الشعب ومرجعيته الحكيمة، ليردوا علينا الصفعة التي تلقوها منا، عندها سنفقد النصر ونخسر الجهد لا سمح الله.

فالحذرَ الحذر، واليقظةَ اليقظة..ولْنَحْم نصْرَنا بأهداب عيوننا، فقد كلَّفَنا غاليًا.. وغاليًا جدّاً.. وهو مِنَّةٌ مَنَّ الله تعالى بها علينا بعد امتحانه لصبرنا وتعاضدنا (**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العزيز الحكيم**)(آل عمران:١٢٦)(**يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**)(الروم:٥)

لاشكَّ أنَّ النعمة إنما تدوم بشكر الله عليها، وبالانصياع لأوامره كتوحيد الكلمة، والاعتصام بحبله المتين، والتراحم، والتآخي، ونبذ الفرقة، والتعاون بيننا على البر والتقوى، فلا نتنازع فنفشل وتذهب ريحنا ويستغلها العدو للإيقاع بنا والانتقام منا، ومن قَبيلِ شكر نعمة النصر الاهتمامُ بعوائل الشهداءِ الذين هم أمانة في أعناق الأمة التي ينبغي ألا تنساهم ولا تنسى تضحيات شهدائهم،. وتهيئةُ العيش الكريم للجرحى والمعاقين.

إنَّ سرَّ قوتنا التي شهد بها البعيد قبل القريب هو تمسُّكُنا بمرجعيتنا الرشيدة الحكيمة، والتفافنا حولها، والاستجابة لندائها في ساعة العسرة التي جعلت العدو الكافر مذهولًا مضطرًا لإعادة حساباته من جديد، لأنها أفشلت كل مخططاته في المنطقة وبالتالي في كل العالم. ولقنته درسًا لن ينساه، وصفعة موجعة أفقدته اتزانه وصوابه.

فلابد - كما نتوقع- من ردة فعل على هذه الهزيمة النكراء، ليس أقلها أن يحرِّكَ هذا العدو أذنابه للنيل من مكانة المرجعية الرشيدة وجماهيرها كمحاولة بائسة لإضعاف الطرفين بعزل أحدهما عن الآخر. من أجل أن ينفردوا بالأمة دون قياداتها الحكيمة فتكون كسفينة بلا ربان فيوجهونها كيفما شاؤوا، وبالقيادات دون الأمة لتصفيتهم من دون معترض، وعندئذ سيفعلوا فعلهم ويحققوا طموحاتهم الشيطانية. وهذا ما يقتضي منّا بطبيعة الحال التحلّي بأقصى درجات الوعي، وأخذ الحيطة والحذر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، من هذه الكمائن الإبليسية والفخاخ الشيطانية.. والحُرُّ تكفيه الإشارة.

اللّهُمَّ إنَّا نَشْكُو إلَيْكَ فَقْدَ نَبيِّنا صلواتك عليه وآله وَغَيْبَةَ ولينا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا وَقِلَّةَ عَدَدِنا وَشِدَّةَ الفتَنِ بنا وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جمع القرآن الكريم وتدوينه

أ .م . د. عادل عباس النصراوي
كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة

ينابيع يُشكّل جمع القرآن الكريم وتدوينه قضية شغلت بعض العلماء في أوّل من جمعه وألّف صحفه إلى بعضها ليصل إلينا بهذا الشكل الذي نحن اليوم نقرأه ونتدارسه، فقد اختلف الرواة ودارسو القرآن بين مَنْ يقول جُمِع في عهد الرسول الله ﷺ، ومنهم مَن يرى أنّ جامعه كان أبو بكر باستشارة عمر بن الخطاب، ومنهم من يذهب إلى أنّ عثمان بن عفان هو الذي نسخ القرآن وجمعه ووزّعه بشكله الحالي على الأقطار الإسلامية[1]، ونقل أبو داود السجستاني (ت٣١٦هـ) عمّن حدّث أنّ أول مَنْ جمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ كان عليًا بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: (لما توفي النبي ﷺ أقسم عليٌّ أن لا يرتدي برداءٍ إلاّ لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل)[2]، ويروي الإمامية ذلك في مصادرهم.

لكنّ السؤال المهم هو ألم يجمعه رسول الله ﷺ في حياته؟ نعم إنّ الرسول ﷺ كان يحفظه في قلبه بدليل قوله سبحانه: (**سَنُقْرِئُكَ فلا تَنسَى**) (الأعلى:٦)، لكن ليس كلّ الصحابة وباقي المسلمين كانوا يحفظونه، وهو دستورهم في الحياة ومرجعهم، فإذا مات الرسول ﷺ فلمن يرجعون إذا لم يكن هناك مصحف جامع منه مكتوب.

لقد تواترت الأخبار والدلائل على أنّ الرسول ﷺ هو أول من جمع القرآن الكريم[3]، وقد قال تعالى في حجة الوداع: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا**) (المائدة:٣)، وإنّ من إكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين كافة أن يكون لهم كتاب كمرجع لهم، فيكون لابُدّ من وجود مصحف جامع لآيات القرآن وسوره يرجعون إليه.

ثمّ أنّ الرسول ﷺ قال في حجة الوداع: (إنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب

الله وعترتي[٤]، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدًا) فالكتاب هو القرآن الكريم، ويفيد معنى الترك بعده وجود المصحف عندهم وتداوله بين أيديهم مصحفًا جامعًا ومتواليًا بتوقيف النبي محمد ﷺ عن الله تعالى[٥].

ومن روايات جمع الرسول ﷺ للقرآن في حياته وحفظه، ما ذكره السيوطي عن الحاكم في المستدرك أنّ القرآن جُمِع (بحضرة النبي ﷺ ثم أخرج بسنده على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن من الرقاع...الحديث، قال البيهقي: يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيه بإشارة النبي ﷺ[٦]، وكيفما يكون فإنّ الجمع كان قائماً في حياة رسول الله ﷺ وإن عدم تأليفه وجمعه آنذاك يكون من العبث في شيء، وهذا لا يتفق مع ما تعاهده الرسول ﷺ للقرآن الكريم، وقد تنبّه المستشرق تيرنر إلى أن جمع القرآن كان في حياة رسول الله ﷺ فقال: (إنّ العديد من المصادر التأريخية والأحاديث النبوية تؤكدّ بلا شك أنّ معظم سور القرآن الكريم – إن لم تكن كلّها – قد دوِّنت كتابةً أثناء حياة الرسول)[٧]، ثم يضيف إلى ذلك مستدلًا عليه بقوله: (إنّ الدلائل على وجود أجزاء مكتوبة من القرآن الكريم في عهد رسول الله ﷺ توكدّها خطبة الوداع الشهيرة التي ألقاها رسول الله ﷺ على المسلمين قبل وفاته بمدة قصيرة، الخطبة أعلن فيها الرسول ﷺ أنّه وصّى أمته في شيئين: كتاب الله والسنة النبوية، وبالعودة إلى (كتاب الله) يمكن إثبات أنّ القرآن كان متوفرًا كوثيقة مكتوبة ومفردة)[٨].

بيد أنّ القول في جمع القرآن في عهد أبي بكر بإشارة من عمر بن الخطاب، وفي أيام عثمان بن عفان[٩]، لا بدّ أن يكون له بيان أو توضيح لأجل أن لا نأخذ الأمور وفق عاطفة دينية أو مذهبية، إذ نجد في مجمل الروايات حول جمع القرآن من الخلفاء الثلاثة المذكورين، تُوحي أنّ واضع الرواية يُحاول أن يشملهم بهذا الشرف الكبير، وإنّ روايات الجمع هذه وفق التحليل العلمي الدقيق لا تُوحي بالجمع حقيقة، وإنّما النصّوص المروية تُخبِّئ وراءها معنى آخر يومئ إلى وجود قراءات متعددة للنص القرآني، ولعلّ هناك من الدلائل ما تُشير إلى هذا، قال السجستاني عمّن حدّث: (أخبرني عبيد بن السبّاق أنّ زيد بن ثابت حدثّه قال: أرسل إليَّ أبو بكر

مقتل أهل اليمامة وكان عنده عمر، فقال: إنّ هذا أتاني، فقال: إنّ القتل قد استحرّ بالقرّاء، وإنّي أخشى أن يستحر القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن، وقد رأيت أن تجمعوه، فقلتُ لعمر: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يُراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدره، ورأيتُ الذي فيه الذي رأى ...)[10]، فسؤال أبي بكر لعمر بن الخطاب فيه دلالة إيحاء أنّ الجمع لم يكن لغرض الجمع وحده، وإذا كان للجمع وحده لما سأل، لأن ذلك من الواجب على كل مسلم، فلا مسوّغ للسؤال، إذًا كان السؤال لغرض آخر ربما يكون جمعه على قراءة واحدة وعلى مصحف واحد يقع الاختيار عليه، وهذا ممّا يخالف ما عليه زمن الرسول ﷺ إذ كتب له عددٌ من الكتّاب وبعض القرّاء ومن قبائل متعدّدة، من نحو عبدالله بن مسعود وغيرِه وربمّا تعوّدوا على قراءة المصحف كلٍ بحسب لغة قومه، وممّا يُذكر أنّ مصحف عبد الله بن مسعود كان يقرأه أهل الكوفة، ومصحف أبي موسى الأشعري كان يقرأ به أهل البصرة، وهذا الجمع على لغة واحدة ربّما كان يراه أبو بكر مخالفًا لما كان عليه النبي ﷺ ولعلّ ما يسند هذا القول هو ما كان من كراهة عبد الله بن مسعود في عمل الجمع، إذ نقل السجستاني عمّن حدث أنه (قال: كُنّا جلوسًا في المسجد وعبدالله يقرأ فجاء حذيفة، فقال: قراءة ابن أمّ عبد أم قراءة أبي موسى الأشعري، والله إن بقيتُ حتى آتي أمير المؤمنين (يعني عثمان) لأمرته بجعلها قراءة واحدة، قال: فغضب عبدالله فقال لحذيفة كلمة شديدة، قال: فسكت حذيفة)[11]، فكانت كراهة عبد الله بن مسعود لهذا الجمع بسبب ما أُثيرَ من قضية تعدّد القراءات من قبل حذيفة، وإرادة نقل الشكوى إلى الخليفة عثمان لتوحيد القرآن على قراءة واحدة، وليس غرضه الجمع أصلًا، وغيرها من الروايات التي تذهب إلى أن الغرض ليس جمع القرآن وإنما توحيده على قراءة واحدة[12].

ويُستَدَلّ على فكرة توحيد القراءات ما نُقل عند عبدالله بن مسعود أيضًا حين طُلب منه مصحفه بأمر الخليفة عثمان فامتنع عبد الله أشدّ الامتناع وكذلك أصحابه وتلامذته فقال: (غلّوا مصاحفكم، فكيف تأمروني أن أقرأ قراءة زيد، ولقد قرأتُ مِنْ في - بمعنى فم - رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ولزيدٍ ذؤابتان يلعب بين الصبيان)[13] وفي هذا بيان لرفض عبد الله بن مسعود قراءة زيد بن ثابت واعتداده بقراءته، لكن كانت إرادة الخليفة توحيد تلك القراءات على قراءة واحدة، بمعنى أنّ إنكار عبد الله بن مسعود لهذا العمل اعتدادًا منه بقراءته لأنّه يرى أنه أخذها من فم النبي ﷺ منذ أن كان في مكة وإلى أن مات ﷺ في المدينة وهو لم يُفارقه في حلٍ أو ترحال فكان رفضه معلّلًا بذلك.

ثمّ إنّ عدم إشراك ابن مسعود في لجنة جمع القرآن كانت ربما بسبب اختلاف قراءته عمّن جمع منهم القرآن، بمعنى انحياز اللجنة إلى لغة قريش، بينما كان عبد الله بن مسعود هذليًا، فرغبوا عن لغته وقدّموا لغتهم، وهذا كان توجيهًا لتلك اللجنة إذ (أمر عثمانُ

زيدَ بن ثابت وسعيدَ بن العاص وعبدَالله بن الزبير وعبدَالرحمن بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإنّ القرآن أُنزل بلسانهم)[١٤].

وممّا يُستدَل به أيضًا على أنّ أصل الجمع كان لأجل توحيد القراءات ما نقله السجستاني أيضًا حين قال: (قال الزهري، واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال النفر القرشيون التابوت، وقال زيد: التابوه، فَرُفِعَ اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش)[١٥]، ويُضاف إلى كل ذلك، الأمر بإحراق باقي المصاحف التي عند الصحابة عدا المصحف الإمام كي يتقي عثمان تعدّد القراءات للنص القرآني الواحد وغيرها من الأدلّة التي تأخذ بالباحث إلى القول أنّ جمع المصحف الشريف في زمن الخلفاء الثلاثة الأوائل لم يكن جمعًا بمعنى تأليف الصحف إلى بعضها وجمعها في مصحف واحدٍ، وإنما كان ذلك لأجل توحيد المصاحف على لغةٍ واحدة، بعدما علموا بتعدّدها في مصاحف الصحابة وظنّهم باختلافها عن مصحف رسول الله ﷺ الذي تركه لهم بعد حجة الوداع بدليل قول الرسول ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)[١٦]، وهكذا نُسِخ القرآن الكريم وفق هذه الرؤى بنسخ متعدّدة وعلى مسمع من الصحابة وكان غير مشكّلٍ بالنقط والحركات، ووزّعت نسخه على حواضر الإسلام آنذاك، وهو الذي ما زلنا نقرأه ونتدارسه إلى يومنا هذا.

---

١) ظ: المصاحف / السجستاني: ٥ – ١١ ، جمال القراء / السجستاني: ١ / ٢٥٨ – ٢٦٦، البرهان / الزركشي: ١ / ١٦٧ – ١٧١، الاتقان / السيوطي: ١ / ١١٦ – ١٢١.
٢) المصاحف / السجستاني: ١٠.
٣) ظ: الاتقان / السيوطي: ١ / ١٢٣ – ١٢٤.
٤) في رواية "وسنتي".
٥) ظ: الأسس / تيرنر: ١١٥ – ١١٦.
٦) الاتقان / السيوطي: ١ / ١١٦.
٧) أسس الإسلام / تيرنر: ١١٤ – ١١٦.
٨) م .ن.
٩) ظ: المصاحف/ السجستاني: ٥ – ١٣، البرهان / الزركشي: ١ / ١٦٧ – ١٧٣.
١٠) المصاحف / السجستاني: ٦، البرهان / الزركشي: ١ / ١٦٧، الاتقان / السيوطي : ١ / ١١٦.
١١) المصاحف / السجستاني : ١٣.
١٢) ظ: م . ن: ١٣ – ١٤.
١٣) المصاحف / السجستاني : ١٥.
١٤) م. ن: ٢٠.
١٥) م. ن: ١٩.
١٦) كنز العمال/ المتقي الهندي/ ج١ ص١٨٦/ ح٩٤٥.

التحديد القرآني لقياس الزمن

د. فيصل علي البصام
قسم فيزياء الليزر/ كلية العلوم للبنات / جامعة بابل

جاء الإعجاز القرآني ليحدد حالتين تخصان المرجعية الزمنية، الأولى مرجعية نفسية شعورية متعلقة بالطور العمري للراصد، والثانية مرجعية كونية متعلقة بما يساعد على تثبيت اللحظة التي يبدأ منها القياس، وهي شمسية أو قمرية أو هما معًا.

ويمكننا بسهولة ملاحظة إمكانية ازدواجية عمل وحدة (تقدير الزمن) في المخ، وهذا يعتمد على عدة مؤثرات منها الزمكان في حالة اليقظة، والثانية الزمكان في حالة النوم، ومثالها الرؤى الواردة في سورة يوسف، وبتسليط الضوء على كل رؤيا من خلال ثلاثة أمور، منها مدة الحدث في الرؤيا عندما رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، ومدته بما يعادل دقيقة ونصف، مدة الرؤيا ٨ ثوان والمدة في اليقظة والتي تحققت فيها الرؤيا وهي حوالي ٢٣ عاما، لنفترض أن شخصين كل منهما في زمكان مختلف، وأنهما يتابعان حدثًا واحدًا، بحيث أن الحدث استغرق ٤ سنوات لدى الشخص الأول، لكنه استغرق دقيقتين لدى الشخص الثاني، وذلك وفق قياس زمني مرجعي لدى كل منهما، أي أن ٠،٥ دقيقة لدى الشخص الثاني تعادل سنة لدى الشخص الأول، أو أن الثانية الواحدة لدى الشخص الثاني تعادل ١٢ يومًا لدى الشخص الأول.

ولاشك أن النسبة ستكون أكبر بكثير لو أن الحدث الذي مدته ١ثانية على إحداثيات الشخص الثاني تكون مدته ١٠ سنوات على إحداثيات الشخص الأول، فنقترب كثيرًا من فهم قوله تعالى: (**مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا**) (المعارج:٢-٦)، هنا الرؤيا مختلفة في القرب والبعد الزمني، وكذلك قوله تعالى: (**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ**

قَرِيبًا) (الأحزاب:٦٣)، وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا) (الإسراء:٥١)، أي أن زمن وقوعها عند الله تعالى قريب، ولكن بمقاييسكم الزمنية البشرية بعيد. وقد ورد في القرآن ما يعزز ذلك بقوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة:٥)، أو قوله تعالى: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(الحج:٤٧) أما قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (آل عمران:٥) فقوله: (لَا يَخْفَى) يفيد عدم خفاء باطن الشيء، بالإضافة إلى ظاهره، كما يفيد عدم خفائه فيما مضى وفيما يأتي، أي الماضي والمستقبل، كما يفيد ما خفي من علاقة تأثير تبادلية لكل حدث أحدثه الشيء مع كل حدث آخر حدث في كل شيء.

إن كل شيء في الكون له في كل لحظة علاقة مع كل شيء آخر في الكون يصل ضوؤه إليه. إن كلمة كل لحظة تفيد أن قبلها (ماضي) وما بعدها (مستقبل) وهو خاف في تلك اللحظة، لكن الله تعالى يعلمه، لقد حدد القرآن الكريم سرعة الضوء قبل أربعة عشر قرنًا، ففي قوله تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة:٥)، في هذه الآية يكمن سر سرعة الضوء، فقد قام د.منصور حسب النبي بحساب السنة القمرية الحقيقية وما يقطعه القمر خلال سنة كاملة، ثم قام بحساب ما يقطعه القمر في ألف سنة، ثم قسم هذه المسافة على مدة يوم واحد، فكانت النتيجة هي سرعة الضوء.

لقد ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته أن الله تعالى خلق الكون في ستة أيام كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) (ق:٣٨)، فالمقصود بالأيام مراحل أو حقب زمنية لخلق الكون، وليست الأيام التي نعدها نحن البشر بالمعنى الأرضي، لأن الزمن نسبي وليس مطلقًا، بدليل وجود عبارة (مِمَّا تَعُدُّونَ) في جميع الآيات التي تتحدث عن الأيام الستة للخلق، كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ....) (هود:٧)، كذلك قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (السجدة:٤)، هنا اليوم يمثل مرحلة من مراحل الخلق، أما اليوم في الآية التي بعدها فهو من أيامنا

التي نعدها بطلوع الشمس كل يوم.

الإعجاز القرآني للسير في الفضاء

والأمر الإعجازي في هذا الصدد أن القرآن كلما تحدث عن موضع السير بالفضاء فإنه يستعمل لفظ (عرج) ومشتقاتها، مثل قوله: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾ (الحجر: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (السجدة: ٥)، ومن الملاحظ أن الآية تذكر مدة زمنية هائلة بالنسبة لعروج الملائكة الذين لا نعلم سرعة اختراقهم للفضاء، وهذا دليل على سعة الفضاء الخارجي بما لا يستوعبه العقل. كما أن الرقم في الآية الكريمة يشير إلى أن سرعة الملائكة أسرع من سرعة الضوء، لأن السماوات تقطع في مليارات السنين الضوئية والرقم (ألف سنة أو خمسون ألف سنة) مما يعد قليلًا بالنسبة لتلك المليارات.

والأمر الآخر هو بيان كيفية السير في الفضاء وهي على شكل معارج، منعطفات ومنحنيات أي أن السير لا يتم بشكل مستقيم وإنما بشكل منحن وهذه حقيقة فضائية لم يعرفها الإنسان إلّا في القرن الحالي حينما انطلقت المركبات الفضائية خارج نطاق جاذبية الأرض، فوجدت نفسها تسير على شكل حلزوني تحدده خطوط المجال المغناطيسي للكواكب، فالمركبة عندما تنطلق من كوكب إلى كوكب تسير بشكل متعرج وليس مستقيمًا.

والقرآن الكريم يحرص على استعمال هذه اللفظة (عرج) ومشتقاتها، ومن الملاحظ أن القرآن يفرق بين السير في الجو (الغلاف الغازي) وبين السير في الفضاء الخارجي، فنلاحظ أنه يستعمل كلمة (أسرى) في الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والإسراء السير ليلًا، ويستعمل كلمة (يصعد) في الغلاف الغازي أيضا بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ (الأنعام :١٢٥)، من المعلوم أن الحديث عن الوصول للطبقات العليا من الغلاف الغازي حيث يخف الضغط الجوي وتقل كثافة الهواء، في حين تتحدث الآيات بلفظ (يعرج) ومشتقاتها عن السير في الفضاء الخارجي[1].

نسبية الزمن والمكان من وجهة النظر العلمية

إن اكتشاف واقع الزمن، هو عبارة عن تحول عميق في تصورات الإنسان للطبيعة، وهو من أهم انتصارات العقل الإنساني على جمود التصورات التي نشأت طيلة قرون. وقد أثبت نسبية الزمن عام ١٩٠٥ العالم الفيزيائي ألبرت اينشتاين. إن نظرية نسبية الزمن والنتائج الناشئة عنها، تسمى عادة بنظرية النسبية، ولا يجب أن نخلط بينها وبين مبدأ نسبية الحركة. فلو كان باستطاعتنا أن نرسل الإشارات بسرعة لانهائية، لكان بإمكاننا أن نحقق آنية الحدثين بصورة مطلقة ولاستطعنا أن نقول إن هذين الحدثين قد وقعا في آن واحد، وذلك إذا كانت الإشارة ذات السرعة اللانهائية عن الحدث الأول قد وصلت في آن واحد مع

الإشارة التي تعني الحدث الثاني، وفي هذه الحالة ستصبح آنية الحدثين سمات مطلقة لا تتوقف عن حركة المختبر الذي تجري المراقبة فيه.

وهكذا فإننا نستنتج أن إرسال الإشارات لا يمكن أن يتم في لمح البصر، وذلك لأن التجربة تدحض مطلقية الزمن، وأن سرعة الإرسال من نقطة في الفضاء إلى نقطة أخرى، لا يمكن أن تكون لانهائية، أو بمعنى آخر لا يمكنها أن تزيد على بعض الأرقام المحدودة التي تسمى بالحد الأقصى للسرعة. إن هذا الحد الأقصى للسرعة يعادل سرعة الضوء، قال تعالى: (**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**) (النحل:٧٧). وقولَه تعالى: (**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**) (القمر:٥٠).

إن مبدأ النسبية يظهر أن وجود حد أقصى للسرعة يكمن في طبيعة الأشياء نفسها، وإن الظن بأن التقدم التقني سيمكن من بلوغ سرعات تزيد على سرعة الضوء، أمر صعب تمامًا. وفي الواقع فإذا كان الضوء ينتشر حالًا، فإن مفهوم الآنية يصبح مطلقًا. وإن فترات الزمن بين الحوادث ومقاييس الأجسام تكتسب أيضًا معنىً مطلقًا دون أن تأخذ بعين الاعتبار تلك المختبرات التي يجري منها مراقبتها[٢].

لقد استبدت فكرة إطلاق الزمان والمكان وتأصلهما في الوجود بجميع الأذهان وكانت مناط البحث العلمي. فنيوتن أبو الميكانيكا التقليدية كان يعتبر نفسه أنه يردد قولًا معادًا عندما قال: (أن الزمن المطلق الرياضي الحق، منظورًا إليه في ذاته، ومجردًا عن أي ارتباط بموضوع خارجي، يجري على نمط واحد بفضل طبيعته الخاصة...)[٣].

ولو كان الكون ساكنًا، وكانت سرعة النور لحظية (أي تغمر الكون كله دفعة واحدة كلمح البصر) لكان الزمان مطلقًا. ولكن الكون دائب الحركة فالنجوم والسدم والمجرات لا تعرف السكون، وحركاتها لا يمكن وصفها إلّا بنسبة بعضها إلى بعض، إذ ليس في الفضاء اتجاه واحد أولى من اتجاه ولا حدّ أولى من حدّ، وليس فيه نجم كبير ونجم صغير، ونجم سريع ونجم بطيء، بل فيها نجم أكبر من نجم، ونجم أسرع من نجم، ونجم أعلى من نجم.

و(الثانية) لازالت هي الوحدة الأساسية لقياس الزمن في ضوء النظام الستيني الذي عمل به للقياسات المختبرية والتجريبية. وهناك وحدات زمنية تستخدم أيضًا إذا اقتضت الحاجة

لذلك مثل اليوم والساعة والدقائق، كما أن لليوم مضاعفات مثل الأسبوع والشهر والسنة، واليوم اصطلاحًا هو الفرق بين شروقين أو بين غروبين متتاليين يشمل بذلك الليل والنهار، فدوران الأرض على نفسها في ٢٤ ساعة هو العامل الأساسي في تحديد الوقت، فاليوم قياسًا هو الفارق الزمني الذي تستغرقه الأرض لكي تدور دورة واحدة على محورها وظلت هذه الفكرة قائمة منذ أن اكتشف العالم الفيزيائي غاليلو (١٥٦٤-١٦٤٢م) أن الأرض كروية وأنها تدور حول الشمس وليس العكس كما هو مدون في التوراة والإنجيل، فقامت الكنيسة بإصدار حكم الإعدام متهمة إياه بالشعوذة وبعد سنوات بريء بعدما أثبت العلم التجريبي صحة نظريته، وقد ذكر عز وجل من سورة (النمل:٨٨)، نسبية المكان بقوله: (**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**)، وقوله في سورة (النبأ:٣): (**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**)، لعلموا أن الشيء الذي هو وتد ثابت (الجبال) ويتحرك في آن واحد دليل منطقي وفيزيائي على أن حامل هذا الشيء (الأرض) هو الذي يتحرك.

أما قوله تعالى من سورة (الغاشية:٤): (**وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**)، لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة كون الأرض كروية الشكل، بل في الآية إعجاز حيث أن العلماء أدركوا حقيقة أن قطر الأرض الحالي والذي هو يقدر بـ (١٢٧٥٦,٢ كم) هو القطر الأنسب لظهور الأفق أو أن يجعل أي نقطة فوق سطح الأرض مسطحة رغم كونها كروية، لكننا نراها مسطحة على مدّ أبصارنا من المشرق إلى المغرب، ولو كان قطر الأرض دون ذلك لما أدركنا الآفاق ولما تعاقب الليل والنهار ولاستحالت الحياة. وعندما جاء العالم البريطاني نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م) بقانون الجاذبية رسخ أُسس الفيزياء الكلاسيكية العامة، لكن مفهوم الزمن ظل في نظر الفيزيائيين وعلماء الرياضيات مفهومًا مطلقًا وليس نسبيًا، وبالنسبة لنظرية نيوتن والتي تعرف بالفيزياء النيوتونية تفترض أن الوقت ينقص ويتدفق بنفس الوتيرة مهما اختلف المكان الذي نتواجد فيه أو اختلفت السرعة التي نسير بها، وأن الفراغ موحد لكل المشاهدين المتواجدين في أي نقطة من الكون، فملخص أعمال نيوتن تتضمن أن الفضاء والزمن ثابتين مطلقين وأن الأجسام الثقيلة تنجذب إليها الأجسام الأخرى وفقًا لقانون الجاذبية العامة.

وبعد٢٠٠سنة تقريبًا من اكتشافات نيوتن جاءت أعمال اينشتاين (١٨٧٩-١٩٥٥م) التي قلبت كل حسابات وموازين نظرية الفيزياء النيوتونية، وتقتضي الأخيرة أن الوقت متغير ينقضي ويتدفق بوتيرة مختلفة، وأن الفراغ شأنه شأن الوقت فهو بدوره يمكنه أن يتقلص أو يتمدد حسب وضعية المشاهد، إذًا الوقت والفراغ هما نسبيان متغيران وليسا مطلقين ثابتين، وتضيف نظرية النسبية العامة بعدًا رابعًا للأبعاد الثلاثة الخاصة بالفضاء وهذا ما يعرف (بالفضاء الزمني)، ويقول اينشتاين إن الفضاء الزمني ليس سليم الشكل بل هو مقعر من جراء ثقل الأجسام السماوية، وأي شيء يمر بالقرب من هذه التقعرات الفضائية سينجذب تلقائيًا نحوها، وهذه التقعرات في الفضاء الزمني يمكنها أن تؤثر على أدوات قياس الوقت كالساعات الميكانيكية، البيولوجية والنووية فهي تتباطأ باقترابها من الأجسام الكبيرة الحجم المحدثة للتقعر، ولما كانت الثقوب السوداء أشد الأجرام السماوية كثافة من غيرها، فإن الوقت بالقرب منها يكاد يكون متوقفًا، فضلًا عن ذلك فإنها تجذب حتى الفوتونات الضوئية الضئيلة الحجم، فلهذا فإن الوقت قبل مرحلة الفتق (الانفجار الأعظم) كان معدومًا كون النقطة التي انفجرت مكونة لنا هذا الكون كانت في درجة هائلة من الكثافة تؤول إلى ما لانهاية والزمن والمادة كانتا محبوستين ومكدستين تحت درجة عالية من الكثافة، وهذا ما استنتجه العقل العلمي البشري مؤخرًا من أن الوقت نسبي متغير وليس مطلق ثابت.

قال تعالى: (**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**) (النمل:٨٨)، أي تظنها جامدة، لكنها تمر كما يمر السحاب، فالأرض ثابتة بالنسبة للأرض ومتحركة بالنسبة لجرم آخر.

وينهي اللورد أفبري كتابه عن محاسن الطبيعة بقوله: (فالزمان والمكان سرّان لا يسبر غورهما ولا يدرك قرارها، وكما تعجز عقولنا عن تصوير بدء الأزل ونهاية الأبد، كذلك يعجز وعينا عن تخيل أول المكان وآخره، وهو ملء الجهات الأربع، وكل عال منه دون أعلى منه، وكل تحت دونه تحت والمكان كالزمان لانهائي وغير محدود) أي أن الزمن بُعد نسبي يختلف باختلاف مكان وجوده[٤].

---

١) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/حميد النجدي/ص ١١٠.

٢) اينشتاين والنظرية النسبية/محمد عبد الرضا مرحبا/ص١٦٨و١٨٩.

٣) ن.م/ ص٨٢ ص٧٣وص ٥٩.

٤) الله والعلم الحديث/عبد الرزاق نوفل/ ص٣١.

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

أحمد جاسم النجفي

ينابيع

أحد وجوه الإعجاز القرآني وأشهرها، وهو إخبار القرآن الكريم عن الأمور الغيبية التي لا يمكن الاطلاع عليها وتستحيل العقول عن التنبؤ بها، كما لا يمكن كشفها بالفكر والحسابات المادية.

وقد عدّ العلماء الإعجاز الغيبي أحد أهم وجوه الإعجاز، فأطالوا الحديث عنه، وممن بحث في هذا الأمر:

١) الخطابي (٣٨٨هـ)(١).

٢) الرماني (٣٨٦هـ)(٢).

٣) الباقلاني (٤٠٣هـ).

يقول الباقلاني في الإعجاز الغيبي: (وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيُظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل: (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**)(التوبة:٣٣)، ففعل ذلك)(٣).

٤) الطوسي (٤٦٠هـ).

يقول الشيخ الطوسي في وجه الإعجاز الغيبي: (فإن قال قائل: من أي وجه تضمن الإعجاز؟ قيل له: من جهة الإخبار بما يكون في مستقبل الأوقات مما لا سبيل إلى علمه إلّا بوحي الله إلى من يشاء من العباد، فوافق المخبر بما تقدم به الخبر، وفي ذلك أكبر الفائدة وأوضح الدلالة)(٤).

٥) الطبرسي (٥٤٨هـ):

يقول الشيخ الطبرسي عند تفسيره لقوله تعالى: (**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**) (الروم:٢-٤)، (وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل؛ لأن فيه أنباء ما سيكون، وما يعلم ذلك إلاّ الله عز وجل)(٥).

٦) قطب الدين الراوندي (٥٧٣هـ)(٦).

٧) محمد القرطبي (٦٧١هـ)(٧).

٨) مجد الدين الفيروز آبادي (٨١٧هـ)(٨).

٩) الزركشي (٧٩٤ هـ).

يقول الزركشي في وجه الإعجاز الغيبي: أي الإخبار عن الغيوب المستقبلية، فلم يكن من شأن الأشخاص العاديين أن

يذكروا هكذا أخبار عن الغيب، كآية الروم: (غُلِبَتِ الرُّومُ ...)، التي تحققت فعلاً فيما بعد[٩].

إلّا أن الزركشي لا يعده كافياً في إعجاز القرآن؛ لأن هكذا إعجاز لا عمومية له، بل له ارتباط بآيات خاصة فقط[١٠].

١٠) جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)[١١].

١١) محمد جواد البلاغي (١٣٥٢هـ)[١٢].

١٢) السيد محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٥هـ)[١٣].

١٣) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي[١٤].

من وجوه الإعجاز عند السيد الخوئي، هو التنبؤ بالغيب، والذي ثبتت صحته فيما بعد، وهي أخبار لا يمكن للبشر الحصول عليها إلّا عن طريق الوحي والنبوة، يقول تعالى: (**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ**) (الانفال: ٧)، فقد وقعت معركة بدر خلافاً لرغبة المسلمين، فانتصروا انتصارًا كبيرًا، فهذه الآية تتحدّث عن هذه المعركة عندما وعد الله المؤمنين بالنصر مع قلة عددهم[١٥].

نماذج من إعجاز القرآن عن المغيّبات:

ذكر القرآن الكريم في موارد متعددة أخبارًا غيبية بعضها مرتبط بالحوادث الماضية، وبعضها مرتبط بزمان نزول النص القرآني، وبيان حال الأفراد، والبعض الآخر يخبر عن المستقبل، وكما يلي:

أولاً: الإخبار عن الأحداث الماضية:

ونقصد به إنباء القرآن عن أخبار الماضين وقصص السابقين، كقصة آدم عليه السلام، وقصة نوح عليه السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

وذكر تلك القصص يدل على أن القرآن كلام الله وليس كلام رسوله محمد صلى الله عليه وآله.

فذكر القرآن الكريم قصّة آدم أبي البشر وخروجه من الجنّة، وقصّة ابنَي آدم: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) (المائدة:٢٧)، وكيف سَوّلت لقابيل نفسُه قَتْلَ أخيه هابيل، وقصّة النبي نوح عليه السلام وطوفانه، وهود عليه السلام وقومه عاد، وصالح عليه السلام وقومه ثمود، وقَتْلهم الناقة التي أكرمهم الله تعالى بها، وإبراهيم عليه السلام وقصّة بنائه الكعبة، وإسماعيل عليه السلام وتسليمه لأمر الله تعالى، ولوط عليه السلام وقومه بالمؤتفكات، وذي القرنَين وفتوحاته، ويعقوب عليه السلام وصبره، ويوسُف عليه السلام واستقامته، وأيّوب عليه السلام وابتلائه، وموسى وهارون عليهما السلام وتيه بني إسرائيل، ومريم وعيسى عليهما السلام والحواريين[١٦].

وكان القرآن الكريم كثيرًا ما ينفي معرفة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الشخصية بتلك الحوادث، بل ينسبها إلى الله تعالى، قال تعالى: (**وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا**) (القصص:٤٥)، و (**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**) (القصص:٤٤)، و (**وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**) (القصص:٤٦)، و (**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**) (آل عمران:٤٤).

وتَخطّى القرآنُ في إعجازه الإخبار المحض الذي أذعن له أهلُ الكتاب إلى بيان التحريف الذي وقع في التوراة

والإنجيل، وتحدّى أهل الكتاب أن يكذّبوه إن استطاعوا، فقال في سورة مريم: (**ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ**) (مريم:٣٤)، ثمّ تحدّى الجاحدين ـ على لسان نبيّه ـ بالمُباهلة، فنكصوا ولم يُباهلوا، وصالحوا رسولَ الله ﷺ على أن يدفعوا له الجزية[١٧].

ويدخل في الإعجاز الغيبي، كل ما أخبر عنه القرآن الكريم من حوادث ماضية لم يشهدها النبي ﷺ، وكذا ما تحدث عنه القرآن منذ نشأة الكون، وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث رسول الله ﷺ.

ثانياً: الإخبار عن الحاضر:

ويراد به إخبار القرآن عن عوالم الغيب الموجودة وقت نزوله، وهي على قسمين:

الأول: كلام القرآن عن عوالم الغيب الموجودة والتي لم يرها الناس بأبصارهم ولم يتعاطوا معها بحواسهم، الحديث عن أسماء الله وصفاته وأفعاله، والحديث عن الملائكة والجن، ومشاهد الاحتضار والموت، والبعث والنشور والحساب، والجنة والنار وغيرها.

الثاني: كشف القرآن لأسرار ومكائد المنافقين الذين كانوا يكيدون في الخفاء للإسلام وأهله، وينسجون المؤامرات للقضاء عليه، فكانت الآيات القرآنية تكشف مكائدهم وتُظهر ما يبطنون من النفاق والمكر، ومن ذلك قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) (التوبة:١٠٧-١١٠)، فنزلت في مجموعة من المنافقين قاموا ببناء مسجد في المدينة المنورة للوصول إلى أهدافهم الخبيثة والباطلة، والذي سميَ فيما بعد بـ (مسجد ضرار)، فقد أشارت الآية إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر الرسول ﷺ بنوايا المنافقين، فما كان من النبي ﷺ إلّا أن أمر بهدم المسجد، وهكذا سقطت أقنعة النفاق[١٨].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: (**وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ**) (المجادلة:٨)، فالآية تشير إلى أحد الدسائس اليهودية، فقد تآمروا واتفقوا أن يسلموا على النبي ﷺ بتحية خبيثة خلاف المعهود، فكانوا يقولون (السّام عليك)، أي الموت لك فأطلع الله رسوله على ذلك فكشفت أستارهم[١٩]، ومن ذلك أيضًا ما أخبر به الله تعالى نبيه الكريم

في قوم تآمروا على اغتيال النبي ﷺ في طريق عودته من تبوك، فكشف القرآن الكريم خبث نواياهم وحقدهم الدفين على الرسول ﷺ[٢٠].

ثالثًا: الإخبار عن المستقبل:

لم يكتف القرآن الكريم بإخبار الرسول ﷺ بقصص الأنبياء السالفين الذين لم يشهد زمانهم، حين قصّ عليه قصصهم، بل أخبر القرآن الكريم عن كثير من الوقائع قبل وقوعها، وتمت كما ذكر، وبالكيفية التي وضحها.

ومن المعلوم أن علم الحوادث والوقائع في مستقبل الأيام لا يعلمه إلا الله، وقد أعلن الرسول ﷺ أنه لا يعلم شيئًا من الغيب علمًا ذاتيًا، ولكنه يعلم الغيب الذي يعلمه الله إياه، قال تعالى: (**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) (الأعراف: ١٨٨)، ومع هذه الحقيقة فقد ورد في القرآن الكريم آيات صريحة تتحدث عن أخبار مستقبلية[٢١].

ونجد القرآن الكريم تحدّث عن المستقبل بعدة مراحل، وهي[٢٢]:

المرحلة المعاصرة: والغرض منها إثبات أن القرآن قطعي الصدور من عند الله تعالى، ولتطمئن به قلوب المؤمنين وتهتدي به نفوس المشركين لكي يعلموا أنه الحق من عند الله تعالى.

المرحلة المستقبلية البعيدة: لكي يعرف كلّ عصر من العصور التي ستأتي أنّ هذا هو كتاب الله الحقّ.

وإذا كان الحديث عمّا سيحدث بعد مئات السنين وآلافها، فإنّ من الواضح أنّه فوق طاقة البشر المحدودة، ومما يدل على وجه الإعجاز فيها: أنها وقعت كما أخبر عنها القرآن، فمن ذلك:

١) إخبار القرآن عن مستقبل الإسلام:

حيث جزمت آيات قرآنية بانتصار الإسلام والتمكين له، وكان ذلك في آيات نزلت في مكة حال ضعف الإسلام والمسلمين، ثم تحققت وعود تلك الآيات، ومن ذلك: قوله تعالى: (**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**) (القمر:٤٣-٤٥)، أراد بالجمع: قريش، وجزم بأنهم سوف يهزمون عند مواجهة المسلمين، وقد كان ذلك في غزوة بدر[٢٣].

٢) إخبار القرآن بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين:

هو يُزيل عن قلوب المؤمنين الحزنَ الذي لحقها بسبب هزيمة الروم وانتصار الفُرس، وكانت دولة الفُرس الكافرة قد هَزَمت الروم الموحّدين فَيَعِد المؤمنينَ بكلام محفوظ متعبَّد بتلاوته لن يجرؤ ولن يستطيع أحد أن يغيّر فيه، قال تعالى: (**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ**

بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (الروم:١- ٥).

فكذّب الكفّارُ هذه النبوءة، وراهَن أحدُهم أحدَ الصحابة أن له عشرة من الإبل إن ظهرت الروم على فارس، وأن يدفع الصحابيُّ للكافر عشرة من الإبل إن ظهرتْ فارس على الروم، فجاء الصحابيّ إلى النبيّ ﷺ وأخبره، فأمره ﷺ أن يُخاطره على مائة رأس من الإبل إلى مدّة تسع سنين، ثمّ غَلَبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن بعد سبع سنين من نزول الآيات، فأخذ الصحابيّ الرهن فتصدّق به بأمر النبيّ ﷺ[٢٤].

٣) النبوءة بموت أبي لهب كافرًا:

يقول تعالى: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**) (المسد:١- ٥)، وهو يُنبئ بأنّ أبا لهب عمّ الرسول ﷺ سيموت كافرًا فيُعذّب في النار، ولقد أسلم كثير من المشركين الذين حاربوا الإسلام بكلّ قواهم عند تحقق تلك النبوءة، فكيف أمكن التنبّؤ بأنّ أبا لهب لن يُسلم ولو نفاقًا وحَقْنًا لدمه، وأنّه سيموت على كُفره[٢٥].

٤) إنباء القرآن بفتح مكّة:

أنزل الله تعالى: (**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ**)(الفتح:٢٧)، وقد عاد المسلمون من صلح الحديبية بعد أن حيل بينهم وبين حجّهم ونُسُكهم، فكان الحزن يعلو وجوههم، فلما نزلت: قال رسول الله ﷺ لقد أُنزلت عليّ آية هي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها كلّها .قال جابر بن عبدالله الأنصاري: ما كنّا نعلم فتح مكّة إلّا يوم الحديبية .وقال قتادة: نزلت هذه الآية عند مرجع النبيّ ﷺ من الحديبية، بُشِّر في ذلك الوقت بفتح مكّة، ولقد وعد الله تعالى المؤمنين بدخول المسجد الحرام آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصّرين لا يخافون. فدخل المسلمون مكّة عام الفتح وطافوا وقصّروا رؤوسهم آمنين لا يخشون غير الله تعالى[٢٦].

---

١) ظ: بيان إعجاز القرآن: ٢٢.

٢) ظ: النكت في إعجاز القرآن: ٧٥.

٣) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ): ٣٣.

٤) التبيان في تفسير القرآن ٤٠٢/١٠.

٥) مجمع البيان في تفسير القرآن/أبو الفضل الطبرسي ١٥٠/٤.

٦) ظ: الخرائج والجرائح ٩٨١/٣.

٧) ظ: الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي ٥٣/١.

٨) ظ: بصائر ذوي التمييز في كتاب الله العزيز ٦٨/١.

٩) ظ: البرهان في علوم القرآن/بدر الدين الزركشي ٩٥/٢.

١٠) ظ: المصدر نفسه ٩٦/٢.

١١) ظ: معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣٨٧/١.

١٢) ظ: آلاء الرحمن في تفسير القرآن/محمد جواد البلاغي ١٦/١.

١٣) ظ: الميزان في تفسير القرآن/محمد حسين الطباطبائي ٣٢/١-٣٣.

١٤) ظ: البيان في تفسير القرآن/أبو القاسم الخوئي: ٦٨.

١٥) ظ: البيان في تفسير القرآن: ٦٨.

١٦) ظ: البرهان في علوم القرآن ٩٥/٢-٩٦؛ إعجاز القرآن، فضل عباس: ٣٣٣-٣٣٤.

١٧) ظ: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، عبد الحي الفرماوي: ٢٥.
١٨) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٢٩١/٥؛ الميزان في تفسير القرآن ٢٢٠/٩.
١٩) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٧٥؛ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ١٢٠/١٨.
٢٠) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٢٤٤/٥.
٢١) ظ: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني/صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٥٧-٣٥٨؛ إعجاز القرآن/رضا مؤدب: ١٤٤.
٢٢) ظ: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: ٢٧.
٢٣) ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣٥٠/٤؛ الميزان في تفسير القرآن ٢٥٦/٧.
٢٤) ظ: جامع البيان في تأويل القرآن/الطبري ٧٣/٢٠؛ مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٨/٨؛ البيان في تفسير القرآن: ٤٥.
٢٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٤٠٧/١٠؛ مفاتيح الغيب/الفخر الرازي ٣٥١/٣٢؛ الميزان في تفسير القرآن ١٧١/١٥.
٢٦) ظ: المحرر الوجيز ١٦٠/٦؛ الأمثل ٤١٧/١٦.

من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وصفة القرآن:

(...ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لِقَاءَه ، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَه إِلَيْه كَرِيماً صلى الله عليه وآله وخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَه وحَرَامَه، وفَرَائِضَه وفَضَائِلَه ونَاسِخَه ومَنْسُوخَه، ورُخَصَه وعَزَائِمَه وخَاصَّه وعَامَّه، وعِبَرَه وأَمْثَالَه ومُرْسَلَه ومَحْدُودَه، ومُحْكَمَه ومُتَشَابِهَه مُفَسِّراً مُجْمَلَه ومُبَيِّناً غَوَامِضَه، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِه ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِه، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُه، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُه، وواجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُه، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُه، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِه وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِه، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِه مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْه نِيرَانَه، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَه غُفْرَانَه، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاه مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاه...).

(نهج البلاغة/ ص٤٤)

الترهيب الحسي في البرزخ

مُحسِنْ عَبدُ العَظيمِ هَادِيْ الخَاقَانِي

ينابيع تمتد الحياة - في الفكر الإسلامي - في الزمان، فترة الحياة الدنيا- هذه الفترة المشهودة - وفترة الحياة الأخرى التي لا يعلم مداها إلّا اللّه، والتي تعد فترة الحياة الدنيا بالقياس إليها ساعة من نهار، وتمتد في المكان، فتضيف إلى هذه الأرض التي يعيش عليها البشر دارًا أخرى، جنة عرضها كعرض السماوات والأرض ونارًا تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت وجه الأرض، وتمتد في العوالم، فتشمل هذا الوجود المشهود إلى وجود مُغيب لا يعلم حقيقته إلّا اللّه.

لا فناء .. بل انتقال

لذا فإن الإنسان لا يطرأ عليه الفناء، إنما هي أطوار يمر بها، فما من إنسان يُخْلَق في النشأة الأولى إلاّ ويكتب له البقاء والنشأة بعد النشأة، كما ورد عن النبي ﷺ: (...أيها الناس، إنا خُلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون...)[1]، فيدخل الإنسان إلى الحياة الدنيا بالولادة، ويخرج منها بالموت، ولا يعني الموت في أصل وجود الإنسان إنما هو ختامًا للمطاف في هذا العالم.

وبموت الإنسان فإنه إما يتمتع بالنعيم أو يقاسي آلام الجحيم، بحياة أخرى مؤقتة ومحدودة وهي العالم الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الاخرة، الذي يُعد الرابطة بينهما، ويبدأ هذا العالم الأوسط، وتجري فيه محاسبة خاصة، لما كان يعمله ذلك الانسان في الحياة الدنيا، فإن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لينال الجزاء بالثواب أو

العقاب ولا سيما الحسيَّين، فإنّه وإن مات البدن إلاّ أنّ الروح حية باقية حسّاسة مشعرة تحسّ اللذّات والآلام، والمُعتقد الصحيح هو بقاء الأرواح، والأحاديث الواردة فيه من طرق المسلمين عامّة متواترة في هذا المضمون، فالإنسان بموته ينتقل إلى تلك النشأة المتوسطة بين النشأتين التي تدعى بـ(البرزخ) ويكون على تلك الحال حتى قيام الساعة، لذا فإنّ (عذاب البرزخ وثوابه ممّا اتّفقت عليه الأُمّة سلفًا وخلفًا وقال به أكثر أهل الملل، ولم ينكره من المسلمين إلّا شرذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقًا ولاحقًا)[٢]، فالكتاب والسنّة والإجماع؛ كلّها دالّة على عالم البرزخ، والبرزخ في اللغة: هو الحاجز بين الشيئين كما ذكر الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) في المفردات[٣]: أن البرزخ هو الحاجز والحدّ بين الشيئين، ومنه قوله تعالى: (**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ**) (الرحمن:٢٠)، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ[٤].

الترهيب الحسّي في البرزخ

إن الانسان الكافر يُعذب عند استلال روحه، لتكون مقدمة لعذاب القبر، وهو المنزل الأول في دار الآخرة، فالترهيب الحسّي الحاصل في القبر عَبَّر عنه القرآن الكريم بـ(المعيشة الضنك) التي يتوعد الله عزوجل بها من أعرض عن ذكره، كما في قوله تعالى: (**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) (طه: ١٢٤)، فقد فُسرت بعذاب القبر، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر[٥]، والضنك عذاب القبر وشقاء الحياة البرزخية، بناءً على أن كثيرًا من المعرضين عن ذكر الله ربما نالوا من المعيشة أوسعها وألقت إليهم أمور الدنيا بأزمتها فهم في عيشة وسيعة سعيدة، فعذاب القبر من مصاديق المعيشة الضنك بناء على كون قوله: (**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**) متعرضًا لبيان حالهم في الدنيا، وقوله: (**وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**) لبيان حالهم في الآخرة والبرزخ من أذناب الدنيا[٦].

عذاب القبر

كما ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، بعض تفاصيل القبر مُبيّناً ما جاء به القرآن الكريم، وما ذكره لما يجري من ترغيب وترهيب حسي، كاتساع القبر حتى يكون روضة من رياض الجنة، أو ضيقه وظلمته الموحشة، ليكون حفرة من حفر النار، التي تكون المعيشة فيها معيشة ضنكا، وكيفية تعامل الأرض مع الإنسان إن كان مؤمنًا أو كافرًا، فنجد فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: (يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت، القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض

الجنة، أو حفرة من حفر النار، وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحبًا بك ولا أهلًا، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمه حتى تلتقي أضلاعه، وإن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه عذاب القبر، إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينًا فينهشن لحمه، ويكسرن عظمه، يترددن عليه كذلك إلى يوم يبعث، لو أن تنينًا منها نفخ في الأرض لم تنبت زرعًا، يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه، فاعملوا بما أحب الله واتركوا ما كره الله)[٧].

وقد ذكر القرآن الكريم من عذاب القبر وما فيه من ترهيب حسي وعلى رأسه عقوبة النار، عندما يصف حياة المجرمين، لاسيما آل فرعون بقوله تعالى: (**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**) (غافر:٤٥- ٤٦)، فالغدو والعشي إنما يكون في الدنيا في دار المشركين، وأما في القيامة فلا يكون غدوًا ولا عشيًا كما في قوله تعالى: (**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**) (مريم:٦٢)، يعني في جنان الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين فأما في جنات الخلد فلا يكون غدوًا ولا عشيًا[٨]، (وفي الآية دلالة على صحة عذاب القبر لأنه تعالى أخبر أنهم يُعرضون على النار غدوًا وعشيًا)[٩].

إن في هذه الآية إثبات عذاب القبر فهي تقتضي عرض آل فرعون على النار غدوا وعشيًا، وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال: (**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**)، وليس المراد منه أيضًا الدنيا لأنّ عرضهم على النار غدوًا وعشيًا، ما كان حاصلًا في الدنيا، فثبت أنّ هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذ ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم لأنه لا قائل بالفرق، في القبر يتم إيصال العذاب للظالمين من آل فرعون وغيرهم في هذين الوقتين، ثم عند قيام القيامة يلقون في النار فيدوم عذابهم بعد ذلك، وإن عذاب البرزخ لا يمكن قياسه مع عالم الدنيا وعذابه، حيث له خصوصياته وكيفياته التي لا يعلمها إلّا الله سبحانه وتعالى[١٠]، فالآية تحكي من أنّ آل فرعون يعرضون على النار صباحاً ومساءً، ولا شك في أن عرضهم على النار من أجل أن يصيبهم من عذاب القبر قبل القيامة، وأمّا بعدها فيقحمون في أودية نار جهنم خالدين فيها.

وهناك روايات تذكر الترهيب الحسي بشكل ساطع، وما يعذب به عدو الله في قبره بأنواع العذاب الحسي، كما في الرواية الواردة عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام التي تُبين تجسيد العمل السيئ لصاحبه في القبر، يقول عليه السلام: (...وإن كان لربه عدوًا فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيًا

ورؤيًا وأنتنه ريحًا، فيقول له: أبشر بنُزُل من حميم وتصلية جحيم[11]، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة[12] معهما ضربة ما خلق الله عز وجل من دابة إلّا وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له بابًا إلى النار، ثم يقولان له: نم بشرٍّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج[13]، حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وإنه ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر)[14].

تباين مدة الحياة البرزخية

ولابد من الإشارة إلى أن ما يُفهم من بعض الآيات القرآنية، من أنه لا حياة برزخية لمجموعة من الناس، عندها سيكون هذا الفهم سطحيًا، ولابد من معرفة ما جاء في تفسير تلك الآيات، كقوله تعالى: **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...)** (الروم:٥٥)، ومعنى ذلك: (يوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة)[15]، ويرى الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ): أن (من استدل بذلك على نفي عذاب القبر فقد أبطل، لأن المراد أنهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلا ساعة)[16]، وكذلك قوله تعالى: **(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** (المؤمنون:١١٢-١١٤)، وأن مما يسأل الله الناس عنه يوم القيامة مدة لبثهم في الأرض، وقد ذكر في مواضع من كلامه والمراد به السؤال عن مدة لبثهم في القبور، وقوله تعالى: **(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ)** (الأحقاف:٣٥)، فلا محل لقول بعضهم: إن المراد به المكث في الدنيا، وقد استقلوا اللبث في الأرض حينما قايسوه بالبقاء الأبدي الذي يلوح لهم يوم القيامة ويعاينونه، ويؤيده ما وقع في موضع آخر من تقديرهم ذلك بالساعة، وفي موضع آخر بعشية أو ضحاها[17]، قال تعالى: **(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)** (النازعات:٤٦).

فعمر الدنيا وحياة البرزخ من السرعة في الانقضاء يكاد يعتقد بعض الناس عند وقوع القيامة، بأنّ كلّ عمر الدنيا والبرزخ ما هو إلاّ سويعات معدودة، وقد نقلت الآيات القرآنية بعض أحاديث المجرمين في يوم القيامة، وهي تعرض حالتهم المأساوية، فيما يختص بمدّة لبثهم في عالم البرزخ، حيث قدروها بتقديرات مختلفة، قال تعالى: **(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا)**

(الإسراء: ٥٢)، وقوله تعالى: **(يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا)** (طه:١٠٣- ١٠٤)، وإن اختلاف تقديرات مدّة اللبث، يرجع لاختلاف القائلين، وكّل منهم قد عبّر عن قُصر المدّة حسب ما يتصور، والقاسم المشترك لكلّ التقديرات؛ هو أنّ المدّة قصيرة جدّاً[١٨].

والنكتة في ذلك، إن الموعود بوعد إذا ضرب له أجل يستكثر الأجل ويريد تعجيله، والموعود بوعيد إذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها، لكن المجرم إذا حشر علم أن مصيره إلى النار فيستقل مدة اللبث، ويختار تأخير الحشر والبقاء في القبر، والمؤمن إذا حشر علم أن مصيره إلى الجنة فيستكثر المدة ولا يريد التأخير فيختلف الفريقان ويقول أحدهما: إن مدة لبثنا قليل (سَاعَة)، ويقول الآخر لبثنا مديدًا إلى يَوْم البعث[١٩].

الحياة البرزخية لا تشمل الجميع

وبالإضافة الى ما تقدم مما جاء في تفسير بعض الآيات التي يُفهم منها نفي النعيم أو العذاب في الحياة البرزخية، فهناك روايات تُقرر أن ليس الناس كلهم مشمولون بهذه الحياة البرزخية، وعندها يحل ذلك الإشكال، بتقسيم الناس على ثلاث فئات: (فئة مؤمنة مخلصة في إيمانها، وفئة مخلصة في كفرها، وفئة متوسطة ومستضعفة، وإنّ عالم البرزخ خاص بالفئتين الأُولى والثّانية، أمّا الثّالثة فتعبر عالم البرزخ في حالة من عدم الاطلاع)[٢٠]، ومن تلك الروايات ما ورد عن الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام حيث قال: (قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إما بشارة بنعيم الأبد، وإما بشارة بعذاب الأبد، وإما تحزين، وتهويل وأمره مبهم، لا تدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا الخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدرى ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهمًا مخوفًا، ثم لن يسويه الله عز وجل بأعدائنا، لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا، ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة)[٢١].

وفي رواية أخرى عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: (لا يُسأل في القبر إلّا من محض الإيمان محضًا أو محض الكفر محضًا، والآخرون يلهون[٢٢] عنهم)[٢٣]، وعلى ذلك يمكن تصنيف المُحاسَبَين في حياة البرزخ على أقسام ثلاثة حسبما أفادته الروايات:

١- المؤمنون الخُلّص.

٢- الكافرون الخُلّص.

٣- الغافلون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وما يُفاد من الآيات ومن الرّوايات أنّ الجنّة الخالدة في يوم القيامة ستكون من نصيب المؤمنين، كما أنّ جهنّم ستكون من

نصيب المجرمين، وعليه فإنّ هناك جنّة وجهنّم أُخريين في عالم البرزخ، وهما نموذج من جنّة وجهنّم يوم القيامة[٢٤]، لذلك نجد أن القرآن الكريم قد وظف كافة الوسائل الخطابية في المشاهد والمناظر الغيبية، وتصوير الترغيب والترهيب فيها تصويرًا حسيًّا، لتؤدي هذه المشاهد ثمارها في التأثير والاستمالة، فيرسم المشاهد في البرزخ ليجعلها وكأنها محسوسة.

---

١) الأمالي/الطوسي: ١ / ٢٤٤.
٢) بحار الأنوار/ المجلسي: ٦ / ٢٧١ -٢٧٢.
٣) ظ: مفردات غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني: ١١٨.
٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهري: ١ / ٤١٩.
٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن/ الطوسي: ٧ / ٢١٧، وتفسير الكشاف/الزمخشري: ٣ / ٩٥، وتيسير الكريم الرحمن/ السَّعْدي: ١ / ٥١٥.
٦) ظ: الميزان في تفسير القرآن/ الطباطبائي:١٤ / ٢٢٦.
٧) ظ: الأمالي/ الطوسي: ٢٨، و ظ: بحار الأنوار/ المجلسي: ٦ / ٢١٨-٢١٩.
٨) ظ: تفسير القمي: ١ / ١٩.
٩) التبيان في تفسير القرآن:٩ / ٧٩.
١٠) ظ: تفسير مفاتيح الغيب/ الرازي:٢٧ / ٥٢١.
١١) النزل: ما يعد للضيف النازل على الانسان من الطعام والشراب، والحميم ما يسقى منه أهل النار. والتصلية: التلويح على النار، ظ: هامش الكافي/ الكليني:٣ / ٢٣٢.
١٢) المرزبة - بتشديد الباء وتخفيفها: عصا كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر، ظ: هامش الكافي:٣ / ٢٣٢.
١٣) القنا - بفتح القاف -: جمع القناة وهي الرمح. والزج: الحديدة التي في أسفل الرمح، ظ: هامش الكافي:٣ / ٢٣٣.
١٤) ظ: الكافي: ٣ / ٢٣١-٢٣٢، و ظ: تفسير مجمع البيان/الطبرسي: ٦ / ٧٧.
١٥) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري: ٢٠ / ١١٨.
١٦) التبيان في تفسير القرآن: ٢٦٥/٨ ، تفسير مجمع البيان: ٨ / ٢٥٥.
١٧) ظ: الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ٧٢.
١٨) ظ: تفسير الأمثل: ١٩ / ٣٤٨.
١٩) ظ: تفسير مفاتيح الغيب:٢٥ / ١١٢.
٢٠) تفسير الأمثل: ١٠ / ٣٥٨.
٢١) ظ: معاني الأخبار/الشيخ الصدوق: باب معنى الموت، ح ٢: ٢٨٨، الاعتقادات، الباب الـ(١٦) الاعتقاد في الموت: ٥١ و ظ: بحار الأنوار: ٦ / ١٥٤.
٢٢) ليس اللهو الحقيقي، بل هو كناية عن عدم التعرض لهم بسؤال أو ثواب، ظ: هامش بحار الأنوار: ٦ / ٢٦٠.
٢٣) الكافي/الكليني(باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل): ٣ /٢٨٢، بحار الأنوار: ٥٣ /٣٩.
٢٤) ظ:الميزان في تفسير القرآن ١٧ / ٣٩، ظ: تفسير الأمثل: ١٤ / ١١٠.

الخوف والرجاء ودورهما في استقامة المؤمن

الشيخ حسن العيساوي

ينابيع روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: (لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نُورَانِ نُورُ خِيفَةٍ وَنُورُ رَجَاءٍ)[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً)[2].

من الأمور التي جعلها الله في القلب الخوف والرجاء، وهي التي تعين قلب الإنسان المؤمن على الاستقامة والبقاء على الإيمان إلى آخر عمره ولا يمكن النجاة إلا بهما. ويمكن أن يصل الإنسان إلى مرتبة الكمال بهما، لأن الإنسان المؤمن لا يجوز له اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى، ولا الأمن من مكر الله مطلقًا، وهذان النوران اللذان جعلهما الله في قلب المؤمن بهما يصلح الإنسان نفسه ومجتمعه.

أولًا: الحاجة إلى الخوف

جعل الله تعالى الخوف في قلب الإنسان بدرجات حسب حالات العباد ومراتب معرفتهم، فخوف العامة يكون من العذاب، وخوف الخاصة يكون من العتاب، وخوف أخص الخاصة يكون من الاحتجاب.

١ـ الخوف من التقصير في العبادة

إذ لا أحد من المخلوقات قادر على عبادة الحق تعالى حق عبادته، فالعبادة هي الثناء على مقام ذات الله المقدسة، وثناء كل شخص فرع معرفته، فإذا كان لا يعرفه لا يستطيع الثناء عليه وعبادته. ولما كانت يد أرجاء العباد في الحقيقة قاصرة عن معرفة ذاته المقدسة فهم ليسوا قادرين بالثناء على جماله وجلاله، وقد اعترف بذلك أشرف الخلائق وأعرف الكائنات بمقام الربوبية نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله: (ما عبدناك حق عبادتك، وما عرفناك حق معرفتك)[3]، إذًا فالقصور الذاتي من حق الممكن، والعلو الذاتي خاص بذات كبرياء الله جل جلاله، ولما كان العباد قاصرين عن الثناء على الله

تعالى وعن عبادة ذاته المقدسة ومن دون معرفة الحق سبحانه وعبوديته، لا يمكن لأحد من عباده أن يبلغ المقامات الكمالية والمدارج الأخروية، كما هو ثابت ومبرهن عليه عند علماء الآخرة في محله، ولكن العامة غافلون عن ذلك ويحسبون المدارج الأخروية جزافًا أو شبيهة بالجزاف، وقد فتح باب من الرحمة الواسعة والرعاية بالعباد عن طريق تعليمات الوحي الغيبية والإلهام وبوساطة الملائكة والأنبياء وهو باب العبادة والمعرفة فعلم العباد طرق عبادته، وفتح لهم سبيلًا إلى المعارف لكي يخففوا من نقائصهم قدر الإمكان ويسعوا لنيل الكمالات الممكنة ويهتدوا بأشعة نور العبودية للوصول إلى عالم كرامة الحق وإلى الروح والريحان وجنات النعيم بل إلى رضوان الله الأكبر.

إذًا، ففتح باب العبادة والعبودية من النعم الكبرى التي تدين لها الكائنات كافة دون أن تستطيع الوفاء بحق الشكر، بل إن كل شكر هو فتح باب كرامة لا تقدر على شكره أيضًا)[٤].

الإنسان المومن إذا عرف نعمة الله عليه فهو يشعر بالخوف والتقصير، لأنه حتى لو جاء بعبادة الثقلين يشعر بأنه لم يؤد حق الله تعالى، لأنه هو المنعم.

وحتى الإنسان الزاهد فإنه يزهد من أجل الآخرة والحصول على النعيم الأبدي فلابد للإنسان من الخوف من أن تكون عبادته وصلاته وصومه فيها نقص وعوز ولا يتبجح بعبادته، وأنه سوف يحصل على الجنة فيقع في العجب أو الرياء أو استكثار العمل، (**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) (النجم:٣٢).

فالإنسان المؤمن لابد أن يكون في خوف مستمر إلّا أن يطمئن بعاقبته وهذا لا يحصل إلّا في اللحظة التي ينزل عليه ملك الموت، ويرى بعينه الملكوتية عاقبة أمره هل هو من أهل الجنة فيطمئن بها، أما قبل هذه اللحظة فلابد أن يعيش الخوف من عمر لم يعرف ما يحدث فيه من أمور وقضايا ومشاكل قد توقعه في الذنوب والآثام فهو لا يأمن من الذنب أبدًا، وهو يحمل هذه النفس الأمارة بالسوء، ومادام في هذه الدنيا فهو معرض للخطر، ولعدو يغويه ويحاول إيقاعه في الذنب ولا ينجيه إلّا الخوف لأنه لا أمان له في هذه الحياة.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاة الشاكين: (إلهي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً وَإِلى الخَطِيئَةِ مُبادِرَةً وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بي مَسالِكَ المَهالِكِ وَتَجْعَلُني عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِكٍ كَثِيرَةَ العِلَلِ طَوِيلَةَ الأَمَلِ إِنْ مَسَّها الشَّرُّ تَجْزَعُ وَإِنْ مَسَّها الخَيْرُ تَمْنَعُ مَيَّالَةً إِلى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَمَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ تُسْرِعُ بِي إِلى الحَوْبَةِ وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ ،....)[٥].

وقد جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قاعد إذ نزل جبرئيل عليه السلام وهو كئيب حزين متغير اللون، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: مالي أراك كئيبًا حزينًا؟ قال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وإنما وضعت منافيخ جهنم اليوم، فقال رسول الله

ﷺ: وما منافيخ جهنم يا جبرئيل؟ قال إن الله تبارك وتعالى أمر بالنار فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام، حتى اسودت وهي سوداء مظلمة، فلو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعًا وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها ولو أن قطرة من الزقوم والضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهل الدنيا من نتنها، قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل عليه السلام فبعث الله إليهما ملكا فقال: إن ربكما يُقرؤكما السلام ويقول لكما إني قد آمنتكما من أن تذنبا ذنبًا أعذبكما عليه)[٦].

إذا كان رسول الله ﷺ قد جاء ملك يخبره بأنه لم يرتكب ذنبًا، ومع ذلك كان يعبد الله ويطيعه، فعلى الإنسان المؤمن لا يكون له أمان في هذه الدنيا، لأنه لم ينزل عليه جبرئيل عليه السلام أو ملك مقرب يخبره أنه لا يرتكب الذنب، فعليه الخوف والحذر في هذه الدنيا.

٢- الخوف من عذاب الآخرة

على الإنسان أن يخاف من شدة بأس الله تعالى وفي دقة سلوك طريق الآخرة والأخطار التي تحيط بالإنسان في حياته وعند موته ومشقات الحساب والميزان، والتي تجعله يترك هذه الدنيا ويفكر بالآخرة فيعمل لها.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللَّه فِيهِ وعُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ فَهُوَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفاً وَلَا يُصْلِحُه إِلَّا الْخَوْفُ)[٧].

٣- الخوف من غواية الشيطان اللعين

لابد للإنسان المؤمن أن يحذر الشيطان الرجيم، لأنه عدو ينافسه على عمره يريد منه أن يقضيه في ارتكاب المعاصي والذنوب، وأن يخرج من الدنيا وهو عاص وقد ملأ قلبه بالذنوب، وأن لا يموت على الإيمان والعمل الصالح، وهذا العدو غير واضح فهو يوسوس للإنسان وينتهز الفرص من المشكلات التي يقع فيها الإنسان فيهاجمه وينتقم منه ويوقعه بالحرام، يقول الإمام السجاد عليه السلام: (إِلهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي قَدْ مَلأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُ لِيَ الْهَوَى وَيُزَيِّنُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى...)[٨]، هذا الشيطان اللعين الذي لا يرحم الإنسان وأقسم أن يدخله النار، ومما يزيد الخوف أن هذا العدو لا يرى بالعين لأنه من الجن، والجن من جنس غير جنس الإنسان فهو مخلوق من النار وقد حذر الله سبحانه تعالى من الشيطان، فقال في كتابه العزيز الحكيم: (**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**) (الأعراف :٢٧).

ثانيًا: الحاجة إلى الرجاء

يقول الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة الراجين: (يا مَنْ إذا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطاهُ، وَإذا أَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ، وَإذا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ

وَأَدْنَاهُ، وَإِذا جاهَرَهُ بالعصْيان سَتَرَ عَلى ذَنْبِه وَغطَّاهُ، وَإِذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفاهُ، إلهي مَن الَّذي نَزَلَ بكَ مُلْتَمِسًا قراكَ فَما قَرَيْتَهُ، وَمَن الَّذي أَناخَ ببابكَ مُرْتَجيًا نَداكَ فَما أَوْلَيْتَهُ؟ أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بابكَ بالْخَيْبَة مَصْرُوفًا، وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِواكَ مَوْلىً بالإحْسانِ مَوْصُوفًا؟ كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ بيَدِكَ؟ وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِواكَ وَالخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟ أَأَقْطَعُ رَجائي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَني مالَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ؟ أَمْ تُفْقِرُني إلى مِثْلي وَأَنا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟!...)[9]، فالإنسان المؤمن لابد أن يكون في قلبه رجاء الله سبحانه تعالى، وهو الذي يدعو الإنسان إلى العمل الصالح وعدم اليأس من رحمة الله سبحانه، فإن اليأس من أشد الذنوب التي يقع فيها الإنسان إذا كان خائفًا غير راجٍ.

على الإنسان أن يحذر من الغرور والعجب بالأعمال من دون أن يدري، عليه أن ينظر إلى قلبه ونفسه هل هي في بذل الجهد وأداء العبودية لله تعالى والجدّ في الطاعة والعبادة؟ لم يكن معتمدًا على أعماله ولم يحسب لها حسابًا؟ وكان أمله برحمة الله وفضله وعطائه، فعندئذ يكون من أهل الرجاء، فليحمد الله على هذه النعمة.

ففي الكافي الشريف بإسناده عن ابن أبي نجران عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قُلْتُ له قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بالْمَعَاصي ويَقُولُونَ نَرْجُو فَلا يَزَالُونَ كَذلكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ. فَقَالَ هَؤُلاء قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ في الأَمَانيِّ كَذَبُوا لَيْسُوا برَاجِينَ إنَّ مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَه ومَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ منْه)[10].

الإنسان الذي يرجو رحمة ربه عليه أن يطلب هذه الرحمة، ولا يتهاون في طلبها، وأنه عليه أن يسعى مادام في هذه الدنيا، للحصول على الرحمة الإلهية من خلال طلب التوفيق الإلهي بكل وسائله وطرقه، فإن الراجي يبحث عن كل ما يرضي الله ولوكان قليلًا، وأما العاصي فإنه ليس راجيًا، وإنما وقع في حبائل الشيطان الذي يجعله يرتكب المعاصي والذنوب مبررًا ذلك برجاء رحمة الله الواسعة، وقد يموت في أي لحظة على المعاصي، قال الإمام الصادق عليه السلام: (لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِياً ولَا يَكُونُ خَائِفاً رَاجِياً حَتَّى يَكُونَ عَامِلاً لِمَا يَخَافُ ويَرْجُو)[11].

ثالثًا: التعادل بين الخوف والرجاء

لابد من التعادل في الخوف والرجاء، وعدم تفوق أحدهما على الآخر، لأن الخوف الشديد من غير رجاء يؤدي إلى اليأس من الله سبحانه وتعالى، وهو من أشد الذنوب على الإنسان، وأما الرجاء من دون خوف وحذر يؤدي إلى الغرور، فلابد في قلب الإنسان المؤمن الخوف والرجاء. (فالتقوى هي حصيلة اجتماع الخوف والرجاء الشديدين المتوازنين في قلب المؤمن، والعمل الدائب لخوفه ورجائه، والحفاظ عليهما حتى تكون ملكة ثابتة في نفسه[12].

فلابد من التعادل، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وصية لقمان لابنه: (خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته

بذنوب الثقلين لرحمك. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا)[١٣].

ولعل الخوف في بعض الأحيان أنفع للإنسان، مثل أيام الصحة والعافية حتى يجهد نفسه في كسب الكمال والعمل الصالح، وفي بعض الأحيان الرجاء أفضل، مثل ظهور أيام علامات الموت، حتى يلاقي الإنسان الحق المتعال مع حال مفضلة أكثر عنده.

---

١) الكافي/الكليني/ج٢ص٦٧.
٢) م.ن/ص٧١.
٣) البحار/ج ٦٨ ص٢٣.
٤) الأربعون حديثًا/السيد الخميني (قد)/ص ٢١٧.
٥) الصحيفة السجادية/ص٤٠٣.
٦) روضة الواعظين/الفتال النيسابوري/ص٥٠٦.
٧) أصول الكافي/الكليني/ج٢ص٧٠.
٨) الصحيفة السجادية/مناجاة الشاكين/ص٤٠٣.
٩) م.ن/ص٤٠٦.
١٠) أصول الكافي/الكليني/ج٢ص ٦٨.
١١) م.ن/ص٧١.
١٢) كلمة التقوى/الشيخ محمد أمين زين الدين/ ج٢ص٣٣١.
١٣) تحف العقول/ابن شعبة الحراني/ ص ٣٧٥.

من أقوال الإمام الهادي عليه السلام

– الحسد ماحق الحسنات، والزهو جالب المقت، والعجب صارفٌ عن طلب العلم، داع إلى الغمط. (بحار الأنوار/ ج٦٩ص١٩٩)

– الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة عليه.

(الدر النظيم/ المشغري العاملي/ ص٧٢٩)

– خيرٌ من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشرّ من الشرّ جالبه، وأهول من الهول راكبه.

– إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك.

– إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سُوءًا حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيرا ما لم يعلم ذلك منه .

– وقال عليه السلام للمتوكل في جواب كلام دار بينهما : لا تطلب الصفا ممن كدرت عليه ، ولا الوفاء ممن غدرت به ، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه ، فإنما قلب غيرك كقلبك له.

(نزهة الناظر وتنبيه الخاطر/ الحلواني ص١٤٢)

ملف العدد

ماضي سامراء وحاضرها

ملف العدد

تأريخ مدينة سامراء

المحامي أحمد المالكي

تقع مدينة سامراء على بعد (١٢٠كم) شمال بغداد، على الضفة الغربية لنهر دجلة. حيث أنّ مدينة سامراء الحالية مبنية على أطلال المدينة القديمة ومحاطة بها من كل الجهات وتمتدّ أطلال المدينة القديمة على طول نهر دجلة، ولذلك يبلغ طول الأطلال نحو أربعة وثلاثين كيلومترًا، تقع ثمانية منها جنوب المدينة الحالية والبقية في شمالها.

أنشئت مدينة سامراء بحدود عام ٢٢١هـ، أي قبل أكثر من (١٢٠٠) سنة، لتدخل التأريخ منذ ذلك الوقت كحاضرة من حواضر العالم الإسلامي المترامي الأطراف، وتتجه نحوها الأنظار، وتهوي إليها القلوب، لما كانت عليه يوم كانت عاصمة الخلافة العباسية، ولما آلت إليه فيما بعد لمّا ضمّت جسديّ أشرف من كان يمشي على الأرض.

حيث بدأت معاول العباسيين تشق الأرض جوار دير للنصارى كان هناك، إيذانًا ببناء مدينة العسكر، والتي عرفت بعيد بنائها بـ (سر من رأى).

وكان المعتصم العباسي محمد بن هارون الرشيد هو من اقترح فكرة بناء مدينة تكون بمثابة معسكر لجنده قريبة من بغداد، ولذا سميت بداية انشائها بـ (العسكر)، وقد صرفت مبالغ هائلة في عمليات البناء وتشييد القصور الفخمة فيها. فقد جلب المعتصم بعض أعمدة قصوره وصخورها النادرة من أوربا وغيرها من مناطق الدولة الإسلامية النائية[1].

ثم جاء بعد المعتصم ابنه الواثق الذي تعاهد مدينة أباه إنشاءً وإعمارًا، ثم ابنه

الآخر المتوكل الذي أسرف في البذخ إلى حد يفوق التصور المعقول واللامعقول، فقد أوصل المدينة إلى أوج عمرانها، وأقصى اتساعها، وهو الذي وسع بناء المسجد الجامع الكبير، وبنى مئذنته المشهورة المعروفة اليوم بـ (الملوية)[٢]، فريدة نوعها في تأريخ الحضارات.

سامراء النشأة والمعالم...

عند تزايد عدد الجنود الأتراك الذين استجلبهم المعتصم من آسيا الوسطى إلى عاصمة الخلافة (بغداد) لاتخاذهم حرسًا ملكيًا خاصًا - في بادئ الأمر - لحماية الخليفة، ثم زيد في عددهم لحماية القصور والدواوين وبيت المال وغيرها من مرافق الدولة، ثم أخذت أعدادهم بالتزايد بشكل ملحوظ نتيجة المخاوف التي كانت تلاحق المعتصم من العرب الذين أبعدهم عن شغل المناصب الرئيسة في الدولة، لكراهته إياهم، وبغضه لهم. ولكي يوطد منصب الخلافة ويحافظ عليه[٣]، فما كان من ابن التركيّة الأمي إلّا ليعتمد على أخواله الأتراك في حماية عرش خلافته.

ويومًا بعد يوم يزداد عدد الجند من الأتراك بحيث تضيق بهم عاصمة الخلافة بغداد وطرقاتها، ويضج الأهلون بالشكوى من عبث الجنود وإرعابهم للأطفال والنساء والشيوخ، إذ ما كانوا يرعون حرمة لكبير، ولم يكن لديهم عطف على صغير أو ضعيف. فيضطر المعتصم في ظل هذا الوضع، وتفاقم الحالة من وقوع الاصطدامات بين الطرفين، ونشوب حالات قتل ودعس لبعض الأهالي بأرجل الخيل، ولتزايد مخاوف المعتصم من حدوث تحرك ضده، عليه يقرر جلاء الآلاف المؤلفة من جنوده عن بغداد والصعود بهم شمالًا في منطقة قريبة من بغداد، حتى إذا ما حدث تمرد أو انقلاب عسكري فإنه سرعان ما ينحدر إليهم برًا ونهرًا فيحاصرهم ويقضي عليهم[٤].

ويرسل المعتصم المستطلعين من حاشيته ومستشاريه ليبحثوا له عن مكان مناسب وقريب من مركز الخلافة، فيتجه المرسلون بمحاذاة دجلة شمالا بحثا عن منطقة جميلة، وهواء معتدل. وبعد أن قطع المستطلعون مسافة تبلغ حوالي (٦٠) ميلا، انتهوا إلى هضبة مستوية ترتفع عن ضفة نهر دجلة اليسرى بعدة أمتار، يقوم فيها دير من أديرة النصارى الثمانية [٥] التي كانت منتشرة في كل تلك النواحي.

ثم يرجع المرسلون لإبلاغ الخليفة بما عثروا...

ويتوجه المعتصم بنفسه صاعدًا في دجلة لمشاهدة الموقع عن كثب، ويستشير رهبان ذلك الدير عن مشروعه، ويسألهم عن اسم المنطقة، فقيل له: نجد في كتبنا القديمة أن هذا الموضع يسمى (سر من رأى)، وأنه كان في مدينة سام بن نوح وأنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة، ينزلها وينزلها ولده. فقال: أنا والله أبنيها وأنزلها وينزلها ولدي[٦].

من هذا يظهر أن للمنطقة تأريخًا عريقًا ممتدًا إلى عصور ما قبل التأريخ، فقد أظهرت التنقيبات الأثرية أنها كانت آهلة منذ القدم، وأن حضارتها ترجع إلى عصور سحيقة في التأريخ، كما دلت الاستكشافات الحديثة إلى أن اسم هذا الموضع ورد في الكتابات الآشورية بصورة (سرمارتا Su _ ur _ mar_ Ta) ، وأما سامرا فهو اسم آرامي[٧].

وتأثر المعتصم بتلك النبوءة، وعزم رأيه على أن يكون هذا الموقع هو الذي ستتربع عليه مدينة أحلامه، فقد كلف في هذه السنة، وهي سنة (٢٢٠ هـ /٨٣٥ م) من يثق به بشراء الأراضي اللازمة بناحية سامراء، ورصد له مبالغ كبيرة لشراء الأراضي فقط، فاشترى له الدير من النصارى، واشترى مواضع عدة وأقطاعًا كثيرة، وبعد أن أكمل الشراء ورتب سندات الأراضي أقفل راجعا بها إلى المعتصم). يقول المستشرق لسترنج في كتابه بلدان الخلافة الإسلامية (الصفحة ٧٦ وما بعدها من الترجمة العربية): إن المعتصم شرع في أعمال البناء سنة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) مبتدئا بقصره الذي أنشأه جنب دير للنصارى اشتراه من أصحابه، وسرعان ما تحققت مدينة الأحلام على أرض الواقع، فبين عشية وضحاها - يقول سيتون لويد في كتابه (مدن العراق الأثرية) - اتسعت المدينة برعاية الخليفة المستعجل اتساعا ملحوظا. فبعد أن شيد أول قصر له[٨] جوار الدير الذي استملكه من الرهبان[٩] أخذ وبمشورة المهندسين يخطط حول قصره مدينة ظهرت فيما بعد من أجمل المدن القديمة وأكثرها تنسيقًا وعمرانًا، إذ كان ما يزيد على خمسين ألفا من الصناع وفي مختلف الحرف يعملون في اليوم الواحد بكل جد ونشاط وإخلاص ونظام في بناء وإعمار المدينة. وما أن أتم بناء قصور الأمراء والحاشية، ودور المواطنين، وثكنات لإسكان (٢٥٠) ألف جندي معزولة عن الأحياء السكنية، حتى شرع بإنشاء الأجنة والبساتين فزرعت جميع الأنواع المعروفة من الفواكه والأزهار، وحمل النخيل إليها من البصرة، وجلبت الغروس المختلفة من الشام وخراسان وسائر الأقاليم كما يقول لسترنج في (بلدان الخلافة الإسلامية)،

فصارت القصور المشيدة فوق السن العالي تطل على جنان نضرة من الحدائق والبساتين[١٠].

ولما مات المعتصم سنة (٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م) لم تكن المدينة قد اكتمل بناؤها بعد، وقد قيل إنه أنفق على مشاريع البناء مبلغ (٥٠٠٠٠٠) دينار، لكن حمى التعمير والإنشاء كانت تتسارع من بعده، ففي مدة وجيزة كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد في فخامة قصورها، وجمال مبانيها، فقد أنفق عليها الخلفاء الثلاثة أموالًا خيالية قدرت بـ (٢٠٤) مليون درهم [١١] ، أي ما يعادل نحوًا من (٨) ملايين باون استرليني.

وهكذا عاشت سامراء بحلتها الفاخرة عروس مدن الخلافة الإسلامية مدة خمسة وخمسين عامًا، تعاقب الخلافة فيها ثمانية من الخلفاء هم المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد.

عودة عاصمة الخلافة إلى بغداد

ومنذ أن انتقلت عاصمة الخلافة العباسية على عهد المعتمد من سامراء إلى بغداد سنة ٨٧٠ للميلاد، لم يبق لسامراء شأن يذكر ولم تعد تلفت إليها الأنظار إلّا نادرًا. ولذلك نجد أن اسمها ينقطع وروده في التواريخ جميعها إلّا حينما يشار فيها إلى حوادث ورجال أصبحوا في ذمة التاريخ نفسه. وحينما دالت دولة بني العباس، واكتسحت سيول التركمان والمغول بلاد العراق فقوضت دعائم الخلافة العباسية في بغداد، خمل ذكر العراق بأجمعه ولم يعد سوى إقليمًا نائيًا من أقاليم الدولة التركمانية، أو ولاية من الولايات المهملة تنتمي إلى الدولة العثمانية مترامية الأطراف.

لكن سامراء مع انحطاط شأنها على هذا المنوال، وانقلابها إلى محطة صغيرة من المحطات التي تقف فيها وسائل النقل النهرية في بعض الأحايين بين الموصل وبغداد أو بغداد واسطنبول فقد بقيت كعبة للزوار الذين كانوا وما زالوا يفدون إليها من أنحاء العالم الإسلامي جميعه لزيارة الأضرحة المطهرة فيها، التي بقيت رمزًا لانتصار العقيدة الحقة على الظلم والفساد [١٢].

أضحت منازلهم قفرًا معطلة
وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
أين الأسرة والتيجان والحلل

وقيل إنه ما حلت سنة (٣٢٨ هـ /٩٤٠م) إلّا وفي سامراء عروس المدن لم يكن سوى خان للمبيت، وصارت البوم تنعق بخرائبها وكأنها مدينة أشباح نزل عليها غضب الجبار.

وقد مر بها الرحالة أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي البلنسي يوم الخميس ١٨ صفر من سنة (٥٨٠ هـ /١١٨٤م) فوصفها بقوله: (مدينة سر من رأى، وهي اليوم عبرة من رأى: أين معتصمها، وواثقها، ومتوكلها؟! مدينة كبيرة قد استولى الخراب عليها إلّا بعض جهات منها هي اليوم معمورة. وقد أطنب المسعودي، رحمة الله، في وصفها ووصف طيب هوائها ورائق حسنها. وهي كما وصف وإن لم يبق إلّا الأثر من محاسنها، والله وارث الأرض ومن عليها، لا إله غيره...)[١٣].

لكنّ دارًا صغيرة متواضعة، موصدة الأبواب، فيها شباك صغير يطل منه

المارة على جدثين مطهرين للإمامين العسكريين عليهما السلام هي التي أخذت تناطح السماء - اليوم - حائزة شرف العلياء، متقلدة ذروة المجد، مفتخرة بالشرف الباذخ على ما سواها من الأماكن بشرف المكين فيها، ولولا هذه الدار لما بقيت سامراء مدينة يؤمها الزوار والسياح، ولأصبحت عبرة من رأى، وهي كذلك اليوم! فأين جبروت من بناها؟!

---

١) ينظر: الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ ص١٠١.

٢) انظر: الفصول المهمة/ابن الصباغ المالكي/هـ ص:١٠٦٨.

٣) انظر: النهاية ونكتها/الشيخ الطوسي- المحقق الحلي/ج١ص٩٨.

٤) ينظر: الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ ص١٠١.

٥) راجع بحث الدكتور مصطفى جواد حول هذه الأديرة في موسوعة العتبات المقدسة: ١٢ / ٣٩ / ٩٠. ومن ذلك يظهر أن غالبية أو معظم سكان المنطقة، وهم أفراد قلائل، كانوا من النصارى.

٦) راجع بحث د.حسين أمين في موسوعة العتبات المقدسة: ص٧٨- نقلا عن اليعقوبي/البلدان/ ص٢٥٧.

٧) G.L.strange (the lands of the Eastern Caliphate p ٥٣. Cambrige at the University Press ١٩٣٠.

٨) وهو قصر العامة المسمى بالجوسق، وقد دفن فيه بعد موته، وأما الدير نفسه فإنه صار بيت المال.

٩) يقول المستشرق لسترنج في كتابه بلدان الخلافة الإسلامية (الصفحة ٧٦ وما بعدها من الترجمة العربية): إن المعتصم شرع في أعمال البناء سنة (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) مبتدئا بقصره الذي أنشأه جنب دير للنصارى اشتراه من أصحابه بأربعة آلاف دينار (٢٠٠٠ باون استرليني).

١٠) ينظر: الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ ص١٠١.

١١) لعل الأرقام الواقعية أكثر من هذا بكثير. ولا أدري من أين استقى المستشرق لسترنج هذه التقديرات. أهي من مصادرنا التأريخية؟ أم هي تقديراته الخاصة وعادلها أيضًا بالباون الاسترليني؟ فقد جاء في كتاب المسجد المسبوك للملك الأشرف الغساني (الصفحة ٤٦١) أن المتوكل وحده بنى من القصور:

١٢) ١ - بركواز. ٢ - الشاه. ٣ - العروس. ٤ - البركة. ٥ - الجوسق، وقيل هو من بناء المعتصم، ولعل المتوكل عمره وزاد فيه . ٦ - المختار. ٧ - الجعفري، بناه سنة ٢٤٥هـ . ٨ - القريب. ٩ - الربيع. ١٠ - الصبيح. ١١ - المليح والسندان (لعلهما قصران) . ١٢ - القصر والجامع . ١٣ - القلاية. ١٤ - البرج. ١٥ - المتوكلية. ١٦ - البهو. ١٧ - اللؤلؤة. ١٨ - الهاروني، وقد بلغت تكاليف بنائها جميعًا مبلغ (٢٧٠) مليون درهم فضة و (١٠٠) مليون دينار ذهب، فيكون المجموع (. . . / . . . / ٢٧٠ / ١) درهم. ويضيف أن القصر المسمى بالشاه أنفق عليه (٢٠) مليون درهم، وأما قصر العروس فقد أنفق عليه مبلغ (٢٠) مليون درهم. وقال جرجي زيدان في تأريخ التمدن الإسلامي (٢: ٦٢٤): إن قصر الهاروني والجوسق والجعفري وحدها كلفت المتوكل مبلغ (١٠٠) مليون درهم، إذ وصلت تكاليف بناء قصر الجعفري وحده إلى (٤٠) مليون درهم (ينظر: الكشكول).

١٣) سامراء في المراجع الغربية/جعفر الخياط/ موسوعة العتبات المقدسة/ص٢٩١.

١٤) رحلة ابن جبير/الرحالة محمد بن جبير الأندلسي البلنسي/رحلته إلى العراق/ص٢٠٧.

من أقوال الإمام الحسن العسكري عليه السلام

* لا تمار فيذهب بهاؤك . ولا تمازح فيجترأ عليك .

* إياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فإنهما يدعوان إلى الهلكة .

* بسم الله الرحمن الرحيم، أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

* حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار. وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار. وبغض الأبرار للفجار خزيٌ على الفجار.

* من التواضع السلام على من تمر به، والجلوس دون المجلس.

* من الجهل الضحك من غير عجب .

* من الفواقر التي تقصم الظهر جار إن رأى حسنة أطفأها وإن رأى سيئة أفشاها.

* ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله .

* بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهدًا ويأكله غائبًا، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله.

* الغضب مفتاح كل شر.

(تحف العقول/ ابن شعبة الحراني/ ص٤٨٨)

قراءة في كتاب

(مآثر الكُبراء في تاريخ سامراء)

تأليف الشيخ ذبيح الله المحلاتي نزيل سامراء

سكرتير التحرير

ينابيع

بعثت الحياة من جديد في مدينة سامراء بعد أن حل فيها المجدد الشيرازي (ت ١٣١٢هـ) وتحولت من قرية صغيرة إلى حاضرة علمية عريقة بعد انتقال الهيئة العلمية من النجف إليها بانتقال السيد محمد حسن الشيرازي في سنة ١٢٩١هـ.

فكانت هذه الفترة هي الأكثر ثراء وعطاء فكريًا وعلميًا بعد فترة الإمامين العسكريين عليهما السلام.

فعندما رحل إليها المجدد ولحقه أهل العلم من فضلاء طلابه كانت هذه المرحلة هي بداية لعهد جديد دخلته هذه المدينة وبرزت فيها معالم حضارية من حركة علمية وفكرية وبناء المدارس وإنشاء المكتبات وتعمير للمدينة، وشهدت انفتاحًا لحركة جديدة أنعشت المدينة[1].

وفي هذه الأجواء أنتجت تلك الأقلام المؤلفات والكتب والقراطيس لتشهد بوجود ذلك الأثر العلمي والثقافي والحركة العقلية الشيعية.

عاش في هذه الفترة تقريبًا من سنة انتقال المجدد الشيرازي إلى وفاته علماء كثيرون وفقهاء وبعضهم كانت لهم مكتبات خاصة ضمت نفائس المخطوطات كمكتبة الميرزا محمد بن رجب علي الطهراني وهي مكتبة عامرة كانت بسامراء تربو على ألفي مجلد خمسها مخطوط[2] وقد دونت مؤلفات في هذه الفترة لهؤلاء الأعلام منها فقهية وأصولية ورسائل مختلفة وغير ذلك.

ومن الذين حازوا السبق في التدوين هو الشيخ ذبيح اللّٰه المحلاتي في كتابه (مآثر الكُبراء في تاريخ سامراء) حيث تكمن قيمة هذا الكتاب في كونه يعد الأول من نوعه في تعرضه لمدينة سامراء حيث استغرق من وقت المؤلف قرابة عشرين سنة وكان

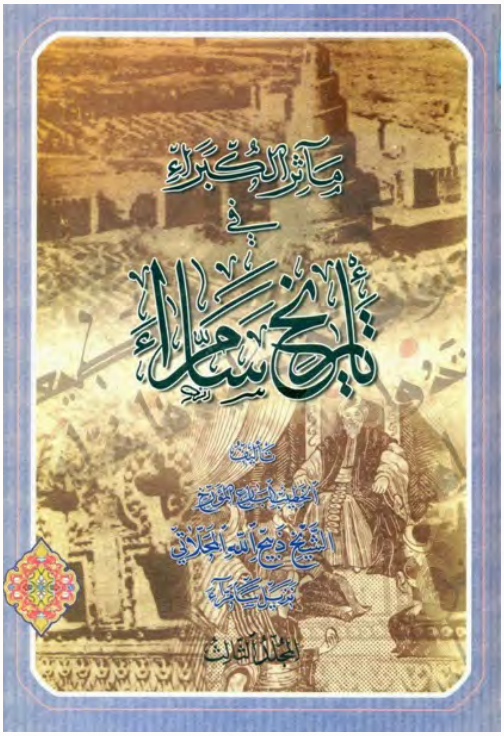

حينها نزيلًا في سامراء ليخرج بموسوعة تبلغ (١٢) جزءًا[٣]، وإليك عزيزي القارئ نبذة عن حياة المؤلف ومن ثم عن كتابه.

المؤلف في سطور[٤]:

ولد العلامة والمحدث الفقيه الشيخ ذبيح الله المحلاتي سنة (١٣١٠هـ) وبعد أن درس المقدمات للعلوم الشرعية في بلدته محلات (إيران) رحل مع والده إلى النجف الأشرف سنة (١٣٣٠هـ) وهناك درس وتتلمذ على يد بعض العلماء منهم الشيخ جواد البلاغي وغيره، وبعد إقامته لأكثر من عشر سنوات في النجف انتقل الشيخ المحلاتي إلى سامراء وتولى تدريسه هناك الشيخ أغا برزك الطهراني والميرزا محمد الطهراني، وبعد أن اهتم الشيخ المحلاتي بالخطابة والوعظ شرع بالتأليف مفيدًا من المكتبة الضخمة للميرزا محمد الطهراني المذكور والتي كانت من المكتبات الكبرى في سامراء، فأقام الشيخ المحلاتي في سامراء (٢٥) سنة قضاها في التحقيق والتأليف والتبليغ، وبعد هذه الرحلة الطويلة في سامراء رجع إلى بلده إيران فاستقر في طهران مخلفًا آثارًا قيّمة.

لقد عاصر الشيخ مجموعة من العلماء منهم: السيد الخميني، الميرزا النائيني، السيد أبو الحسن الأصفهاني، السيد حسن الصدر الكاظمي، والسيد محسن الحكيم والسيد الخوئي حيث أجازه ثلة من الأعلام[٥].

آثاره[٦] العلمية وكتابه مآثر الكبراء:

إن اهتمام الشيخ المحلاتي بالكتب وتأليفها لم يكن بدافع الشهرة أو سعيًا للمال فقد كان يتنازل للناشرين عن حقوق الطبع ليتسنى لهم طباعتها بشكل سريع ورخيص، الأمر الذي يؤكد حبه للمعرفة وسعيه لنيل رضا الله تعالى.

وآثاره العلمية على قسمين مطبوع ومخطوط، منها:

١- كشف المغيبات في أخبار غيبيات أمير المؤمنين عليه السلام.

٢- كشف الهاوية في مظالم معاوية.

٣- كشف الغرور في المفاسد الناتجة من عدم ارتداء الحجاب.

٤- مجالس الواعظين في (١٢) جزء.

٥- قرة العين في حقوق الوالدين.

٦- الحق المبين في قضاء أمير المؤمنين عليه السلام، تمت طباعته في طهران بأحجام وأشكال مختلفة.

٧ـ فرسان الهيجاء في ترجمة أصحاب سيد الشهداء، مرتبة حسب الحروف الأبجدية في جزئين، طبع مرتين في طهران.

٨ـ رياحين الشريعة في ترجمة النساء طالبات العلم من الشيعة، في ستة أجزاء والسادس منها عن النساء المسلمات من السنة والشيعة.

وله غير ذلك من المؤلفات التي بلغت أكثر من (٤٠) عنوانًا.

إن من أهم الآثار القيّمة التي تركها الشيخ المحلاتي في سامراء:

الأول: كتابه (مآثرالكُبراء في تاريخ سامراء) وهو في (١٢) مجلد باللغة العربية، وهذا الكتاب يعد موسوعة جليلة جامعة لوقائع سامراء منذ تمركز الخلافة العباسية فيها وإقامة أئمة الهدى (الهادي والعسكري والحجة) عليهم السلام.

الثاني: كتابه (الكلمة التامة في تراجم أكابر العامة) باللغة الفارسية في مجلدات خمسة، وينطوي على (٢٥٠٠) صفحة يسرد فيه الشيخ أحداث إقامته في سامراء وحواراته مع علماء أهل السنة ونقاشاته العقائدية في سامراء وحواراته مع علماء أهل السنة ونقاشاته العقائدية معهم، فهو بمثابة جزء موجز من سيرته الشخصية في سامراء المقدسة.

أما بخصوص كتابه (مآثر الكُبراء) فقد فرغ الشيخ المحلاتي من مجلده الأول سنة ١٣٥٤هـ وفرغ من تبييضه ثانيًا سنة ١٣٦٠هـ[٧] وقد طبعت منه ثلاثة مجلدات في طهران، حيث يبدأ المؤلف في موسوعته هذه من تاريخ سامراء القديم ويعرج على أيام ازدهارها كعاصمة للدولة العباسية متعرضًا لقصورها ومساجدها وأسوارها ومقابرها ومشاهدها وصولًا إلى هجرها وتحول مقر الدولة إلى بغداد مارًا بأبرز أحداث تلك الفترة وأهم رجالاتها.

وتعرض في الجزء (الثاني) لمراحل إعمار مشهد العسكريين عليهما السلام وأخبار من

دُفن حول الحضرة المقدسة وتعيين مشهد أبي جعفر السيد محمد بن الإمام الهادي عليه السلام وفضائله، وأيضًا بيان المعجزات التي ظهرت من مشهد العسكريين عليهما السلام.

وأما في الجزء (الرابع) فقد تعرض لحياة العسكري عليه السلام تفصيلاً، وخصص الجزء (الخامس) و(السادس) لحياة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام والجزء (السابع) لأحوال العلماء الذين دخلوا سامراء مفيدًا ومستفيدًا وزائرًا، والجزء (الثامن) تكملة للسابع ويبدأ بحرف الضاد من أسماء العلماء. والجزء (التاسع والعاشر والحادي عشر) لسيرة الخلفاء العباسيين وخصوصًا من عاصرهم الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام.

لقد تبنى مركز تراث سامراء التابع للعتبة العسكرية المقدسة فرع النجف الأشرف تحقيق وطباعة الأجزاء المتوفرة لديهم بعد حصولهم على نسخ (مآثر الكبراء) المخطوطة.

فشكر الله سعي العاملين فيه جميعًا على خدمة تراث أهل البيت عليهم السلام.

أهمية الجزء الرابع من مآثر الكبراء وأسلوب المؤلف فيه:

١- إن المتتبع لسيرة وحياة الإمام العسكري عليه السلام يجد ضالته في هذا الجزء الرابع من موسوعة مآثر الكبراء فهو يختص بسيرة الإمام العسكري عليه السلام بأبعادها المختلفة، وهو كتاب شامل ومفصل في هذا الباب، ويكفيك نظرة إلى فهرس المحتويات لترى بعينك حجم الجهد المبذول في جمع تراث الإمام العسكري عليه السلام وأقواله والحوادث التاريخية المرتبطة به عليه السلام ليعد الكتاب بحق من المصادر المعتبرة لمن أراد الاطلاع وتتبع مجريات حياة وسيرة الإمام العسكري عليه السلام.

لقد بدأ المؤلف في كتابه هذا بذكر ولادة الإمام العسكري عليه السلام وذكر الأقوال في ذلك، وذكر شمائله وصفاته وعلمه وأخلاقه عليه السلام، ثم ذكر نبذة من توقيعاته المقدسة في مختلف الحوادث إلى شيعته. ونبذة مما جاء عنه عليه السلام في المواعظ والحكم والوصايا. وكذلك ذكر معاجزه وخوارق الأمور منه عليه السلام، وأيضًا نبذة من احتجاجاته، وكذا جملة من تفسيره لبعض الآيات والحديث عن اعتبار تفسير الإمام العسكري عليه السلام والاستدلال على ذلك، وذكر أدعيته عليه السلام وتسبيحه وصلاته على أهل البيت عليهم السلام، ثم ذكر كيفية وفاته وأقوال العلماء فيها، ومدة عمره الشريف عليه السلام. فقد كان هذا الجزء شاملًا للروايات والدراسات التاريخية ومنها ما يرتبط بذكر تراجم وأخبار أصحاب الإمام العسكري عليه السلام والرواة عنه على ترتيب الحروف، فذكر

المؤلف ذلك من ص٢٣٠ مستخرجًا لتلك التراجم من رجال العلامة الفقيه الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره فذكر أكثر من (٣٠٠) اسم من المشهورين بالكنى واللقب أيضًا، فأخذت هذه التراجم لرجال الحديث قسطًا كبيرًا من الجزء الرابع بلغ من ص٢٣٠ إلى نهاية الكتاب حيث يبلغ عدد صفحات الكتاب أكثر من (٥٢٦) صفحة.

٢- اعتماد المؤلف في جمع مادته التاريخية على المصادر الموثوقة فهو يقول في مفتتح الكتاب بعد البسملة والحمد: (وبعد، فهذا الجزء الرابع من مآثر الكبراء أو تاريخ سامراء يبحث عن حياة أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ويتضمن تراجم أصحابه وأصحاب أبيه عليه السلام بصورة تفصيلية، فإليك أيها القارئ الكريم فصوله معنونه مفصلة منقولة من أوثق المصادر لعلمائنا الأعلام وحملة الدين وحفظة الأخبار ...)[٨] ومنه يظهر تصريحه باختيار مصادره وتتبعه لأجل الخروج بنتيجة واضحة تعبر عن اجتهاده وجهده العلمي وكأنه يجعل من القارئ مشاركًا معه في استقرائه، فيسوق إليه الأدلة والنتيجة معًا، وإليك مثالًا واضحًا من كتابه: فلما ابتدأ المؤلف الحديث عن حياة الإمام العسكري عليه السلام وولادته يقول: (ولد عليه السلام في المدينة المنورة في يوم الجمعة لثمان خلون من ربيع الثاني سنة (٢٣٢هـ)، وكان سن أبيه يوم ولادته (١٦) سنة وشهورًا وشخص إلى العراق بشخوص والده إليه وله أربع سنين وشهور، وكانت مدة إمامته بعد أبيه ثمان سنين، وكانت في بقية ملك المعتز، ثم ملك المهتدي، وتوفي في ملك المعتمد بعد مضي خمس سنين منه مسمومًا، وعاش مع أبيه (٢٠) سنة ودفن في داره بسر من رأى، ومرض في أول شهر ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ) ومات مسمومًا لثمان خلون من هذا الشهر في يوم الجمعة، وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق، هذا هو القول المختار بعد تتبع تام)[٩]، ومن عبارته الأخيرة يظهر ما أشرنا إليه من استعماله الاستقراء والتتبع للخروج بنتيجة عبر قرائن يطمئن إليها وهذا الأمر يستدعي نقل مختلف الأقوال وقد فعل المؤلف ذلك وذكر الأقوال المختلفة في ولادته عليه السلام آخذًا بسرد المصادر المعتمدة في البحث، واختتم ذلك بقوله: (فإذا وقفت على ما تلوناه عليك علمت أن الصحيح ما اخترناه والله أعلم)[١٠].

فسعة الاطلاع ونقل الأقوال المتعددة والخروج بنتيجة تعبر عن خبرة وجهد مبذول وملحوظ للقارئ والمطلع.

فشكر الله تعالى سعي المؤلف قدس سره وخلد ذكره عبر التاريخ لما قدمه من خدمة جليلة لتراث أهل البيت عليهم السلام.

---

١) انظر العدد ٥٦ من مجلة ينابيع بحث منشور (المرجعية الدينية في مدينة سامراء).
٢) انظر الذريعة ج٦ ص٢٩٢.
٣) انظر مآثر الكبراء ج٤، ص٩ المقدمة.
٤) انظر المصدر السابق ص١٩.
٥) انظر المصدر السابق، المقدمة ص٢١.
٦) المصدر السابق ص٢١.
٧) انظر الذريعة ج١٩، ص٦.
٨) مآثر الكبراء ج٤، ص٢٥.
٩) م.ن، ص٢٦.
١٠) م.ن، ص٣٠.

كمال الإيمان

* قال رسول الله ﷺ: لا يكمل عبد الإيمان بالله حتى يكون فيه خمس خصال : التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله. إنه من أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.

(بحار الأنوار/ ج٧٤ص١٧٧)

* وقال ﷺ: لا يكمل إيمان عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

(شرح النهج/ ابن ميثم/ ج٥ص٢٨)

* وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يكمل إيمان عبد حتى يحب من أحبه لله ويبغض من أبغضه لله.

* وقال عليه السلام : لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق بما في يده. (غرر الحكم/ ص٥٤٣)

* وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لا يكمل إيمان عبد مؤمن حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، ويصلح نفسه، ويمسك الفضول من قوله، ويخرج الفضل عن ماله.

(إرشاد القلوب/ ج١ص١٩٥)

نظام الوكالة في عهد الإمام الهادي عليه السلام

قراءة في الظروف الموضوعية ومنهجية الإدارة

د. علي عبد الزهرة الفحام

ينابيع

تولى الإمام الهادي عليه السلام مسؤولية الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الجواد أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر ذي القعدة من سنة ٢٢٠هـ، وكانت مدة إمامته الشريفة ٣٤ سنة؛ قضى منها آخر سنين عمره الشريف والبالغة (١١سنة) في سامراء، ولبى نداء ربه في يوم الاثنين ٣ رجب سنة ٢٥٤هـ[١]، ثم استلم الإمامة من بعده ولده الإمام العسكري عليه السلام حتى وفاته في الثامن من ربيع الأول في سنة ٢٦٠ هـ[٢] وقد قضى كل مدة إمامته عليه السلام في سامراء.

وقد فرضت الظروف السياسية والتطورات الفكرية على الساحة الإسلامية أن يعتمد الإمام الهادي عليه السلام على الوكلاء بشكل أكبر في إدارة أمور شيعته وتربيتهم أخلاقياً، وتحصينهم عقديًّا من التيارات المنحرفة التي باتت تهدد المنظومة الشيعية بجملة من العقائد المنحرفة كالوقف والغلو والتفويض، فضلاً عن الانحراف العام الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية خصوصًا مع وصول المتوكل العباسي وعلاقته المشبوهة مع التيارات السلفية (الحنبلية) لتأسيس مذهب جديد يتجاوز المذهب المعتزلي وحتى الكلاسيكية الأشعرية التي سيطرت على الساحة الفكرية لمدرسة الجمهور أحقابًا من الزمان.

وبالجملة، يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى توسيع الإمام الهادي عليه السلام لمنظومة الوكلاء بالأمور الآتية:

أولاً: اتساع الوجود الشيعي

لم تعد الجغرافية الشيعية بعد عصر الإمام الصادق عليه السلام منحصرة بمدينة الكوفة وما حولها، فقد ساهمت جهود الأئمة عليهم السلام بإيصال المد الشيعي إلى مناطق شاسعة من البلاد الإسلامية، فاستقر قسم كبير منهم في خراسان ونيسابور وقم وما يحيط بها من مدن كالري وهمذان وصولًا إلى بغداد وما حولها من مدن وقصبات، وسامراء وامتداداتها الجغرافية، إضافة إلى تنامي الأقليات الشيعية في البصرة والمدينة

المنورة وبعض بلاد الشام وبلاد المغرب العربي.

وقد شهدت هذه الحقبة انتقال المركز الروحي للتشيع من الكوفة إلى مدينة قم، على يد ثلة من الرواة والمحدثين أبرزهم المحدث الجليل إبراهيم بن هاشم الكوفي القمي والد علي بن إبراهيم القمي صاحب التفسير[٣]، فأصبحت قم ونيسابور والري حواضر مهمة يسجل فيها الخط الشيعي حضورًا فاعلًا على جميع المستويات.

إزاء هذه التطورات، كانت منهجية اعتماد الوكلاء واحدة من طرق الإدارة التي تتيح للإمام الهادي عليه السلام ربط القصبات الشيعية المترامية الأطراف، وتسهيل إنفاذ الأوامر والتوجيهات، ونقل الحقوق الشرعية إلى الإمام عليه السلام بطريقة تتجاوز عيون السلطة وجواسيسها المحيطة بتحركات الإمام وشيعته، ولهذا نجد أن الخارطة الجغرافية للوكلاء تتسع لتشمل كل الحواضر المحتضنة للوجود الشيعي؛ فأيوب بن نوح الكوفي كان وكيلًا في الكوفة وما حولها، وسليمان بن الجهم الزراري كان وكيلًا متنقلًا بين الكوفة وبغداد، وإبراهيم بن محمد الهمذاني استلم الوكالة في مدينته (همذان)، وعلي بن جعفر الصيقل في مدينة (هيمنيا) القريبة من واسط اليوم، وعثمان بن سعيد العَمري في بغداد، والحسن بن راشد في بغداد أيضًا والقصبات المجاورة لها، وعلي بن الريان في قم، وعبد العظيم الحسني جعله الإمام مرجعًا حديثيًا في الري، وعلي بن مهزيار كان وكيلًا في الأهواز، وعلي بن عمرو القزويني في قزوين.

ثانيًا: الوضع السياسي العام

عاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من خلفاء بني العباس، تعاقبوا على حكم البلاد الإسلامية متخذين من سُرّ من رأى عاصمة للخلافة منذ أكمل المعتصم بناءها سنة ٢٢١ هـ، أي بعد سنة واحدة من تسلم الإمام الهادي عليه السلام مسؤولية الإمامة، وحتى استشهاده سنة ٢٥٤ هـ، وهؤلاء الخلفاء هم:

١ـ **المعتصم:** تسلم الخلافة في ١٤ رجب ١١٨ هـ، وهو الذي قتل الإمام الجواد

سلام الله عليه، اغتاله بالسم سنة ٢٢٠ هـ، وكان المعتصم من أجهل خلفاء بني العباس وأكثرهم نفورًا من العلم ومجالس الأدب على عكس أخيه المأمون، وهو الذي نقل الخلافة من بغداد إلى سامراء سنة ٢٢١ هـ وجعلها قاعدة للعساكر والجنود فسميت بالعسكر، وقد سلط الأتراك على رقاب المسلمين، فصارت الدولة الإسلامية تدار بعقلية الأتراك وسياساتهم الهوجاء، هلك المعتصم سنة ٢٢٧ هـ[٤].

٢ـ الواثق: تسلم الخلافة في ١٩ ربيع الأول ٢٢٧ هـ، وكان من أكثر الخلفاء شغفًا بالغناء والغلمان، ويقال إن له سيرة حسنة مع العلويين، وقد سار على نهج عمه المأمون وأبيه المعتصم في القول بخلق القرآن وإجبار الناس على تبني هذه النظرية تحت وطأة السياط ومطامير السجون، توفي في سُرّ من رأى سنة ٢٣٢ هـ[٥].

٣ـ المتوكل: شاءت مقادير الله تعالى أن تكون خلافة المتوكل هي الأطول من الناحية الزمنية، وهي الأقسى على الحالة الشيعية، فبلغت ١٥عامًا (من٢٣٢-٢٤٧هـ) قاسى خلالها المسلمون – لا سيما الشيعة – صنوفًا من البلاء، وألوانًا من العذاب، وغرقت البلاد في وحل الجهل، ونظريات التضليل؛ بعد أن تسيّد الحنابلة المجسِّمون الساحة الإسلامية ووفرت لهم دولة المتوكل الحماية السياسية والدعم المالي والإعلامي وسمتهم (أهل السنة)[٦]؛ فانتعشت سوقهم، وكثر الهمج الرعاع حولهم، مع انكفاء المعتزلة وبعض الأشاعرة الكلاسيكيين عن المشهد السياسي والفكري.

عُرف المتوكل بأنه من أشد الخلفاء نصبًا وعِداءً لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وهو الذي أنهى ما عرف بمحنة القرآن، وأخرج الحنابلة وأتباعهم من السجون، واهتم بإعادة إحياء مدرسة الحديث (السلفية) بكل ما تختزله من أدبيات النواصب، والفكر الإسرائيلي، وفقه السلطة.

ولم تمض أربع سنوات من حكمه حتى قام المتوكل بجريمته بحق قبر سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فهدم القبر الشريف وكل ما حوله من البناء سنة ٢٣٦ هـ، وحرث المزارع والأراضي المحيطة به[٧]، وشدد الرقابة على حركة الزائرين متوعدًا كل من يصل إليه بالأحكام العرفية القاسية، ومن مظاهر نصبه وعداوته أنه كان يتخذ من يوم عاشوراء يومًا لتدشين قصوره، والانتقال إلى مدنه التي أنفق عليها الملايين من أموال المسلمين وحقوق الفقراء، وكان يجعله يوم احتفال وغناء، ينشر فيه الزينة ويعطي فيه العطايا والهبات[٨].

قام المتوكل باستدعاء الإمام الهادي عليه السلام من المدينة المنورة إلى سامراء بحدود سنة ٢٣٤ هـ، فجعله تحت الإقامة الجبرية وقام باعتقاله في السجن وحاول اغتياله غير مرة إلّا أنه لم يفلح، هلك المتوكل في ليلة حمراء انقلبت عليه سوداء في شوال ٢٤٧ هـ، بعد اتفاق ابنه المنتصر وبعض الأتراك على تصفيته وإراحة البلاد من شره.

٤ـ المنتصر: لم يدم حكمه طويلًا، تولى الخلافة في شوال ٢٤٧ هـ، وتوفي مسمومًا بمؤامرة من الأتراك في ربيع الثاني ٢٤٨ هـ، وكان محسنًا للعلويين، وقد وجد الشيعة في مدة حكمه القصيرة متنفسًا عن ظلم أبيه إلّا أن ذلك لم يدم إلّا ١٣ شهرًا[٩].

٥ـ المستعين: تولى الحكم في شوال ٢٤٨ هـ فحبس أخاه المعتز، ولم يلبث

أن كبت به سوء سيرته فثار عليه أخوه مع الأتراك فاضطر إلى خلع نفسه في محرم ٢٥٢ هـ.

٦ـ **المعتز:** وهو الطاغية الذي أقدم على قتل الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤ هـ[١٠]، واستمرت خلافته حتى عام ٢٥٥ هـ حين قام الأتراك بخلعه ونصبوا المهتدي بدلًا عنه[١١].

في ظل هذه الأجواء السياسية، كان لابد للإمام الهادي عليه السلام من أن يعمل بحذر وحكمة، دافعًا الشر والسوء عن نفسه وعن شيعته من السلطة وعمالها الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر، ويتحينون كل فرصة لتحجيم الوجود الشيعي وتصفية رموزه وشخصياته البارزة، وكان من حنكة الإمام عليه السلام أن اعتمد بعض الشخصيات الشيعية المقربة من السلطة ممن لا مطعن في عقيدتهم وحسن نيتهم، ومن المعروفين بولائهم الشديد لأهل البيت عليهم السلام، فصاروا محط ثقة الإمام، وموضع اعتماده في جمع الحقوق، وربما لدفع الظلم والحيف عن بعض الشيعة بحكم قدرتهم على حرية التحرك التي وفرها لهم قربهم من السلطة ورجالاتها، ومن هؤلاء محمد بن الفرج الرخجي الذي كان شديد الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وقد شهدت كتب السيرة بإخلاصه وأمانته، حتى إنه كان من الذين لعبوا دورًا مهمًا في تعريف الشيعة بإمامة الإمام الهادي عليه السلام بعد وفاة أبي جعفر الثاني عليه السلام[١٢].

ثالثًا: الانحرافات الفكرية

شهدت الحقبة التي عاشها الإمام الهادي عليه السلام ظهور موجة من التحولات العقدية الخطيرة التي عصفت بالساحة الإسلامية والشيعية على حد سواء؛ فعلى المستوى الإسلامي العام، ساهم وصول المتوكل العباسي بإنعاش الحركة السلفيّة وفرض متبنياتها العقدية على عموم البلاد الإسلامية بعد إنهاء ما سمي بمحنة خلق القرآن، وصار الحنابلة المجسمون يتحكمون بمجالس العلم، وعمد المتوكل إلى استقدام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) من بغداد إلى سامراء سنة ٢٣٧ هـ، وأغدق عليه العطايا والهبات، وجعله المستشار الديني للدولة فكان لا يولي أحدًا إلّا بمشورته[١٣]، وقد استغل ابن حنبل هذه الرعاية السلطوية فراح يروج لكل نظرياته العقدية والفقهية بأريحية تامة، فعمل على ترسيخ نظرية عدالة الصحابة(١٤)، وإجماع الصحابة على خلافة أبي بكر، وتفضيل عثمان على أمير المؤمنين عليه السلام، وطاعة السلطان وإن كان ظالمًا، فضلًا عن أحاديث التجسيم والتشبيه التي غزت كتب الحديث إبان تلك الحقبة، ومما يسجل من الانحرافات العقدية في خلافة المتوكل ظهور كتاب الجامع الصحيح للبخاري (ت ٢٥٦هـ) المعروف بـ(صحيح البخاري)، وهو أهم كتب الحديث عند المدرسة السنية، ويبدو أن الأجواء السياسية هي التي فرضت تصدير مرويات البخاري وإضفاء هالة من القداسة على أحاديثه المحشوة بالإسرائيليات حتى صار ثاني كتاب بعد كتاب الله تعالى على ما فيه من التدليس والتحريف والرواية عن الضعفاء والمجروحين الذين بلغوا – بحسب إحصائية ابن حجر – ستمائة رجل[١٥]!

ولعل الانحرافات الداخلية التي عصفت بالحالة الشيعية كانت من أخطر

الانحرافات العقدية التي واجهها الإمام الهادي عليه السلام، فقد انتشرت بعض الفرق المنحرفة التي تسربلت باللباس الشيعي كالغلاة والمفوضة والواقفة، وهي مجموعات فكرية تتبنى عقائد الغلو والكفر والإلحاد مستغلة هشاشة الوعي لدى بعض المناطق الشيعية، ومنطلقة من تأويل الأحاديث المتشابهة لأهل البيت عليهم السلام كما هو دأب أهل الزيغ والضلال.

لقد واجه الإمام الهادي عليه السلام – بمعونة وكلائه – فرق الغلاة والواقفة بمنتهى الحزم والقوة مستفيدًا من جهاز الوكلاء المتطور في ضرب رموز الفتنة، وإسقاط هيبتهم، وتحذير الشيعة من كل عقائدهم المنحرفة، وقد وصل الأمر وشدة المواجهة في بعض الأحيان أن يطلب الإمام الهادي عليه السلام من بعض شيعته القيام بقتل بعض أولئك المنحرفين لما لمسه من خطورة الإبقاء على تحركاتهم المشبوهة.

ومن أولئك الغلاة الذين حاربهم الإمام الهادي عليه السلام، وخرجت التوقيعات بذمهم ولعنهم، وتحذير الشيعة منهم:

١ـ علي بن مسعود القمي، المعروف بعلي بن حسكة ويعرف بالحوار، وتلميذه القاسم بن يقطين الشعراني القمي: كانت لعلي بن حسكة القمي حركة واسعة في قم، استطاع من خلالها استغفال العديد من البسطاء والسذج، وذوي النفوس المريضة، والعقول السقيمة، منهم: القاسم اليقطيني، وابن بابا القمي، ومحمد بن موسى الشريقي، ومن عقائده الباطلة ادعاؤه ربوبية الإمام الهادي عليه السلام، وتحريض الناس على ترك الفرائض والسنن؛ بحجة المعرفة وعدم الحاجة إلى العبادة، وقد صدرت من الإمام الهادي عليه السلام ثلاث توقيعات بذم علي بن حسكة وجماعته، وفي أحدها يأمر الإمام بقتله وقتل كل من يروج لأفكاره الضالة، وكان من كلام الإمام عليه السلام بحقهم: (فاهجروهم لعنهم الله، والجؤوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدتَ من أحدٍ منهم خَلوة فاشدخ رأسه بالصخر)[١٦].

٢. محمد بن نصير الفهري النميري البصري، والحسن بن محمد بن بابا القمي: وقد زعم كل منهما أنه نبي وأن الإمام الهادي عليه السلام هو الذي أرسله، وكانت من عقائدهم الفاسدة القول بالتناسخ، والدعوة للإباحية والمثلية الجنسية، وقد صدر من الإمام الهادي عليه السلام توقيع بلعنهما، وأفتى الإمام فيه بوجوب قتلهما وإراحة الناس منهما[١٧]، ويبدو أن الكوادر الشيعية استطاعت أن تظفر بالحسن بن محمد بن بابا القمي وتنجح في تصفيته، أما النميري الفهري ففقد أفلت من الاغتيال وبقي إلى زمان الإمام المهدي عليه السلام، وله فرقة منقرضة تعرف بالنصيرية، ولعل من فروعها الطائفة العلوية المنتشرة اليوم في بلاد الشام لاسيما سوريا ولبنان، غير أن المصادر السنية تنسب الفرقة النصيرية لنصير مولى أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقولون إنه ادعى الألوهية في أمير المؤمنين عليه السلام[١٨].

٣ـ فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني: وتعد حركته من أخطر الحركات العقائدية المنحرفة التي انتشرت في مدينة بغداد وما حولها من القرى والقصبات، ووصلت تأثيراتها إلى مناطق مهمة في إيران، ولا سيما مدينة قزوين، وقد استقر فارس أخيرًا في سامراء مما دفع الإمام الهادي عليه السلام إلى إصدار أكثر من عشرة توقيعات في

ذمه ولعنه، والبراءة من عقائده، وتحذير الشيعة من الانخداع بتسويقه الدعائي للغلو ولبس الباطل لبوس الحق، والسبب في خطورة حركة فارس القزويني يكمن في أمور عدة منها:

أ- إن فارس كان مستقيمًا أول أمره، وله مصنفات في الرد على الواقفة والإسماعيلية، وفي تفضيل الأئمة عليهم السلام، فالارتكاز الجماهيري عن شخصيته كان إيجابيًا قبل انحرافه حتى إن محمد بن عيسى اليقطيني روى عنه أحاديث في الفقه[١٩].

ب- انتماؤه إلى أسرة علمية معروفة، إذ يظهر من بعض الأدلة التاريخية كونه ابن اخت المحدث الجليل والوكيل الثقة (صفوان بن يحيى بياع السابري)، فقد أورد الطوسي في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام سعيد ابن أخت صفوان بن يحيى، ثم عقب عليه بأنه (أخو فارس الغالي)[٢٠]، فإذا كان أخاه لأمه، فقد ثبت كون فارس ابن أخت صفوان بن يحيى، ومما لا شك فيه أن صفوان بن يحيى كان علمًا من أعلام الطائفة الشيعية المحقة، وهو من كبار الفقهاء والمحدثين، ومن الوكلاء المخضرمين، ولا شك أيضًا أن فارسًا قد استغل صلة القرابة هذه للولوج إلى مجالس الفقه والرواية، والسعي لاستجلاب الأتباع والنفوذ، ومن ثم إظهار المعتقدات الباطلة. ومن إخوته أيضًا (طاهر بن حاتم)، كان من رواة الحديث، وحدثت عنه الشيعة قديمًا، ثم أظهر هو الاخر القول بالغلو فتركوه، يقول الشيخ الطوسي في ترجمته: (كان مستقيمًا، ثم تغير وأظهر القول بالغلو، وله روايات. أخبرنا برواياته في حال الاستقامة جماعة)[٢١]، وكان من إخوانه (أحمد بن حاتم بن ماهويه)، وهو الذي أرسل كتابًا للإمام الهادي عليه السلام، يسأله عمن يأخذ معالم دينه؟ وكتب أخوه[٢٢] أيضًا بذلك، فكتب إليهما: (فهمت ما ذكرتما، فاعتمدا في دينكما على مسن في حبنا، وكل كثير القدم في أمرنا، فإنهم كافوكما إن شاء الله تعالى)[٢٣].

ج- أنه كان يتصرف وكأنه وكيل عن الإمام الهادي عليه السلام، وقد تصدى له علي بن جعفر الهماني، الوكيل الشرعي للإمام الهادي عليه السلام، فجرت بينهما مشاحنات كبيرة انتهت بكشفه أمام الشيعة.

د- إنه كان يحظى بدعم ورعاية من قبل جعفر المعروف بالكذاب، وهو ابن الإمام الهادي عليه السلام، ويبدو أن تأثير حركته قد تجاوز المدن العراقية ليصل إلى مدن إيران كمدينة قم وهمذان اللتين وجد فيهما بعض الأتباع والنفوذ[٢٤]، وقد استمرت هذه العلاقة حتى بعد هلاك فارس، فقد أورد الخصيبي أن أتباع فارس قالوا بإمامة جعفر بن علي، المعروف بالكذاب، وأنكروا إمامة الحسن العسكري عليه السلام[٢٥]، ولا نستبعد أيضًا أن يكون لفارس علاقات مع السلطة العباسية، ولاسيما في عهد المتوكل.

هـ - إن فارس بن حاتم كان صلبًا في رأيه، عنيدًا في موقفه، ليس له حياء يردعه، ولا ورع يحجزه، وكان لتشدده هذا أثر في إيذاء الإمام الهادي عليه السلام، وفي خداع الكثير من الناس ممن ينساقون جهلًا خلف الشخصيات التي تمتاز بالكاريزما والثبات على الموقف.

استعمل الإمام الهادي عليه السلام أسلوبًا متدحرجًا في التعاطي مع حركة فارس القزويني، فقد أمر أولًا وكلاءه وشيعته بترك الجدال معه، ومقاطعته، فلما لم ينفع

معه، انتقل الإمام عليه السلام إلى لعنه والبراءة منه، وأخيرًا أصدر الإمام الهادي عليه السلام أمرًا بتصفيته وإراحة الشيعة من ضلالاته، وقد كلف الإمام عليه السلام بمهمة قتله أحد المخلصين الأبطال من شباب الشيعة في سامراء، يعرف باسم (جُنيد أو الجُنيد)، فأخذ جُنيد ساطورًا وكمن لعدو الله بعد الصلاة المغرب وقتله، وكان ذلك بعد سنة ٢٥٠ هـ، وروى الكشي ما يفيد أن الإمام العسكري عليه السلام ضمن لجُنيد الجنة[٢٦].

ومن الوكلاء الذين كان لهم دور في إخماد حركة فارس القزويني: علي بن جعفر الهُماني، إبراهيم بن محمد الهمداني، عثمان بن سعيد العَمري.

رابعًا: التمهيد لزمن الغيبة الصغرى

من الأسباب المهمة التي دفعت الإمام الهادي عليه السلام، ومن بعده الإمام العسكري عليه السلام، إلى زيادة الاعتماد على الوكلاء، هو التمهيد لدخول الحالة الشيعية في زمن الغيبة؛ لأن الوضع الشيعي كان هشًا في كثير من المناطق التي لم تعرف التشيع إلا قريبًا بعد زمن الإمام الصادق عليه السلام، فكان لا بد من تهيئة الذهنية الشيعية للتعامل مع (رواة الحديث) من الوكلاء الذين يروون للناس أحاديث أهل البيت عليهم السلام ويعلمونهم العقيدة والأحكام لا يتجاوزون بذلك كلام الأئمة عليهم السلام لكي تكون الحالة الشيعية بمأمن من الفتن والبدع والعقائد الفاسدة والسلوكيات المنحرفة، وبالفعل فإن هؤلاء الوكلاء الأجلاء كانوا في غاية الإخلاص والأمانة، والاحتياط والورع، والتحرز عن الإفتاء بما لا يعلمونه، أو استعمال الرأي والاجتهاد، فقاموا بنشر ثقافة الرواية ومنهجية الحديث في المناطق الشيعية، وكانوا يقولون للشيعة: ما نقول لكم شيئًا من عند أنفسنا، وإنما ذلك مسموع من الأئمة عليهم السلام.

وقد نجح الإمامان العسكريان عليهما السلام نجاحًا كبيرًا في ترسيخ مفهوم الوكلاء في المجتمعات الشيعية لاستيعاب الصدمة التي سيخلفها غياب الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار مع بزوغ فجر الغيبة الصغرى؛ فمن الثوابت التاريخية أن الثقة الجليل (عثمان بن سعيد العَمري)، كان أول أمره وكيلًا للإمام الهادي عليه السلام، وقد خدمه وله من العمر١١عامًا، وكان من كبار وكلائه، وموضع اعتماده، بل كانت الوكلاء من المناطق البعيدة عن حاضرة المعصوم تقصد العَمري لأخذ التعليمات وإيصال الحقوق والصلات في حال تعذّرَ أو تعسّرَ اللقاءُ بالإمام الهادي عليه السلام، وظل أبو عمرو عثمان بن سعيد، من الوكلاء المبرزين في زمان الإمام العسكري عليه السلام، وهكذا لما حانت الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠ هـ، وصار عثمان بن سعيد أول السفراء، لم يكن عند أي أحد من الشيعة شك في وثاقته، وصدقه، وأمانته، ولذلك لم يجرؤ أحد من المنحرفين على ادعاء السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام ما دام أبو عمرو حيًا، فلما أن توفي بحدود ٢٦٥هـ، بدأ

البعض بالتجاسر، وادعاء السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام لاستدرار الأموال، واستجلاب الأتباع، فتصدى لهم الوكلاء الشرعيون، العَمري الابن، وابن روح، والسمري، ومن خلفهم الإمام المهدي عليه السلام، وكثير من المخلصين من الشيعة، واستطاعوا فضحهم وهتكهم أمام الجماهير الشيعية لما يتمتعون به من سمعة حسنة، وسيرة طيبة، وتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

ولولا هذا العدد الكبير من الوكلاء والرواة المخلصين الذين نشرهم الأئمة عليهم السلام في كل مدينة أو ناحية شيعية، لشهدنا انهيار القواعد الشيعية مع بدء غيبة الإمام المهدي عليه السلام، ولتمكنت الشبهات والبدع من تهشيم النسيج الشيعي لينتهي بعد مدة من الزمن، ولكن الله تعالى متم نوره ولو كره الكافرون.

منهجية الإمام الهادي عليه السلام في إدارة الوكلاء

يظهر لنا من خلال النصوص الحديثية والتاريخية أن الإمام الهادي عليه السلام اتبع منهجية دقيقة في تنظيم عمل الوكلاء، وكان لهذا الأسلوب المنهجي في إدارة جهاز الوكالة أثر كبير في إنجاح مهام الوكلاء، وتجنيبهم الكثير من الأخطار بسبب مضايقات السلطة ورجالها، كما ساهمت هذه المنهجية في تقليل نسبة الخطأ المحتملة في تحركات الوكلاء الميدانية، وتتلخص منهجية الإمام الهادي عليه السلام في إدارة عمل الوكلاء بالأمور الآتية:

أولًا: إتباع النظام الهرمي

ويتمثل بوجود ما يمكن أن نسميه (الوكلاء الإقليميين)، وهم رجالات الصف الأول من الوكلاء الذين كانوا يمثلون مرجعيات إقليمية لوكلاء آخرين يعملون في مدن صغيرة أو مناطق محدودة.

وتهدف هذه التراتبية الإدارية إلى تقليل مراجعات الوكلاء للإمام الهادي عليه السلام في المدينة وسامراء، وبالتالي تقليل الشد الأمني الذي كان محيطًا بالإمام وشيعته، وخاصة وكلاء الإمام الذين كانت عيون السلطة ترصد تحركاتهم وتتحين الفرص لاعتقالهم.

كما تساهم هذه المنهجية التنظيمية في سهولة إيصال الأوامر والفتاوى من الإمام إلى الوكلاء، وتسهيل نقل الأموال وسائر الحقوق الشرعية من مناطق الشيعة إلى الإمام الهادي عليه السلام.

وفي هذا السياق يبرز دور الوكيل الفذ (عثمان بن سعيد العَمري) كأحد أبرز وكلاء الصف الأول، وكان الوكلاء يرجعون إليه في كثير من الأوقات لاسيما إذا كانت حركة الإمام مقيدة بالسجن أو الإقامة الجبرية.

كما أمر الإمام الهادي عليه السلام وكيله (علي بن بلال الواسطي) بالرجوع إلى الوكيل الكبير (الحسن بن راشد البغدادي) وأن يأخذ منه التوجيهات، ويسلمه أموال الخمس والزكوات وما يتعلق بشؤون الوقف والقضاء بين الشيعة.

ثانيًا: تحديد الصلاحيات

كان الإمام الهادي عليه السلام لا ينصب وكيلًا حتى يعرّفه مهامه وصلاحياته، وكثيرًا ما يحدد له المناطق الجغرافية التابعة له، وهذه المنهجية مهمة جدًا في تنظيم العمل، ومنع اختلاط الصلاحيات، وقد نهى الإمام الهادي عليه السلام بعض الوكلاء عن التواصل

الثنائي بينهم؛ لأن هذه الاتصالات ربما تثير حفيظة السلطات، وتكشف منظومة الوكلاء أمام أجهزة السلطة العباسية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما صدر من الإمام الهادي عليه السلام إلى الوكيلين الجليلين (أيوب بن نوح بن دراج) و (الحسن بن راشد البغدادي)، فقد أمرهما بقطع الإكثار بينهما، وعدم استلام الحقوق إلا من مناطق وكالتهما، وجاء في نص الكتاب الذي رواه الكشي في رجاله: (وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي، وأن يلزم كل واحد منكما ما وُكل به، وأُمر بالقيام فيه بأمر ناحيته)[٢٧].

ثالثًا: السرية في العمل

لا شك أن اتباع السرية في العمل الميداني له فوائد كثيرة في إنضاج العمل، وحفظه من عيون السلطة وأجهزتها، لاسيما وسط الأجواء السياسية والفكرية الملتهبة التي عاصرها الإمام الهادي عليه السلام، ومن أوضح الأمثلة على نجاح منهج السرية الذي اعتمده الوكلاء ما جرى من خروج التوقيع بلعن فارس القزويني، فبالرغم من أن فارس كان موجودًا وقتها في سامراء، وله عيون على أصحاب الأئمة، واتصالات مشبوهة مع السلطة، إلّا أن الإمام الهادي استطاع بمعونة وكيليه عثمان العمري، وعلي بن عمرو القزويني، أن ينفذ التوقيع إلى مدينة قزوين أولًا ثم بقية المدن ثانيًا، دون أن يشعر أتباع فارس بشيء من ذلك، وساهمت حركة الممانعة المكثفة، التي قادها الوكلاء وبعض المخلصين من الشيعة، ساهمت في القضاء على حركة فارس ومحوها حتى من كتب التاريخ.

ومن مناهج العمل السري أن الإمام الهادي عليه السلام كان كثيرًا ما يستعيض عن أسماء الوكلاء الصريحة بألقاب يعرفها الشيعة أكثر من غيرهم، فالعَمري لم يكن لقبًا معروفًا لعثمان بن سعيد، وإنما لقبه الإمام الهادي عليه السلام، وكذا الحال مع البلالي، والعليل، والغائب، والزراري؛ كلها ألقاب حركية تستعمل عادة للتغطية على الأسماء الصريحة للوكلاء.

رابعًا: حسن الاختيار

إن متابعة السيرة الذاتية لوكلاء الإمام الهادي عليه السلام تكشف للباحث أن الإمام الهادي عليه السلام كان دقيقًا في اختيارهم، فكلهم من أهل الصدق والورع، وأهل الفقه والرواية، وأصحاب شأن بين الناس، وحتى عروة بن يحيى الدهقان[٢٨] الذي انحرف آخر عمره، كان أول أمره مستقيمًا، وساهم في التصدي لحركة الانحراف الفكري الذي دبّ في بعض الأوساط الشيعية.

خامسًا: رعاية الوكلاء

كان جميع وكلاء الإمام الهادي عليه السلام تحت أنظار رعايته الشريفة، سواء منهم من بعدت شُقته أو كان قريبًا من حاضرة المعصوم، وكان أبو الحسن عليه السلام يحرص على تأمين حاجة الوكلاء من الأموال، ويغدق عليهم مما أنعم الله تعالى به عليه، ولهذا التأمين دور مهم في مساعدة الوكيل على أداء دوره بشكل أفضل، فبالمال يشتري العبيد والدواب، ويساعد الضعفاء والمحتاجين، ويتنقل بين القرى والقصبات لجمع الحقوق وإيصال الأوامر والفتاوى، وبالمال يتقي شر السلطة وعمالها فيعطيهم من الأموال ما يدفع به الضرر عن نفسه وعن الشيعة أو يستجلب النفع له ولهم، والأمثلة الروائية على ما نقول كثيرة، فمن

ذلك ما رواه ابن شهرآشوب في مناقبه قال: (دخل أبو عمر عثمان بن سعيد وأحمد بن إسحاق الأشعري وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فشكا إليه أحمد بن إسحاق دَينًا عليه فقال: يا أبا عمرو - وكان وكيله - ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار)[٢٩].

ولم تقتصر رعاية الإمام عليه السلام لوكلائه على تأمين الاحتياجات المالية، وإنما كان الإمام عليه السلام ملتزمًا بتربيتهم، وتعليمهم، والدعاء لهم بالحفظ والرزق وحسن العاقبة، وفي التاريخ شواهد عديدة على ما نقول.

---

١) أصول الكافي ١\٤٦٩؛ بحار الأنوار ٥٠\١١٧.
٢) أصول الكافي ١\٤٧٢؛ بحار الأنوار ٥٠\٢٣٤.
٣) رجال النجاشي ص ١٦.
٤) الوافي بالوفيات ٥\٩٤.
٥) المصدر نفسه ٢٧\١٢٠.
٦) بلغ من شدة تعصبهم أنهم لم يحاربوا من خالفهم وحسب، بل حتى من توقف في عقائدهم، فلم يقبلها ولم ينكرها، أورد الذهبي عن حرب الكرماني قال: سالت أحمد بن حنبل أيكون من أهل السنة، من قال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق؟ قال: لا، ولا كرامة – تاريخ الإسلام ١٧\٥٤.
٧) تاريخ الطبري ٧\٣٦٥، البداية والنهاية ١٠\٣٤٧، قال الذهبي: (وفي سنة ست وثلاثين ومأتين هدم المتوكل قبر الحسين "رضي الله عنه"، فقال البسامي أبياتاً منها:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا
في قتله فتتبعـوه رميمـــــاً

وكان المتوكل فيه نصب وانحراف، فهدم هذا المكان وما حوله من الدور، وأمر أن يزرع، ومنع الناس من انتيابه) – سير أعلام النبلاء ١٢\٣٥.
٨) أنظر مثلاً: البداية والنهاية ١٠\٣٨٢.
٩) الوافي بالوفيات ٢\٢١٦.
١٠) بحار الأنوار ٥٠\١١٧.
١١) الوافي بالوفيات ٢\٢١٧.
١٢) الكافي ١\٣٢٤.
١٣) البداية والنهاية ١٠\٣٤٨.
١٤) أورد الذهبي أن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي، كان قاضي القضاة للمتوكل، هو الذي وضع حديث: (أصحابي كالنجوم من اقتدى بشئ منها اهتدى) – ميزان الاعتدال ١\٤١٣.
١٥) جواهر التاريخ ص٨، مقدمة فتح الباري ٣٨١.
١٦) اختيار معرفة الرجال ٢\٨٠٢.
١٧) المصدر نفسه ٢\٨٠٥.
١٨) الوافي بالوفيات ٢٧\٦٣.
١٩) رجال النجاشي ٣١٠، الاستبصار ١\١٧٨.
٢٠) رجال الطوسي ٣٥٨.
٢١) الفهرست ١٤٩.
٢٢) لعله فارس نفسه أو طاهر الذي مر ذكره.
٢٣) اختيار معرفة الرجال ١\١٥، بحار الأنوار ٢\٨٢.
٢٤) كمال الدين ٥٨.
٢٥) الهداية الكبرى ٣٨٤.
٢٦) اختيار معرفة الرجال ٢\٤٠٧، الإرشاد ٢\٣٦٥، وأورده ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٣\٥١٩.
٢٧) اختيار معرفة الرجال ٢\٨٠٠.
٢٨) يعد عروة بن يحيى الدهقان المثال الوحيد للوكلاء الذين ختموا حياتهم بالنصب والانحراف.
٢٩) مناقب ابن شهرآشوب ٣\٥١٢.

ملف العدد

مراحل إعمار المرقد الطاهر

للإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء

الباحث : حامد شاكر منيب

ينابيع بعد أن استقدم المتوكل العباسي الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام من المدينة المنورة التي كان مولده بها، إلى سامراء سنة (٢٤٣هـ /٨٥٧ م)، بعد أن كثرت الوشاية عليه، ليضعه تحت أنظاره وعيونه، أبلغ الإمام أن لا يغادر سامراء بعد هذا المجيء - أي أنه وضع تحت الإقامة الجبرية في سامراء - ، مما حدا بالإمام أن يبتاع دارًا من رجل نصراني اسمه دليل بن يعقوب، فسكنها الإمام عليه السلام مع أهله وعياله الذين جاء بهم من المدينة معه، وكان في الدار سرداب، ولما توفي الإمام عليه السلام -

إثر سمّه من قبل المتوكل العباسي ـ سنة (٢٥٤هـ /٨٦٨ م) دفن في صحن داره [١]، أو في حجرة من حجراتها.

بعد ست سنوات على اغتيال الإمام الهادي عليه السلام وفي سنة (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) اغتيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام من قبل (الطاغية المعتمد العباسي، فقد هاله وأزعجه ما يسمع من إجماع المسلمين على تعظيم الإمام والإقرار له بالفضل، وتقديمه على جميع العلويين والعباسيين، فأجمع رأيه على اغتياله فدس له سمًا قاتلاً، فلما تناوله تسمم بدنه الشريف، فلازم الفراش وأخذ يعاني آلامًا قاسية ومريرة، وهو صابر محتسب، قد ألجأ ما يعانيه إلى الله تعالى)[٢]. فدفن إلى جوار والده الإمام الهادي عليه السلام وهو ابن ثمان وعشرين سنة[٣]. وفي نفس العام توفيت السيدة نرجس والدة الإمام المهدي عليه السلام ودفنت خلف قبر الإمامين عليهما السلام بمسافة قليلة.

في سنة (٢٧٤هـ /٨٨٧م) دفنت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام جوار أخيها الإمام الهادي عليه السلام. ثم دفن في نفس الدار من توفي بعد ذلك من عائلة الإمام عليه السلام بعضهم إلى جوارهما وبعضهم بالقرب منهما.

في سنة (٢٨٩هـ /٩٠٢م) وبعد موت المعتضد العباسي نُصب شُباك في جدار الدار يشرف منه المارة في الشارع على القبور التي بداخلها، فكان بعض الناس من الشيعة الموالين يزورون الإمامين عليهما السلام من وراء الشباك. بقيت الدار على حالها ما يقرب من خمس وأربعين سنة دون أن تمسها يد التعاهد والإصلاح، فقد شاء الله أن يكون ذلك الدار حرمهم المطهر الذي ضم تلك الأجساد الطاهرة، ومأوى ومزار شيعتهم ومحبيهم، تحرسه ملائكة السماء ويطوفون حوله ويستغفرون لمن لجأ إليه وأناخ رحله فيه، ويكون أحد البقاع التي أحبها الله وأحب أن يناجى ويدعى فيها.

وكان تحت أضرحتهم المطهرة سرداب، وفيه باب خشبي جميل، عمل سنة ٦٠٦هـ بأمر الخليفة العباسي الناصر لدين الله تزينه كتابة نسخية جميلة، تبرز على أرضية مزخرفة...

ويزين جدران السرداب كاشي ملون ومزخرف، ويمتد على طول الجدران الثلاثة نطاق من الخشب طوله ٨٠ر٤م، فيه كتابة كوفية بارزة تضم اسم النبي صلى الله عليه وآله وأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وفي سنة (٣٣٢هـ /٤٤ - ٩٤٥م) أيام ناصر الدولة الحمداني بنى قبة على الضريحين وسوّرهما بسور متين[٤].

وفي (أيام الدولة البويهية أنفق معز الدولة ـ ثالث ملوكهم ـ أموالًا جزيلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين وسرداب الغيبة، وجعل لضريحيهما صندوقًا من الخشب ورتب لهما حجّابًا، وأجرى لهم ـ متعهدي الخدمة فيه ـ الأرزاق. فلما انتقل المُلك إلى ابن أخيه عضد الدولة البويهي، أمر هذا بعمارة الروضة والأروقة ووسع الصحن وشيّد سورًا للبلد الذي أخذ بالاتساع، وكان ذلك في عام ٣٦٨هـ ـ ٩٨٧م)[٥].

وفي سنة (٤٠٧هـ /١٦ - ١٠١٧م) وقع حريق في بعض أطراف المرقد المطهر، ويبدو أن أضراره كانت طفيفة.

وفي سنة (٤٤٥هـ /١٠٥٣م) ترك الأمير التركي أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري وهو من مماليك بني بويه، ترك بغداد، وحل بتكريت، فأمر بعمارة

المرقد الشريف عمارة عالية تليق بالإمامين العسكريين عليهما السلام، فعمر القبة والضريحين من جديد، وعمل صندوقين من الساج ووضعهما على القبرين، وجعل رمانتاهما من الذهب، فكانت هذه أول قطع ذهبية تهدى إلى مرقد الإمامين عليهما السلام[٦].

وفي سنة (٤٩٥هـ/١١٠٢م) كلف الملك بركيا روق ابن ملك شاه السلجوقي أبو المظفر ركن الدين، رابع سلاطين السلاجقة، كلف وزيره مجد الدولة بإجراء إصلاحات على مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، فقام الوزير بالإيعاز لإعادة بناء سور المرقد الشريف، وتجديد جميع أبواب الروضة العسكرية من أغلى وأجود أنواع الخشب، وترميم القبة والرواق والصحن.

وفي سنة (٦٠٦هـ /٩ - ١٢١٠م) قام أبو العباس الناصر لدين الله أحمد بن المستضئ بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسي المتوفى سنة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) بتعمير القبة فوق الضريحين، وتزيين الروضة الشريفة من الداخل، وبناء مئذنتين، وتجديد بناء سرداب دار الإمام، وكتابة أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على باب خشبي من داخله في شباك وضعه على صفة (سقيفة) في آخر السرداب، ولا يزال هذا الباب موجودًا إلى يومنا هذا...كما كتب عليه من الخارج آيات قرآنية واسم الناصر لدين الله، وكانت هذه الصفة في يوم ما موضع حوض ماء يتوضأ منه أو يستحم به.

وفي سنة (٦٤٠هـ /١٢٤٢م) وقع حريق في سر من رأى فأتى على ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين وإعادتهما إلى أجمل حالاتهما، وكان الضريحان مما أمر بعملهما أرسلان البساسيري[٧].

وفي سنة (١١٠٦هـ /٩٤ - ١٦٩٥م) وقع حريق في داخل الروضة المشرفة نتيجة ترك الخدم لسراج موقد في مكان غير مناسب، فوقعت منه نار على بعض الفرش فاحترق، وأخذت النيران تسري في الخشب حتى التهمت صندوقي المرقدين والأبواب، وجعلت كل شيء رميمًا. وحدثت من جراء ذلك الحريق فتنة عقائدية لدى ضعفاء الإيمان.

فوصل الخبر إلى الشاه حسين بن سليمان الصفوي، وهو آخر ملوك السلسلة الصفوية الرسميين، فأمر بصنع أربعة صناديق في غاية التزيين والترصيع. صندوقان لضريحي الإمامين العسكريين، والآخران - حسب الظاهر - للسيدتين الكريمتين نرجس وحكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، وعمل شباك فولاذي ليوضع فوق الصناديق، ودعم البناء، وزين الروضة من الداخل بخشب الساج، وفرش أرض المرقد بالرخام، وأمر السلطان جماعة من العلماء والأعيان الإيرانيين بمرافقة الصناديق والضريح والهدايا التي أرسلها معهم إلى سامراء والإشراف على عمليات النصب، وكان دخولهم يومًا مشهودًا، وقد كتب اسم الشاه حسين على واجهة باب الشباك الفولاذي[٨].

في أواسط سنة (١١١٧هـ/١٧٠٥م)؛ توجه الوزير (حسن باشا الجديد) لزيارة الإمامين علي الهادي، والحسن العسكري عليهما السلام في سامراء. فأنعم على الفقراء والخدام[٩].

في أواخر العام ١١٣١هـ؛ وقع الطاعون

وكثرت الإصابات. وتعد بالألف أو أزيد يوميًا. وهرب أغلب الأهلين، وخرج الوزير بعساكره إلى أنحاء سامراء. واستمر الطاعون إلى أوائل العام التالي[١٠].

ودخلت سنة (١٢٠٠هـ /١٧٨٦م) فتصدى الملك المؤيد الشهيد أحمد خان الدنبلي أحد أمراء خوي في آذربايجان لعمارة المشهد المقدس للإمامين العسكريين عليهما السلام، وكلف أحد علماء ذلك الوقت وأفاضلهم وهو الميرزا محمد رفيع السلماسي لتولي الإشراف على نفقات عمليات الصيانة والتعمير والبناء. وبعد رصد المبالغ اللازمة شرع بعمارة الروضة والسرداب بالحجر الصوان والرخام، وقد كان للسرداب باب من جهة القبلة يدخله الزائر بعد زيارة مرقد العسكريين بأن ينزل درجًا ثم يسير في ممر ضيق جدًا حتى يدخل السرداب، ففي سنة (١٢٠٢هـ /١٧٨٨م) ردم الباب من جهة القبلة وجعل للسرداب بابًا من الجهة الشمالية، واستبدلت الأبواب الخشبية. ثم شمل البناء الرواق والإيوان والصحن، وجدد بناء السور، وروعي في ترتيب البناء أن يحاكي مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف في ذلك الوقت.

وأضاف إلى البناء الجديد صحنًا آخر، ورواقًا ينتهي إلى السرداب، وبنيت الروضة الشريفة على أجمل طراز، وأحدث فن هندسي، كما شمل الإعمار ضريحي السيدتين نرجس وحكيمة (رض). وقد صرفت مبالغ طائلة على هذا المشروع التجديدي، لكن الأحداث والظروف لم تمهل الأمير أحمد خان، فقد قتل في نفس العام، ودفن في رواق الإمامين في سامراء[١١]، وحال موته دون إتمام بناء المرقدين المطهرين. فأتمه ولده الأكبر الأمير حسين قلي خان، وبنى مسجد حضرة الحجة، وأنشأ خانًا وحمامًا في

سامراء[١٢].

وفي سنة (١٢٨٥هـ /١٨٦٨م)، تبرع السلطان ناصر الدين شاه القاجاري بالإنفاق على تشييد قبة مطلية بالذهب تعلو ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام وهذه القبة من أكبر قباب الأئمة في جميع أنحاء العالم، حيث يبلغ محيطها (٦٨) مترًا، وقطرها (٢٢) مترًا و ٤٣ سنتمترًا، ويبلغ عدد الطابوق المذهب الملصوق بها (٧٢٠٠٠) طابوقة[١٣]. ونصبت ساعة على السور فوق الباب الرئيس للصحن وهي الساعة الموجودة حاليًا. والظاهر أن هذه آخر عمارة أساسية لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام الذي كان في كل مرة يزداد اتساعًا ورونقًا وجمالًا. حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من الأبهة والجلال والسعة، إذ تبلغ مساحته اليوم حوالي (١٣) ألف متر مربع. فطول الصحن (١١٢) مترًا، وعرضه (١٠٨) أمتار، وهو مفروش بالمرمر الأبيض. وأما ارتفاع سوره فيبلغ (٧) أمتار، وهو مكسو إلى ارتفاع مترين بالمرمر الأبيض، وما يعلوه فقد كسي بالقاشاني الملون البديع. في سنة (١٢٨٧هـ /١٨٧٠م) قام ناصر الدين شاه بزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء وقد حمل معه من التحف والهدايا والأموال الشيء الكثير[١٤].

كما أنجزت مشاريع لتوسيع الصحن الشريف، وكذلك إكساء شباك المرقد الطاهر بالفضة والذهب، وإنشاء وإصلاح مرافق خدمية أخرى متنوعة.

وعند حلول القرن العشرين توالت الاصلاحات والتوسعة وفتح الشوارع حول الصحن الشريف، وجلب مولدات الكهرباء الديزل فتنور الصحن الطاهر وما حوله وقد علقت الثريات والمصابيح الكهربائية ليشع ضياؤه المرقد الطاهر ليزداد جمالا وبهاء. وكذلك إجراء الترميمات وتوسعة

المرافق العامة لراحة الزائرين ورفاههم. وكان من أبرز ما تم إنجازه في عام (١٣٦٠هـ /١٩٤١م) نقل شباك الإمام الحسين عليه السلام الفضي من كربلاء إلى سامراء لنصبه على ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام بعد ترميمه وإصلاحه.

وفي سنة (١٣٨١هـ/١٩٦١م) نصب شباك فضي مذهّب للإمامين العسكريين عليهما السلام.

وهذا الشباك هو الذي طالته يد الحاقدين النواصب لتفجره فجر يوم ٢٧ من شهر المحرم الحرام، فقد قامت مجموعة من الإرهابيين في صباح يوم الأربعاء ٢٢ شباط ٢٠٠٦ م بتفجير كبير للقبة المطهرة للإمامين العسكريين عليهما السلام بعد أن قاموا بزرع عدد من العبوات الناسفة تحت القبة وفجروها مما أدى إلى انهيار القبة الخاصة بالضريح التي تعتبر أكبر قباب العالم الإسلامي.

انتشر خبر التفجير كالنار في الهشيم، فخرجت الآلاف من الجماهير الموالية الى الشوارع التي بدت تموج بمن فيها وعمت مظاهر الغضب مدن جنوب ووسط العراق في تظاهرات احتجاجية على تفجير المرقد الطاهر.

اجتمع مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف بالمرجع الأعلى، وعقبها أصدر مكتب المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني بيانًا استنكاريًا للفاجعة معلناً فيه الحداد العام لسبعة أيام ودعا فيه إلى ضبط النفس وعدم اتخاذ أي اجراءات تؤدي إلى وقوع الفتنة الطائفية التي يريدها من نفذ التفجير. وكذلك صدرت بيانات مماثلة من باقي مراجع الدين العظام.

ولولا موقف المرجعية في تهدئة الجماهير الغاضبة لانفلت زمام الأمور ولحدثت كارثة وحرب أهلية طائفية لا يعلم مداها إلا الله.

وقد استنكرت هيئات ودوائر ومكاتب وشخصيات عالمية وإسلامية هذا الفعل المشين.

وبعدها قام المؤمنون بالمباشرة بإعادة إعمار الروضة المطهرة للإمامين العسكريين عليهما السلام وهي الآن في مراحلها الأخيرة.

---

١) تاريخ بغداد/الخطيب البغدادي/ج١٢ص٥٧.
٢) حياة الإمام المهدي/باقر شريف القرشي/ ص١٠٨.
٣) فرق الشيعة/النوبختي/ص١١٨.
٤) ينظر: سامراء في المراجع العربية/د.حسين علي محفوظ /موسوعة العتبات المقدسة/ ص١٦٩.
٥) م.ن.
٦) الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ص١٠٤.
٧) ينظر: سامراء في المراجع العربية/د.حسين علي محفوظ /موسوعة العتبات المقدسة/ ص١٦٩.
٨) الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ص١٠٥.
٩) تاريخ العراق بين احتلالين/ج ٥ ص ١٦٦.
١٠) م.ن/ص١٩٩.
١١) الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ص١٠٥.
١٢) أعيان الشيعة/السيد محسن الأمين/ج٣ص١٧٤.
١٣) ينظر: تقريرات آية الله المجدّد الشيرازي/ للعلّامة علي الرّوزدري هامش ج١هـ ص٢٧ المقدمة.
١٤) الكشكول المبوب/حسين الشاكري/ص١٠٦.

نهاية ملف العدد

أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام

بقلم سكينة الربيعي

ينابيع

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي، المرأة الجليلة النبيلة الأصيلة، العابدة الزاهدة، المجاهدة الحازمة، والحبيبة لله ولرسوله، حليلة الرسول وأم البتول، أفضل أمهات المؤمنين، وأشرف زوجات الرسول الأمين، وأول من آمنت به من النساء، وأسبقهن بعبادة رب الأرض والسماء، أميرة عشيرتها وسيدة قومها، ووزيرة صدق لرسول الله صلى الله عليه وآله.

شاءت المقادير الإلهية خروج رسول الله صلى الله عليه وآله في إحدى سفراته هو وميسرة غلام خديجة، وقد كانت خديجة امرأة ذات شرف ومال وتجارة تبعث بها إلى الشام، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم الأموال مضاربة[1].

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في تجارتها مع غلامها ميسرة، وعندما خرج كانت عليه غمامة تظلله حتى قدم الشام، فنزلا في سوق بُصرى في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب يقال له: نسطورا، فاطلع الراهب إلى ميسرة وكان يعرفه،

فقال: يا ميسرة، من هذا الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال ميسرة: رجل من قريش، فقال الراهب: ما نزل تحت هذه إلّا نبيّ[٢]، أفي عينيه حمرة؟ فقال ميسرة: نعم. فقال الراهب: لا تفارقه، هو نبي، وهو آخر الأنبياء[٣]، ويا ليت أني أدركه حيث يؤمر بالخروج.

وعن أبي سعد النيسابوري في الشرف: فلما رأى الغمامة فزع، وقال: ما أنتم؟ قال ميسرة: غلام خديجة، فدنا إلى النبي ﷺ سراً من ميسرة، وقبل رأسه وقدميه وقال: آمنت بك وأنا أشهد أنك الذي ذكره الله في التوراة، ثم قال: يا محمد، قد عرفت فيك العلامات كلها خلا خصلة واحدة، فأوضح لي عن كتفك، فأوضح له، فإذا هو بخاتم النبوة يتلألأ، فأقبل عليه يقبله، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى بن مريم، فإنه قال: لا ينزل بعدي هذه الشجرة إلّا النبيّ الهاشمي العربيّ المكيّ، صاحب الحوض والشفاعة وصاحب لواء الحمد[٤].

فلما عادا أخبر ميسرة خديجة بما جرى لمحمد ﷺ في سفره، (أخبرها عن قول الراهب وعن ما كان من أمر الإظلال، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها بعثت إلى رسول الله ﷺ وقالت إني قد رغبت فيك وفي قرابتك وفي أمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبًا وأعظمهن شرفًا وأكثرهن مالًا، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه)[٥].

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام، فقال: الحمد لرب هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل وأنزلنا حرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا - يعني رسول الله ﷺ - ممن لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح به، ولا يقاس به رجل إلّا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلًا في المال، فإن المال رفد جار وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليك برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله، وله ورب هذا البيت حظ عظيم، ودين شائع ورأي كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وتلجلج وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلًا من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود، فلستَ أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي، والمهر عليّ في مالي، فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك. قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمدًا، وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش: يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضبًا شديدًا وقام على قدميه، وكان ممن يهابه الرجال ويُكره غضبه، فقال: إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلّا بالمهر الغالي[٦].

وهكذا تم الزواج المبارك بين أسعد زوجين محمد ﷺ وخديجة في العاشر

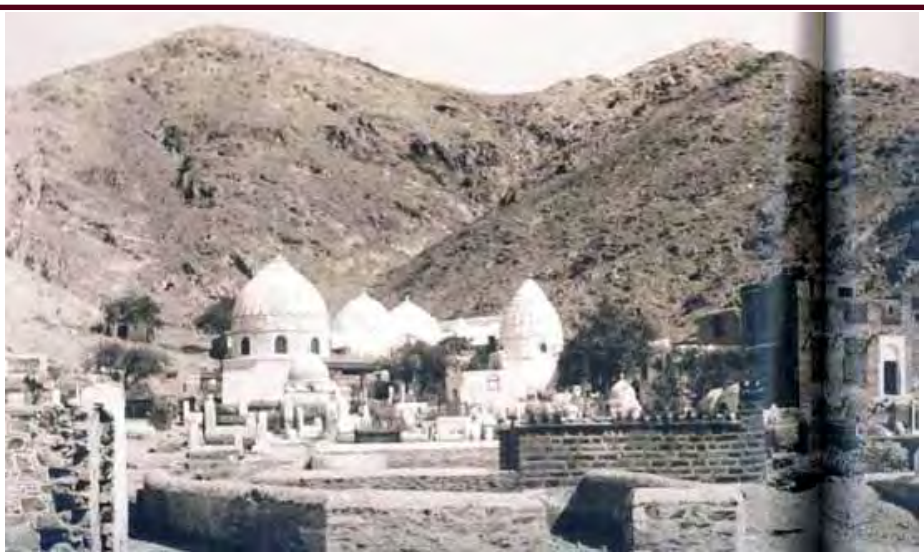

من شهر ربيع الأول سنة ١٥ قبل البعثة المباركة، وقد كان رسول الله محبًا عاشقًا لخديجة، وكانت هي كذلك، وعاشا مدة من الزمن معًا، وخديجة هي الزوج الصابرة المحبة والوفية لزوجها، وفي الوقت ذاته هي الصدر الحنون، والثغر الباسم الذي يواجهه رسول الله ﷺ في عبوس تلك الأيام.. أيام المحنة.. وأيام بدء الرسالة، حيث كانت مع النبي في دعوته، صدقته حين كذبه الناس.. ونصرته حين خذله الناس، وآوته حين كان وحيداً في غربة مكة، وكفر أهلها، وزندقتهم..

وظلت خديجة تنصر النبي ﷺ وتعينه حتى بذلت كل أموالها في سبيل نصرة الإسلام...وفي سبيل الدعوة إليه، وأقامت بأموالها عمود الإسلام، كما قال ﷺ: ما قام ولا استقام ديني إلّا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب)[٧].

وكانت أول من آمن به بعد الإمام علي عليه السلام.. وكما كانت وفية لرسول الله ﷺ ورسالته ومحبة له ولشخصيته كان الرسول ﷺ وفيًا ومحبًا لها، وحتى بعد رحيلها، فقد حزن عليها حزنًا عظيمًا وبقي يذكرها بالخير، ويفضلها على كل نسائه حتى أن نيران الغيران اشتعلت في قلوب بعض نسائه منها، وهي في العالم الآخر؛

(عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا عجوزًا، فقد أبدلك الله خيرًا منها. فغضب ﷺ حتى اهتزّ مقدّم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادًا إذ حرمني أولاد النساء[٨].

وقد ولدت خديجة عليها السلام للنبي ﷺ أولاده القاسم والطاهر وفاطمة الزهراء سلام الله عليها.

فقد وهبت خديجة رسول الإنسانية ﷺ المال والبنين.. والمحبة.. والنصرة.. وبارك الله في نسلها حيث إن الكوثر هي من ذريتها.. ولا زال ينبوع هذا الكوثر يتفجر يومًا بعد يوم ليملأ الآفاق من نسل رسول الله ﷺ الذي عُيِّر في زمن الجاهلية بأنه

الأبتر فأعطاه الله الكوثر: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)(سورة الكوثر).

مطلع النور:

وبعد بعثة النبي الأكرم ﷺ بخمس سنين طلع النور من خديجة، نور فاطمة الذي غمر الوجود بسناه.. وغمر محمدًا وخديجة بالفرح والسرور..

في ذلك البيت الذي تردد فيه صوت الوحي وملأت أرجاءه نجوى الرسول ﷺ وإيمان خديجة أطلت فاطمة عليها السلام على الدنيا، نقية كقطرة ندى سالت على خد ورد في صبح ربيعي جميل كجمرة عشق اشتعلت في قلب عاشق.. كعمود نور انبثق في سحر داجي الظلام..

في العشرين من جمادى الآخرة.. ولد النور من النور.. وكما تذكر الروايات في ولادتها المباركة (إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام... فناداه: يا محمد، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحًا، فشق ذلك على النبي ﷺ، وكان لها محبًا وبها وامقًا، قال: فأقام النبي ﷺ أربعين يومًا، يصوم النهار، ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر، وقال قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلي، ولكن ربي عز وجل أمرني بذلك لتنفذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلّا خيرًا، فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مرارًا، فإذا جنّك الليل فأجيفي الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مرارًا لفقد رسول الله ﷺ، فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته....[٩].

وكان ذلك طعامًا من أطعمة الجنة يهبط به الملك على رسول الله ﷺ، ليتكون منه نطفة الزهراء سلام الله عليها[١٠].

هكذا انعقدت النطفة الطاهرة من الصلب الطاهر إلى الرحم المطهر لتتكون أشرف مخلوقة خلقها الله عز وجل.

فاطمة التي طهرها الله من الدنس والرجس... وجعل نطفتها تنعقد من الطعام السماوي الطاهر لتلج إلى الوجود بطهرها، وتنشر في هذا العالم رائحة الجنان.. وطيبها..

(فلما حملت بفاطمة كانت عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ يومًا فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام، فقال لها: يا خديجة، من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قال: يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنها أنثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وإن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه...)[١١].

نعم، لقد ولدت خديجة (فاطمة)، تلك الهدية الربانية التي وهبها الله لها ليعم خيرها الوجود.. وليملأ نورها قلب النبي بالفرح والسرور..

دفء الحياة:

وعاشت فاطمة في كنف أبوين طاهرين مطهرين.. فأبوها سيد الكائنات، وأمها

سيدة النساء في عصرها.. كانا عاشقين لبعضهما، وكان وجود فاطمة يزيدهما عشقًا وألقًا وتضحيةً رغم صعوبة الأيام التي كانت تمر عليهما باعتبارها السنين الأولى لوضع أسس رسالة سماوية خاتمة.. وشاملة.. وخالدة على مدى الأزمان..

وكان الرسول ﷺ وحيدًا إلّا من بعض الأعوان والأنصار.. والأعداء كثيرون يحيطونه من كل حدب وصوب، ويوجهون إليه الأذى، والآلام، فتارة ينعتونه بالكاذب، وهو الذي كانوا يسمونه (الصادق الأمين)، وأخرى يعدونه مجنونًا وساحرًا... الخ؛ وخديجة في كل هذه المواقف معه تتصره بأموالها.. وتصبّره على الأذى وتطعم أيامه بجلادة عزمها وصلابتها وقوة إيمانها..

واستمر بها الخطب.. وتمادت المصائب تصب على فاطمة عليها السلام وهي لا زالت صغيرة، فعاشت في شعب أبي طالب بعد حصار المشركين للنبي الأكرم وعشيرته.. ورأت الحصار المر بعينيها البريئتين ينصب على أبيها وعلى عشيرتها، واستمرت في هذا الحصار في الشِعب ثلاث سنين[١٢].

ويا ليتها الأيام دامت هكذا.. فما سيأتي أمرّ وأدهى، فقد كان وجود أبي طالب ونصرته للنبي يهون الخطب، وكذلك وجود خديجة الزوجة الوفية المضحية بأموالها ونفسها، وما تملك في سبيل الدعوة الإسلامية.. الأم الحنون الرؤوم التي كانت تغمر فاطمة بالمحبة والعطف والحنان..

ولكن سطوة الأيام كانت قاسية وصرخة المصائب كانت عالية حين اختطف الموت أبا طالب وخديجة في ذات العام.. وواجه الرسول أعظم ﷺ مصيبة حين فقد الناصر.. والسند.. والمعين..

حين فقد القلب الدافئ الذي كان يغمره بحبه.. والسند الذي يتكئ عليه.. ويعينه في مسيرته الرسالية، فقد عمه الناصر والمعين.. وزوجه السند والحبيب والرفيق، فسمى ذلك العام بعام الحزن[١٣].

ودفنت خديجة في الحجون، فنزل رسول الله ﷺ في قبرها، وكانت (فاطمة الزهراء عليها السلام تلوذ برسول الله ﷺ وتدور حوله، وتقول: يا أبه، أين أمي؟ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربك يأمرك أن تقرئ فاطمة السلام، وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وَعَمَدَهُ ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام[١٤].

---

١) ينظر: السيرة النبوية/ ابن هشام الحميري/ ج١ ص١٢١.
٢) م.ن.
٣) ينظر: الطبقات الكبرى/ابن سعد/ ج١ص١٣٠.
٤) سبل الهدى والرشاد/الصالحي الشامي/ ج٢ص١٥٩.
٥) الثقات/ابن حبان/ج١ص٤٦.
٦) الكافي/للكليني/ج٥ص٣٧٥.
٧) شجرة طوبى/ ج٢ ص٢٣٢.
٨) الاستيعاب/ابن عبد البر/ج٤ص١٨٢٣.
٩) البحار/المجلسي:ج١٦ص٨٠.
١٠) ينظر: ن.م.
١١) الأمالي/الشيخ الصدوق/ص٦٩٠.
١٢) روضة الواعظين/الفتال النيسابوري/ ص٥٣.
١٣) السيرة الحلبية/ج٣ص٤٩٨.
١٤) الأمالي/الشيخ الطوسي/ص١٧٥.

* روي عن رسول الله ﷺ قوله: (مَنْ زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي).

وَحَكَى الْعُتْبِيُّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَاهُ أَعْرَابِيٌّ فَأَقْبَلَ وَسَلَّمَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي وَجَدْتُ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: (**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**)، وَقَدْ جِئْتُكَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي ؛ ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ (مِنْ الْبَسِيطِ):

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ

فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكَمُ

نَفْسِي الْفِـدَاءُ لِقَـبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ

فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَـرَمُ

ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَانْصَرَفَ.. قَالَ الْعُتْبِيُّ فَأَغْفَيْتُ إِغْفَاءَةً فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ لِي: يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ غَفَرَ لَهُ.

(تفسير ابن كثير/ ج١ ص٥٣٢)

الإمام السجاد عليه السلام
ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي

لينا أمير عبد الحسين

ينابيع

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، هو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وكنيته: أبو الحسن وأبو محمد، ومن ألقابه: علي الأصغر لكونه أصغر من أخيه الشهيد بكربلاء علي الأكبر، وزين الصالحين، والسجاد لكثرة سجوده، وزين العابدين، والبكّاء، وذو الثفنات.

وأما إمامته فقد قام بأعباء الإمامة بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام عام ٦١ هـ وله من العمر ٢٣ سنة، وتوفي مسمومًا في ٢٥ محرم عام ٩٥ هـ وله من العمر ٥٧ سنة.

عُني الإمام علي زين العابدين عليه السلام من خلال سيرته العطرة عناية بالغة، ببناء المجتمع الإسلامي بناءً عقائديًا وأخلاقيًا، لاسيما في الفترة التي أعقبت فاجعة الطف، بسبب ما وصل إليه حال المجتمع آنذاك من انهيار في الجانب العقائدي والأخلاقي، وابتعاد الناس عن دينهم من جراء سياسات الحكم الأموي التضليلية، التي حملت معول الهدم على القيم الأخلاقية والعقائد الحقة، فانبرى عليه السلام إلى إصلاح المجتمع وتثبيت العقائد الحقة وتهذيب الأخلاق بالقول والفعل.

وكان المسلمون يرون في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام امتدادًا حقيقيًا لسيرة جدّه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وتجسيدًا حيًّا لقيم الإسلام الأصيل، حتى مَلكَ حُبه القلوب، وانشدّت إليه النفوس.

ولقد استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام وهو في قيد المرض، ورهن الأسر الأموي والإقامة الجبرية، أن ينشر أهداف النهضة الكبرى التي فجرها أبوه سيد الشهداء عليه السلام وليكمل مسيرته التي ابتدأها باستشهاده، وذلك بالسعي إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، وبث روح التدين والأخلاق الفاضلة فيه. فتمكن بالرغم من الصعوبات أن ينشر الحياة في جسد الأمة الذي دبت فيه إمارات الموت، بسبب ابتعاده عن قيم الإسلام، والاستسلام لسياسة التجهيل والتضليل الأموي لشل حركة المجتمع الإسلامي، وتعطيل تفكيره، وأخلد إلى الراحة وطلب العافية.

وكانت الخطة الإصلاحية للإمام زين العابدين عليه السلام تعطي الأولوية لتدارك ما أصاب الأمة من ابتعاد عن القيم الروحية، من خلال انقطاعه إلى الله تعالى بالعبادة والمناجاة، حتى سُمي لكثرة عبادته بـ (زين العابدين) و(سيد الساجدين) و(ذي الثفنات)، ولم يعرف المسلمون في زمانه رجلًا أعبد منه ولا أزهد، وظهرت آثار العبادة على جسده الشريف، وكان يطوي كثيرًا من لياليه في المسجد الحرام يؤدي نسكه وعباداته، وقد رويت مشاهد كثيرة لعبادة الإمام زين العابدين عليه السلام أدهشت من حوله، وأعادت إلى الناس صورة عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّه أمير المؤمنين (ع(، وفي إحدى ليالي مناجاته مع ربه، كثر بكاؤه، وعلا نشيجه، حتى خر مغشيًا عليه، ويقول طاووس اليماني الفقيه: (فدنوت منه وشلتُ رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى جالسًا وقال: من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت: أنا طاووس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون. أبوك الحسين بن علي، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله؟ قال: والتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاووس، دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان حبشيًا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيدًا قرشيًا، أما سمعت قوله تعالى: **(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)** (البقرة:٣٠).والله لا ينفعك غدًا إلّا تقدمة تقدمها من عمل صالح)[1].

وما (المناجاة الخمسة عشر) إلّا من رشحات نفسه القدسية، وفيها من فنون الدعوات، وآداب مخاطبة المعبود، ما لم يكن مألوفًا لدى عبّاد ذلك العصر، فضلًا عن اكتنازها لمطالب عالية في العقائد والأخلاق.

وقد أثرى الإمام زين العابدين المجتمع الإسلامي، بل الفكر البشري، بكنوز العلم والحكمة عن طريق الدعاء، فحينما مُنع من إلقاء توجيهاته ودروسه عن طريق المنبر، تحول إلى المحراب ليبث علومه ومبادئه في مختلف الأدعية لتجمع في الصحيفة السجادية المعروفة بزبور آل محمد، ولم تكن تلك الأدعية للرهبانية والتصوف واعتزال المجتمع، بل هي كنوز معرفية ترسم للمجتمع الإسلامي البرامج العقائدية والأخلاقية.

> **لم تكن تلك الأدعية للرهبانية والتصوف واعتزال المجتمع**

ومنها كثرة البر والإحسان للمحتاجين وخصوصًا طبقة العبيد، فقد كان عليه السلام يشفق عليهم كثيرًا، وحفظت لنا النصوص التاريخية صورًا مشرقة في تعامله مع العبيد، وحرصه على تحريرهم من الرق والعبودية، حتى عدّ ذلك ظاهرة بارزة في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان إذا دخل عليه شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثم

أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا ولم أوذيك، فيقرّون أجمع، فيقوم وسطهم ويقول لهم: (ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين، ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة وكفى باللّه شهيدًا، فاعف واصفح يعف عنك المليك لقوله تعالى: (**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) ويبكي، ثم يقول: اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاء للعفو عني وعتق رقبتي فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس، وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأسًا إلى أقل أو أكثر)[٢].

فالإمام عليه السلام في الحقيقة أعطاهم عطاءين: عطاءً ماديًا، وهو المال، وعطاءً معنويًا، وهو عتقهم وتحريرهم من العبودية، وذلك لأن الإنسان مجبول على حب الحرية بطبعه، وكره الذل والاستعباد، الذي يولّد عقدة الحقارة فيكون حاقدًا على المجتمع، وبالتالي تنتج الجريمة. هكذا يعلمنا الإمام السجاد عليه السلام درساً عملياً في احترام الإنسان وزرع الثقة في نفسه، وبالتالي فإن المحبة والعدل سيسودان وستنعدم أو تقل الجريمة إلى أبعد الحدود.

لقد انبرى الإمام السجاد عليه السلام لوضع السياسات الاقتصادية للمجتمع الإسلامي في ذلك الوقت لما فيه مرضاة اللّه سبحانه وتعالى وخدمة المسلمين بشكل عام ويعيد التعاليم الدينية السامية المحمدية التي أرساها رسول اللّه صلى الله عليه وآله منذ ذلك الوقت والتي قضى عليها الحكم الأموي بشكل كامل تقريبًا، السياسات الأموية القائمة على الظلم، والساعية إلى الاستئثار بالحكم، انتجت مشكلات اقتصادية عصفت بالمجتمع الإسلامي، حيث تكونت طبقة من المحتاجين والفقراء والمساكين، لا يجدون لسد رمقهم سبيلا، فقد كان للإمام السجاد عليه السلام دور ومنهج للتكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، كما حثت عليه الشريعة المقدسة، فلم يكتف الإمام عليه السلام بمساعدة الفقراء والمحتاجين أو إعتاق العبيد، بل تعهد بقضاء كل ما يحتاج إليه الفقراء وحث أصحابه عليهم السلام على نهج هذا الدور وعدم الاكتفاء بالتصدق. بذلك ينهج الإمام عليه السلام منهجاً جديداً قبال السياسة الأموية المالية الفاسدة التي تنفق الأموال في غير أوجه الحق.

انبرى الإمام السجاد عليه السلام لوضع السياسات الاقتصادية للمجتمع الإسلامي

ولابد أن يكون المبادر لهذه المعالجات أهل بيت العصمة المتمثل بعميدها آنذاك الإمام زين العابدين عليه السلام، حتى نقلت عنه كتب السير والتاريخ مواقف في الجود والكرم، بأنه يقضي الدين، ويعتق العبيد، ويكرم الفقراء، ويواسي إخوانه المؤمنين، وكان عليه السلام محط أنظار المسلمين عامة، وشيعة أهل البيت بصورة خاصة، يرون ما

يقدمه لإسعاف المؤمنين وقضاء حوائجهم، فكان عليه السلام الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة التي انتهجها المقربون إليه وكانت تلك التدابير من الإمام عليه السلام الرد العملي على السياسة الأموية الجاهلية.

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام.... يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضراء والزمني[٣] والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده ومن كان له منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه. وكان لا يأكل طعامًا حتى يبدأ فيتصدق بمثله)[٤].

ومن سمو خلقه وتواضعه عليه السلام كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذا أعطى السائل قبل يد السائل، فقيل له: لم تفعل ذلك؟ قال: لأنها تقع في يد الله قبل يد العبد[٥].

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: ضمنت على ربي أن الصدقة لا تقع في يد العبد حتى تقع في يد الرب، وهو قوله: (**أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ**) (التوبة:١٠٤)[٦].

وذلك مصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل)[٧].

وحينما أرسل يزيد بن معاوية إلى المدينة قائده مسرف بن عقبة ليستحلها وينتهك حرمتها في واقعة الحرة، عال الإمام زين العابدين عليه السلام أربعمائة عائلة إلى أن تفرق جيش مسرف بن عقبة. وكان يعول أهل بيوت كثيرة في المدينة لا يعرفون من يأتيهم برزقهم حتى مات[٨].

وتتجلى أهمية ما قام به الإمام عليه السلام إذا لاحظنا أنه كانت له مسؤوليات كثيرة، ومراجعات لا تعد ولا تحصى، والإطعام - كما لا يخفى - يكلف المطعِم مسؤولية إضافية، لأنه لابد من الجلوس مع الوافدين، والتحدث معهم وقضاء حوائجهم، ولعل الكثير منهم لا يقدّرون وضع الإنسان، ووقته، وقيمة هذا الوقت، وقد لا يتعاملون بالشكل اللائق أو المناسب، ولكنها الرحمة والإنسانية والأخلاق النبوية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل

لقد كان دور الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل في تخليد النهضة الحسينية وتجديدها، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الشجاعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلًا في دنيا الشجاعة والبطولات. فحينما أدخلوا الإمام عليه السلام مع عماته وأخواته على الطاغية عبيد الله بن زياد، لم يكتف بإظهار الشماتة بهم، حتى التفت إلى الإمام عليه السلام وقال: من أنت؟ فقال عليه السلام: أنا علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله عليًا بن الحسين؟ فقال له عليه السلام: قد كان لي أخ يسمى عليًا قتله الناس. فقال: بل الله قتله، فقال علي بن الحسين عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد، وقال: وبك جرأة لجوابي وفيك بقية للرد

عليّ. اذهبوا به فاضربوا عنقه، فتعلقت به عمته زينب وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا. فقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام لعمته: اسكتي يا عمة حتى أكلمه، ثم أقبل عليه فقال: أبالقتل تهددني يا ابن زياد؟ أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة)[٩]. وظلت هذه الكلمات شعار الأحرار ونشيد المقاومين على امتداد الأجيال.

وهكذا كان الحال في مجلس يزيد في الشام حين عرَّفَ الرأي العام الشامي والإسلامي بشاعة الجريمة التي ارتكبها يزيد في استئصاله للعترة الطاهرة، وأيقظ فيهم الرأي والشعور والتفكر، مما جعل الناس يتحدثون بإعجاب وإكبار عن خطاب الإمام عليه السلام الذي كان من ثمرات النهضة الحسينية، وصفحة من صفحاتها المشرقة.

وأما في جانب البكاء وإظهار التفجع وآلام المصاب، فلم تكن تمر على الإمام زين العابدين عليه السلام مناسبة إلّا وأظهر ظلامة سيد شباب أهل الجنة وما جرى على أهل بيت الوحي من إرهاب ومصائب. (فبكى على الإمام الحسين عليه السلام عشرين سنة ... ما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)، إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني لذلك عبرة)[١٠].

ولم تكن تلك الدموع دموع الذلّ والضعف، بل هي دموع الاستنكار والاحتجاج فهو عليه السلام من بني هاشم، وذرية أبي طالب الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: (لله در أبي طالب، لو ولد الناس كلهم كانوا شجعانًا)[١١]. فضلًا عن كونه إمامًا معصومًا قد اجتمعت فيه خصال الكمال كلها، ومنها الشجاعة.

واتجه الإمام زين العابدين عليه السلام بعد واقعة كربلاء إلى إنارة الفكر الإسلامي بشتى أنواع العلوم والمعارف، فترك للأجيال من بعده تراثًا ضخمًا من الفكر والأدب والعلوم الإنسانية شيّد على أساسها من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام لاسيما الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام مدرستهم الفقهية والحديثية.

وقد وجه الإمام زين العابدين عليه السلام المجتمع نحو التسلح بالعلم والفكر والمعرفة في وقت كانت الحياة العلمية شبه معدومة، حيث اقتضت مصلحة الدولة الأموية آنذاك القضاء على الوعي الثقافي في الأمة.

لم يقتصر دور الإمام السجاد عليه السلام على عطاء أو صدقة ولم يك دعاؤه مجرد توسل ودعاء إلى الله سبحانه وتعالى، ولم تكُ عبادته وورعه وزهده مجرد عبادة دأب عليها، ولم يكُ بكاؤه وحزنه وألمه عليه السلام على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار وأصحابه الشهداء مجرد حزن، بل كانت مناهج تربوية إصلاحية حاربت فساد الحكم الأموي بأسمى وأجل طريقة فاستطاع أن يزلزل عرش الحكم الأموي ويستمر في ثورته ضدهم التي هي امتداد لثورة الإمام الحسين عليه السلام إلّا أن الدور كان يختلف بحسب متطلبات المرحلة فقد أرسى وأعاد إلى الأمة الإسلامية معالم العلم والفكر والورع والتقوى والتكافل الاجتماعي الحقيقي بين المسلمين فأعاد الناس إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وذكرهم بذلك الدين الحنيف الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين وهذه هي المرحلة الثانية من الثورة على آل أمية ولذلك قامت

الثورات في عهده عليه السلام على سياسة الحكم الأموي واشتد سخط الناس منهم ومن سياساتهم الظالمة.

لقد قاد الإمام السجاد عليه السلام الثورة وهو جالس على سجادة الصلاة يناجي ربه فتهاوت عروش آل أمية على يديه الكريمتين. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

---

١) مناقب آل أبي طالب/ابن شهراشوب: ٢٩٢/٣.
٢) بحار الأنوار/العلامة المجلسي: ١٠٥/٤٦.
٣) الزمين: هو المبتلى بمرض يدوم طويلًا (مجمع البحرين - زمن - ٦: ٢٦٠).
٤) الخصال/الشيخ الصدوق: ٥١٨.
٥) وسائل الشيعة/الحر العاملي/ج٩ص٤٣٥ ، نقلا عن تفسير العياشي/ج٢ص ١٠٨.
٦) م.ن.
٧) المحجة البيضاء/الفيض الكاشاني ج٢ص٨٥، نقلا عن العياشي في تفسيره كما في الوسائل ج ٦ ص ٣٠٣ الطبعة الحروفية الحديثة - ومثله في عدة الداعي/ ابن فهد الحلي ص ٤٤.
٨) الخصال/الشيخ الصدوق: ٥١٨.
٩) اللهوف في قتلى الطفوف/السيد ابن طاووس/ ص٩٥.
١٠) الخصال/الشيخ الصدوق: ٢٧٣.
١١) كشف الغمة في معرفة الأئمة/علي بن أبي الفتح الإربلي: ٢٣٥/٢.

قال الإمـام الباقر عليه السلام:

(إنَّ الْخَوَارِجَ ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِجَهْالَتِهِمْ، إنَّ الدِّينَ أوسَعُ مِنْ ذَلِكْ).

(من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق/ ج١ص٢٥٨)

وقال عليه السلام أيضًا:

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول أهل الجنة دخولًا إلى الجنة أهل المعروف، وإن أول أهل النار دخولًا إلى النار أهل المنكر).

(الأمالي/ الشيخ الصدوق/ ص٣٢٦)

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: إذا دفع المكلف خمس ماله ثم أودع المال المخمس في البنك الحكومي، فهل يجب عليه تخميس ما لم يستلمه منه إذا زاد عن مؤنة السنة؟ وإذا قبضه كمجهول المالك بالإذن العام الذي تفضلتم به لعموم المؤمنين، فهل يشمله الشرط المأخوذ في هذا الإذن بتخميس ما زاد عن مؤنة سنته؟

ج: **لا يعد ذلك من الأرباح.**

س: إذا اقترض المكلف من البنك الحكومي وأجرى وظيفة مجهول المالك على المال بالإذن العام الحاصل من سماحة السيد (مد ظله) ثم حلّ رأس سنته الخمسية، فهل يجب عليه تخميس المال المذكور ــ قبل الوفاء للبنك ــ إذا كان قادراً على التخلص من الوفاء؟

ج: **نعم يجب عليه ذلك.**

س طالب في إحدى الجامعات الأوربية يأخذ مساعدات من الحكومة نصفها له والنصف الآخر يحتسب قرضًا يجب إرجاعه بعد التخرج من الجامعة؟ فهل يحتسب خمس على هذا القرض؟

ج **إذا كان يضطر للوفاء بالدين فلا يجب فيه الخمس، وأما إذا كان يمكنه عدم الوفاء بالدين فهو من الأرباح.**

س توفيت امرأة وعندها تركة ولم توص بها، وهذه التركة من قبيل فراش وأثاث وقسم من المواشي والنقود وهذه المرأة ورثتها (٥) بنات متزوجات والزوج يسأل هذه الأسئلة:
أ ـ هل هذه التركة مشمولة بالخمس؟

ج **قد لا تكون مشمولة بالخمس، ولابد في معرفة ذلك من الاطلاع على كيفية تحصيل هذه المواد، وعلى تقدير كونها مشمولة بالخمس فلا يجب التخميس على الورثة، وإنما يكون الخمس من باب التخفيف عن المورِّث لأنه محاسب على ترك الخمس.**

س ب ـ هل تستخرج من هذه التركة الأمور التالية:
أولًا: إخراج قيمة الكفن وأجور الدفن وتكاليف الفاتحة، فهل هي على الزوج أم على التركة؟

ج **المقدار الواجب من الكفن والدفن على الزوج مع قدرته وعلى التركة مع عجزه، أما ما زاد على ذلك فهو على من يتولى القيام به وصرف المال فيه.**

س ثانيًا: هل يستحق أولاد زوجها من (امرأة ثانية) من هذه التركة أم لا؟

ج **لا يستحقون منها شيئًا، نعم يستحق منها أبوهم إذا كان حياً حين موت المرأة فإذا مات بعدها كان لهم بمقدار ميراثهم منه.**

س ثالثًا: ما هي حصة الزوج من التركة؟

ج **إذا كان للزوجة أولاد أو بنات منه أو من غيره فله الربع، وإذا لم يكن لها أولاد ولا بنات فله النصف.**

س شخص ورث مالًا من رجل لا يخمس هل يجب فيه الخمس؟

ج **لا يجب فيه الخمس، بل يبقى الخمس في ذمة المتوفي، ويطالب به ويتحمل مسؤوليته هو لا الوارث.**

س إذا اشترى المكلف شيئًا للتجارة بمال مخمس وارتفعت قيمة ذلك الشيء، هل يجب الخمس فيه؟

ج **لا يجب فيه إلّا بعد بيعه بربح فيدخل الربح في أرباح السنة.**

س لقد أشيع بين العوام أن زكاة الفطرة يوجد فيها خمس على المكلف الذي ليس له رأس سنة، ولم يذكر ذلك في الرسالة العملية؟

ج **ليس لذلك أساس شرعًا.**

س هل الهدية تخمس؟ وإذا فرض أنها تخمس، هل الدفع يكون بعد مرور سنة أم في حينها؟ وما حكم الأموال المأخوذة من الرجل الذي لا يخمس أمواله؟

ج **الهدية تخمس عند حلول رأس السنة الخمسية، وليس من حينها ولا بعد مرور سنة عليها، والأموال المأخوذة من الرجل الذي لا يخمس حلال.**

س هل يجوز أخذ الحقوق الشرعية بعنوان القرض عند الاضطرار مع عدم توفر مستحقيها، مع العلم بأنه لدي الأذن من الحاكم الشرعي في صرفها على مستحقيها في الموارد الشرعية؟ علماً أن القرض للموارد الشخصية.

ج **لا يجوز الاقتراض من الحقوق الشرعية إلّا من سهم الإمام عليه السلام لكن بعد أخذ الإجازة من الحاكم الشرعي في الاقتراض، ولا يكفي أخذ الإجازة على صرفها في الموارد الشرعية.**

س نعمل في شركة حكومية تعطي حوافز مالية لموظفيها من مجموع الأرباح المتخصّصة من مجموعة المشاريع التي تنفذها، فإذا كان أحد هذه المشاريع ينتج كحولًا، وجزء من الحوافز التي نستلمها تأتي من هذا المشروع:
أ ـ فما حكم الحوافز المالية التي أتقاضاها من الشركة؟ علماً بأني غير مشترك فعلياً بالمشروع أعلاه.

ج **يجوز استلام الحوافز المذكورة بعد استلامها عنا لتكون لنا على نيتنا، ثم تأخذها هدية منا لك.**

س ب ـ وما هو حكم الأشخاص المشتركين بتنفيذ هذا المشروع المنتج المذكور إذا كان لا يستطيع التملص من العمل؟

ج **إذا لم يكن عملهم تصنيع الخمر فهو جائز.**

س هل يجوز لي التصرف بما ادخرت من راتبي مساهمة بذلك ولو بالقليل لتزويج أحد إخوتي فإنه على أبواب الزواج، ولديه الرغبة الشديدة في ذلك، وهو لا يملك شيئًا سوى راتبه الشهري القليل؛ لأنّه يشتغل عاملًا في شركة، وهو المعيل الوحيد لأهلي، فهل يجوز أن أدفع له ولو ما ادخرته جزءًا قليلاً لتزويجه بدلاً من أن أدفعه إلى المحتاجين، لقاعدة: (الأقربون أولى بالمعروف) ؟

ج **يجوز لكِ أن تدفعي لأخيك من سهم السادة إذا كان محتاجاً إلى الزواج وكان من السادة (شرفهم الله تعالى).**
وإذا لم يكن منهم وكان محتاجًا إلى الزواج ولا يمكنه أن يسدّ حاجته من غير الحقوق الشرعية، جاز لكِ أن تدفعي له من سهم الإمام (ع) بمقدار ما يسدّ حاجته، علماً أنكِ لو شاركتِ في المشروع المذكور بأكثر من ذلك ومن أموالكِ الخاصة فستجدي فيه إن شاء الله من البركة في الرزق ودفع البلاء الكثير لما فيه من صلة الرحم.

س هناك بعض المؤمنين يدفعون حقوقهم الشرعية إلى بعض الوسائط من أجل إيصالها إلى الحاكم الشرعي، فهل تبرأ ذمتهم إذا لم يستلموا الوصل بذلك؟

ج **لا طريق لإحراز براءة الذمة إلّا بأخذ الوصل منهم ليعرفوا وصول الحق إلى الحاكم الشرعي، ولا يكتفوا بالدعاوى من دون دليل.**

المناهج التربوية في الإسلام

محمد دعيبل
كاتب وإعلامي

التربية هي: (الجهود التي يبذلها الإنسان قصدًا لإحداث تغيرات مرغوب فيها في البيئة المادية والاجتماعية)[1]. والتربية الإسلامية تعني (إعداد الفرد المسلم إعدادًا كاملًا من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي جاء بها الإسلام)[2].

وينبغي أن تكون المناهج التربوية في الإسلام مبنية على القيم الإسلامية السمحة والعقيدة الإسلامية الحقة وفق المنظور الإسلامي الذي ينتج من تنفيذه إعداد الفرد المسلم كي يسلك سلوكًا يتفق و عقيد ة الإسلام.

أهداف المناهج التربوية الإسلامية:

مما لا لبس فيه فإن المناهج التربوية الإسلامية جمعت بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم. دون تضحية بأي منها على حساب الآخر. وفي هذا يتضح أن هذه التربية قد وازنت بين حاجات المتعلم الروحية والمادية، فالفهم الإسلامي لهدف التربية، هو إعداد الفرد ليكون نافعًا في مجتمعه ونفسه وسعيدًا في دنياه وآخرته. فالأهداف العامة تتصف بأمرين[3]:

الأول: أنها تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني عامة.

الثاني: أنها تبدأ بالدنيا وتنتهي بالآخرة، بأسلوب متكامل متناسق.

ففي الأمر الأول يتم إعداد الفرد المسلم في طريق التقدم، وفي نهاية الأمر يهيئ الفرد نفسه للحياة الاجتماعية السعيدة.

والثاني يتبنى تنمية وترسيخ العقيدة الإسلامية عند الفرد المسلم وتحقيق العبودية لله تعالى. ولذلك فإن الإسلام قد وضع لنا عناصر للمناهج في:

المؤسسات التعليمية: وتمثل حجر الزاوية في العملية التعليمية. وقد تطرقت هذه العناصر لجميع التغيرات المتوقع حدوثها في جوانب النمو في الفرد المسلم. ونجد أن الإسلام اعتبر أن خطوة وضع الأهداف بصورة سليمة حسب متطلباته يساعد على تصميم معيار مناسب لاختيار المحتوى والخبرات وطرق التدريس ووسائله والنجاح بعد ذلك في التقويم، وبذلك يصل الفرد المسلم المتعلم إلى هدف التربية الأساس ألا وهو سعادته في الدنيا والآخرة. وأحسب أنه في عصرنا هذا فإن المدارس والجامعات أصبحت غير قادرة على إعداد الشباب الناشئ للحياة في عالم سريع التحول والتغير. ولذلك فإن العمل المستمر الإضافي للتربية خارج النطاق المدرسي، يجب أن يكون متواصلاً في صورة نشاطات حية على جبهة عريضة واسعة في المستويات كافة.

فالتربية الإسلامية تمتاز عن التربية الغربية الحديثة بالهدف البعيد الذي يحفظ للفرد المسلم سمو روحه وعزّة نفسه ونشاط جسمه وسلامة نموه الفكري والعلمي والعقلي. فالهدف البعيد يرنو إلى العلاقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع وبينهم وبين الخالق عز وجل وبالتالي يكون الهدف هو الراعي المسلم في جميع أجزاء تكوينه الجسمي والعقلي والروحي والنفسي. وبالتالي السلوك السوي. كما أن

استمرار تطور سبل حياة الإنسان وازدياد المعرفة أو انفجارها أدى إلى تطور معنى المنهج، مما أدى إلى تطور المفاهيم التربوية الأخرى. وقد اختلف المربون في التفاعل مع المنهج تبعًا لذلك ارتكازًا على عدة عوامل منها[٤]:

١- التطور الذي حدث في مفهوم المعرفة، مما أدى إلى التغيير الواسع الذي طرأ على فلسفة التربية في المجتمعات المختلفة. وحسب درجة تطور المعرفة في المجتمع المعلوم وضعت فلسفة التربية لذلك المجتمع.

٢- التطور والتغير الذي حدث في أحوال المجتمعات في العصر الذي يعيشون فيه، مما أدى إلى وجود متطلبات متغيرة للمجتمع، تبعًا لميولهم ورغباتهم واهتماماتهم، للوصول إلى حاجاتهم.

٣- التطور الكبير الذي حدث في عملية التعليم والتعلم نتيجة التوسع في دراسة سيكولوجية الطالب وجوانبه المختلفة لربط مايتعلمه في مجتمعه بما يدرسه في المؤسسة التعليمية لمواكبة ما يحدث وما يتطلبه المجتمع لحياته.

٤- النتائج المستمرة يومًا بعد آخر والتي

تتوصل إليها البحوث والتجارب العلمية في علم النفس التربوي خاصة والتربية عامة. وقد أظهرت هذه الدراسات أهمية نمو الفرد حسب متطلبات نمو المجتمع والتي تتغير حسب المجتمع المتغير باستمرار.

عناصر المناهج في التربية الإسلامية:

يمكننا بيان عناصر المناهج التربوية الإسلامية كما يلي[٥]:

١- الطالب: هو مركز الاهتمام في هذا المنهج، وليست المادة الدراسية التي يجب أن تأتي في المرتبة الثانية. فالمنهج يجب أن يساعد الطلاب على النمو المتكامل من جميع الجوانب، كما يساعد على اكتشاف استعداداتهم وقدراتهم وميولهم ورغباتهم وتأهلهم بذلك للوصول إلى حاجاتهم. فالطالب يعيش في جو يوجهه فيه الأساتذة ويرشدونه، ويكون هذا الطالب إيجابيًا ونشطًا يختار ما يناسبه من المادة الدراسية التي يشعر أنه بحاجة إليها، إما أنه يتدرب على التعاون مع زملائه وعلى النقد البناء وتحمل المسئولية، وإما أن يعتمد على نفسه ويثق بها، كما أن هذا المنهج ينمي فيه الميل إلى البحث والاطلاع وينمي فيه أيضًا الإقدام والابتكار والتطبيق والاستنباط. ولا ننسى أن يراعي المنهج الفروق الفردية. فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ (مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ دُنْيَا وطَالِبُ عِلْمٍ)[٦] والذي يهمنا هو الأول دون الثاني.

٢- الموضوع: يجب أن يهيئ الفرصة أمام الطلاب للاستفادة من أوقات فراغهم فيما ترتضيه عقيدتهم الإسلامية كما يستفيدون منه في نموهم الاجتماعي الذي يشعرون فيه أنهم ينتمون إلى الجماعة التي تحترمهم ويحترمونها في أوجه النشاط الاجتماعي المختلفة. وهذا الشعور بالاطمئنان في المجتمع والشعور بالانتماء يقودان الطالب إلى الاتزان النفسي والنمو المتكامل الذي هو هدف التربية الإسلامية، فقد ورد عن الامام علي عليه السلام: (خُذوا منَ العلم ما بَدا لَكُم، وإيَاكُم أَنَ تَطلُبوهُ لخصال أربَع: لتُباهوا بِهِ العُلَماءَ، أو تُماروا بِهِ السُّفَهاءَ، أو تُراؤوا بِهِ فِي المَجالِس، أو تَصرِفوا وُجوهَ النَّاسِ إلَيكُم لِلتَّرَؤُّس)[٧].

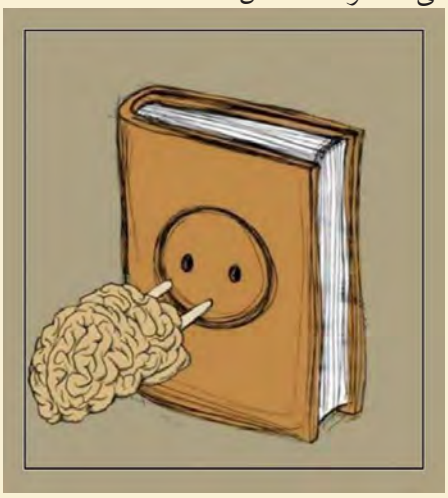

٣- جميع الخبرات والمعلومات التي توضع على شكل مواد دراسية: يجب أن تبحث هذه الخبرات والمعلومات في جوانب حياة الأفراد المختلفة في المجتمع. مثل الحياة السياسية والاقتصادية والقانونية والأمنية والدينية والصحية والترفيهية...الخ. لذا وجب توضيح العلاقات التأثيرية المتبادلة بينها جميعًا من جانب، وبينها وبين التربية من جانب آخر. ولا بد أن يوضع كل ذلك على شكل مترابط ومتصل ترابطًا واتصالًا

منطقيًا لبيان هذه العلاقات التأثيرية المختلفة بين هذه النظم جميعًا.

إن النظام التربوي يجب أن يستمد أهدافه ومادته ووسائله من النظم الاجتماعية المختلفة منفردة ومجتمعة، ومن أهدافها ومن ثقافاتها ومن أنشطتها المختلفة وعقيدتها. وبما أن هذا الترابط مهم، فكان لابد من وضع المعلومات والخبرات على شكل مواد دراسية مترابطة ليس بينها فواصل ما دامت كلها تبحث في أمور حاجات المجتمع، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (لا فِقهَ لِمَن لا يُديمُ الدَّرسَ)[٨].

٤- مما سبق نستنتج أن الاهتمام عند وضع الخبرات والمعلومات للطالب يجب أن ينصب على النواحي الاجتماعية والبيئية بالصورة التي تجعل من الطالب مرتبطًا بها ومدركًا لجميع ما يحيط بها.

٥- العلاقة بين المؤسسة التعليمية والمجتمع والأسرة: يجب أن تكون هذه العلاقة علاقة تعاون لأن الهدف واحد، هو تنمية الطالب التنمية الكاملة والمتكاملة من جميع جوانبه، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: (اعمَلوا بِالعِلمِ تَسعَدوا بِه)[٩].

٥- طريقة التدريس: لتحقيق ما سبق كان لابد من إيجاد طريقة تدريس تناسب الوصول لهذا الهدف، والطريقة المناسبة هي أن تكون الدراسة من خلال نشاط الطلاب الذي يقوم على خبراتهم الذاتية المبنية على أفكار وخبرات لديهم اكتسبوها سابقًا بنفس الطريقة. هذا النشاط الذي يقوم به الطلاب يتيح لهم القيام بدور إيجابي وفعال إلّا أن الأمر السليم ألّا يُطلب العلم إلّا عن طريق أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله لسَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ والْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ: (شَرِّقَا وغَرِّبَا فَلَا تَجِدَانِ عِلْماً صَحِيحاً إِلَّا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)[١٠].

٦- الأستاذ: ويتميز دوره بالإرشاد والتوجيه للطلاب والعملية التربوية فضلًا عن التعليم. وأيضًا على الأستاذ أن يشجع الطلاب جميعهم على تقديم اقتراحات فيما يدرسونه، ويسمح لهم بحرية الحركة والكلام ما دام هذا لايؤدي إلى تعطيل سير النشاط والتعليم، ويدربهم على ما يناسبهم من أساليب النقد البناء. واستثمار المواهب، ومع كل ذلك يجب على الأستاذ أن لا يكون مغرورًا بنفسه فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَن قالَ أنا عالِمٌ فَهُوَ جاهِلٌ)[١١].

أسس المنهج التربوي:

لكل شيء أساس، وأسس المناهج التربوية يمكن استخلاصها كما يأتي:

١- الأساس المعرفي: الأساس المعرفي في الإسلام، ويعني النظرة الإسلامية لجميع أنواع معارف العلوم التي يجب أن يتعلمها الفرد المسلم أو الجماعة حسب فائدتها ودرجة نفعها لهم مع عدم معارضتها للتعاليم الإسلامية التي تنطلق منها. لهذا فطبيعة المعرفة التي تكوّن المنهج تكون

مستلة من التعاليم الإسلامية المستندة إلى الكتاب العزيز والسنة الصحيحة للنبي ﷺ وآله عليهم السلام، فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: (العِلمُ أكثَرُ مِن أن يُحصى، فَخُذ مِن كُلِّ شَيءٍ أحسَنَهُ)[١٢].

٢. الأساس الفكري: جاءت الشريعة مكتملة الجوانب لبناء الإنسان المسلم الذي يعمل لإسعاد نفسه ومجتمعه. فقد ضمنت تعاليم الإسلام العقيدة والعبادة وتشريع الحكم والفقه ونظام الأسرة والمجتمع وجميع ميادين الحياة وفق التصور الإسلامي. فالإسلام بهذه المفاهيم هو أيدلوجية المجتمع المسلم، وهو عقيدة الفرد والجماعة وهو توجيه وتشريع. وهذا هو الأساس الفلسفي للتربية الإسلامية الذي ينادي بعبادة الله - سبحانه وتعالى - والإيمان بوحدانيته وهو الذي خلق الإنسان وأكرمه، قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**) (الإسراء: ٧٠)، واستخلفه في الأرض لتعميرها عالمًا بأن الأرض والكون جميعه مسخر للإنسان، كما أنه عامل هام وميدان واسع وأن يكون العلم لله تعالى، فقد ورد عن الرسول محمد ﷺ: (من تعلم العلم لغير الله تعالى فليتبوأ مقعده من نار)[١٣].

٣- الأساس النفسي: اهتمت التربية الإسلامية بعلم النفس حتى تكتشف مقدرات واهتمامات وميول ورغبات المتعلم، كي تتوفر له الخبرات والمعلومات المناسبة له بغية أن يستفيد منها في العملية التربوية، وبهذا يوفر علم النفس أفضل الطرق لتعليم الفرد المسلم الذي يلبي حاجاته كافة في منظومة متوازنة. فعلم النفس يتعامل مع الإنسان ككائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل مع تأثيره بالمجتمع الذي يعيش فيه كما يؤثر هو أيضًا في ذلك المجتمع.

واعتمادًا على هذا الأساس فإنه على الطالب أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم، فعن الإمام علي عليه السلام: (لا يُحرِزُ العِلمَ إلاّ مَن يُطيلُ دَرسَهُ)[١٤].

من هنا يتضح أن التربية يجب أن تقوم على أساس متكامل من القيم والمبادئ والأسس الإسلامية. والتي ينادي بها

الإسلام والتي تسير شؤون الحياة. فعن الرسول ﷺ: (خَيرُ العِلمِ ما نَفَعَ)[١٥].

الخاتمة:

بعدما اتضح مفهوم النظرية التربوية من منظور الحديث الشريف، وكنتيجة لكل مما تقدم نصل إلى ما يأتي:

١ـ ضرورة أن يعالج كل من التربية والتعليم في ظل أهداف التربية الإسلامية التي تبني الفرد البناء الكامل المتكامل من جميع جوانبه بناءً متوازنًا، اعتمادًا على كتاب الله تعالى وسنة المصطفى ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام دون الاعتماد على نظريات الغرب، كونها قاصرة في بناء الفرد والمجتمع. قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)** (النساء:٥٩)، وقد ورد في الحديث الشريف المتواتر: (إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[١٦].

٢ـ لابد من تشكيل لجان لإعداد المناهج التربوية والتعليمية وإقامة المؤتمرات وعقد الندوات لهذا الغرض، ووفق ما تقدم.

٣- يتضح أن هنالك توجهان لطبيعة المنهج، إذ أن التوجه الأول: هو مراعاة طبيعة الطالب، وهو توجه سيكولوجي، والتوجه الثاني: هو مراعاة طبيعة المجتمع وهو التوجه الاجتماعي، فالمنهج يجب أن يجمع بين الطالب والمجتمع دون فصل.

---

١) التربية والتعليم في الاسلام،٦٧.
٢) أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث: محمد رضا فرهاديان، ص١٢٤.
٣) م.ن/ص٥١.
٤) التربية والتعليم في الإسلام/مرتضى المطهري، ص٦٠.
٥) م.ن.
٦) الكافي/للكليني/ج١ص٤٦.
٧) الإرشاد/الشيخ المفيد/ ج١ص٢٣٠.
٨) عيون الحكم والمواعظ: الليثي الواسطي/ ص٥٣٧.
٩) م.ن/ص٨٩.
١٠) الكافي/للكليني/ ج١ص٣٩٩.
١١) البحار/للمجلسي/ ج٢ص١١٠.
١٢) تنبيه الخواطر/ورام بن أبي فراس المالكي/ ج٢ص٣٣٤.
١٣) كنز العمال/المتقي الهندي/ ج١٠ص١٩٦.
١٤) عيون الحكم والمواعظ/ص٤٥٠.
١٥) م.ن/ص٢٣٧.
١٦) الأمالي/الشيخ الصدوق/ص٦١٦.

العقوبات القرآنية للزوجة .. وقائية وإصلاحية... لا انتقامية

أ.م.د محمد كاظم الفتلاوي
كلية التربية /جامعة الكوفة

ينابيع

إن المعايشة الزوجية تتيح لعناصرها التعرف إلى أدق حقائق الآخر وعلى التطورات الطارئة الصالحة والناشزة، مما يوجب عند البوادر الخيرة المشاركة والتشجيع، وعند البوادر الناشزة اتخاذ إجراء وقائي، أما التذرع ببعض الحيل النفسية في عدم التفاعل مع المستجدات فإن من شأنه أن يُعمق المشكلة ويزيد التعنت في رأيه والعناد والعصيان؛ لهذا قال تعالى: (**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ**) (النساء:٣٤).

وقبل بيان المراد من الآية الكريمة نرى من الضرورة بمكان التعريف بـ (النشوز)، فهو في اللغة: المرتفع من الأرض[١]، والنشوز عند الفقهاء: هو عصيان أحد الزوجين والترفع عن مطاوعة الزوج الآخر ومتابعته، وعدم القيام بواجباته، وأداء حقوقه التي وجبت على كل منهما للآخر[٢].

أي أن النساء اللاتي تخافون نشوزهن (بظهور أسبابه وإماراته، ونشوز المرأة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها إياه)[٣]. فنلحظ في هذه السمة السبق والاحتياط في العلاج قبل وقوع المشكلة، ومن المعلوم أن الوقاية من المشكلة خير من العلاج منها بعد وقوعها.

أولًا: إجراء وقائي: فالوعظ في ذاته إجراء وقائي، فإن (نشزت المرأة عن فراش زوجها قال زوجها اتقِ الله وارجعي فهذه موعظة)[٤].

وفي شأن تصرف الزوجة الوقائي في الحفاظ على الأُسرة وكيانها، وقد اتضحت بوادر للمشكلة من سلوك الزوج كما يقول الله سبحانه: (**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا**) (النساء:١٢٨). فإذا شعرت المرأة من زوجها (الترفع عليها أو الإعراض عنها بسبب الكراهية لها لكبر سنها أو لغير ذلك من الأسباب والأمور وأراد طلاقها فلا إثم ولا حرج عليهما من سلوك طريق المصالحة والتوفيق بينهما)[٥]. ولعل هذه المصالحة تحتاج إلى مبادرة وقائية لأجل شيء أهم في احتواء المشكلة قبل استفحالها فـ (لا مانع من أن تتنازل المرأة عن بعض حقوقها وتتصالح مع زوجها من أجل حماية العلاقة الزوجية من التصدع)[٦].

فلا تُكلفه نفقة خوف الطلاق أو الإعراض عنها، فعلى الزوج تفهم حرص الزوجة على ديمومة الحياة الزوجية وبهذا (فلا جناح عليه أن يقبل ذلك)[٧] منها.

ومع هذا فإن الله سبحانه وتعالى وصف

ذلك العلاج بأنه إجراء وقائي منذ اللحظة الأولى التي تظهر فيها بوادر النشوز، فكم من مشكلة تبدأ تافهة أو غير معقدة أو فردية أو سهلة العلاج ولكنها تُهمل أو ينشغل عنها الجميع فتستفحل ويصعب علاجها فيكون مآلها الانهيار وتحطم الأسرة.

ثانيًا: إجراء إصلاحي: إن التعامل مع النصوص القرآنية بعدوانية، من المخالفات التي تؤدي للضرر بالحياة الزوجية وتشوه صورة العلاج الشرعي، ذلك بأن بعضهم يأخذ من الآية العلاجية فقرات من دون النظر إلى مقصد الشارع من أنواع العلاج ولا الصورة التي يجب أن تؤدّى بها فيأخذ الفقرات الثلاث من قوله تعالى: (**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**) (النساء:٣٤) بنفس مشحونة وبفهم خاطئ للقوامة فيدفعه ذلك إلى الانتقام والإهانة والتسلط وتحطيم رأس المرأة وردها إلى القطيع إذا شذت عن القافلة، وإذا دققنا النظر لحظنا أن سببه ما تراكم في الأذهان وترسب عبر تربية طويلة من سوء معاملة المرأة وعدها من سقط المتاع.

ذلك بأن الوعظ في قوله تعالى: (فَعِظُوهُنَّ). سمته الرقة واللين والنصح الخالص، ولا يكون بأسلوب خشن وفرض السيطرة والنفوذ ولا (بالصراخ أو إسماعهن كلامًا لا يليق تجريحًا وسبابًا وشتمًا)[٨].

فالوعظ هو تذكيرهن بـ(ما أوجب الله عليهن من حسن الصحبة وجميل العشرة للزوج والاعتراف لدرجته التي له عليها)[٩]. وعن ابن عباس قال: (فعظوهن بكتاب الله أولًا، وذلك أن يقول: اتقي الله وارجعي إلى طاعتي، فإن رجعت وإلّا أغلظ لها القول، فإن رجعت وإلّا ضربها ضربًا غير مبرح)[١٠].

إذن يجب أن يكون طابع هذا الوعظ اللين، والرقة، واللطف، والابتعاد عن التشهير، والتعنيف، والغلظة، والعنف، والتسلط الظالم؛ مع إظهار محبته لها وحب الخير لها؛ لتستقيم الحياة الزوجية كما أرادها الله سبحانه ويعيشوا بسلام وأمان وطمأنينة .

وعند عدم جدوى الوعظ في الإصلاح، تبدأ حينها حلقة إصلاحية أخرى وهي: (اهجروهن إن لم تنفع العظة)[١١].

وهو في قول الله تعالى: (**وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ**) (النساء: ٣٤). وقد ذكر المفسرون في تفسيرها ثلاثة آراء[١٢]: فعن ابن عباس وعكرمة و ا لضحا ك والسري إن الهجر هو المقاطعة في ا لكلا م ، وعن سعيد بين جبير قال: (هجر الجماع)، وروى عن بعضهم القول بربطهن بالهجار[١٣] من قول العرب: هجر الرجل البعير إذا ربطه بالهجار.

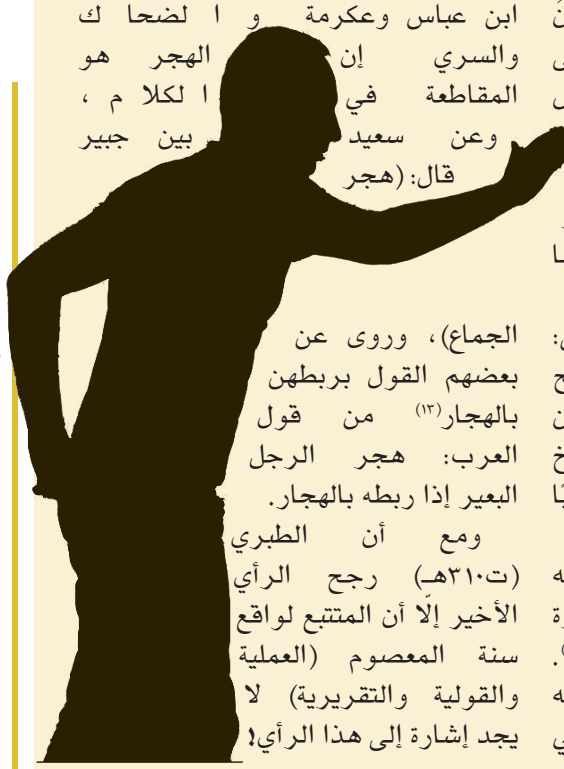

ومع أن الطبري (ت٣١٠هـ) رجح الرأي الأخير إلّا أن المتتبع لواقع سنة المعصوم (العملية والقولية والتقريرية) لا يجد إشارة إلى هذا الرأي!

وهو على ما عليه من عمل خلاف الذائقة الإنسانية والغاية المرجوة منه في الإصلاح! والآية بطبيعتها تفسر نفسها في كون الهجر في المضاجع، وهذا الرأي هو ما عليه المفسرون يقول البيضاوي (ت٦٩١هـ) أن معنى (**وَاهْجُرُوهُنَّ**) أي (اهجروهن في المراقد فلا تدخلوهن من تحت اللحف، أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع. وقيل المضاجع: المبايت أي لا تبايتوهن (١٤).

وقال الشيرازي: (أظهروا عدم الرضا من الزوجة، لعل هذا الموقف الخفيف يؤثر في أنفسهن)[١٥]، فنلحظ أن المراد بالهجر الإصلاح وليس العقوبة أو الانتقام، فالغاية منه إشعار الآخر بالخطأ وبأهمية الحياة الزوجية.

أما قوله تعالى: (**وَاضْرِبُوهُنَّ**) فليس الغاية من الضرب الانتقام أيضًا وإن بدا فيه العنف والقسوة، غير أنه خيار يفرض نفسه أمام خيار أشد منه قسوة وأكثر منه ضررًا على الزوجة وعلى الحياة الزوجية عمومًا، فالخيار الآخر غير الضرب هو التخلي عن المسؤولية ومن ثم تفقد السفينة ربانها، ويتخلخل النظام الأسري، فالضرب إذن خيار يُتاح حينما (تُسد الطرق بوجه الحلول السلمية يبرز خياران أمام الإنسان إذا عجز عن الاشياء التي لم تنفع: إما أن يتخلى عن مسؤولياته وأما أن يلجأ إلى العنف في حال لم تنفع الموعظة والنصح والهجر)[١٦].

وهذا الضرب ليس في واقعه حلبة مصارعة أو تفنن بأساليب قتالية، بل يضربها ضربًا يُريد منه الإصلاح فيكون ضربًا غير مبرح أي لا يقطع لحمًا ولا يكسر عظمًا – كما سيتضح في محله من البحث، فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن كيفيته أنه قال: (إنه الضرب بالسواك)[١٧].

ونتيجة هذه المرحلة الأخيرة وهي الضرب يجب أن تُراعي فيه الكم والكيف شرط ألا يكون مبرحًا ولا مدميًا اذ لا يُريد الزوج الانتقام وإنما يُريد الإصلاح.

إن التربية الإسلامية تهدف من وراء تشريع العلاج الإصلاح لإعادة الزوجة إلى وضعها الطبيعي لتحقيق غاياتها من إشاعة المودة والرحمة وصيرورتها سكنًا للرجل، والمرأة والذرية والمجتمع أما إذا عُدّ العلاج إذلالًا وتحكمًا وقهرًا أفضى ذلك إلى تعميق المشكلة وزرع الحقد والبغض والعناد مما يضيع فرص العلاج والتوافق ويشعر بأن العلاج في الحقيقة إعلان المعركة بين الرجل والمرأة ثم مجتمع الرجال على مجتمع النساء ومجتمع النساء على مجتمع الرجال ولذلك نبه الله سبحانه على عدم تجاوز الحدود. فقال تعالى: (**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**) (النساء:٣٤).

(**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ**) أي رجعن إلى طاعتكم في الائتمار لأمركم (**فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا**) أي لا تطلبوا عليهن علّلًا بالباطل وقيل: سبيلًا للضرب والهجران فيما أُبيح لكم فعله عند النشوز. وقيل معناه لا تكلفوهن الحُب[١٨].

ويختم الله سبحانه هذه الاجراءات

الإصلاحية بقوله: (**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**) وهي إشارة واضحة إلى أن هذه الصلاحيات التي خول لها الزوج في التربية ليست إكرامًا للرجل بقدر ما هو تفويض منه سبحانه وإنه هو القادر وبيده زمام الأمور، فينبّه القرآن الكريم الزوج إلى عدم التمادي في العقاب والجور فيه فإنهن إن تركن النشوز فلا تجنوا عليهن بقول أو فعل. وهذا نهيٌ عن ظلمهن بعد تقرير الفضل عليهن والتمكين من أدبهن. وأشار إلى الأزواج بخفض الجناح ولين الجانب؛ أي إن كنتم تقدرون عليهن فتذكروا قدرة الله؛ فيَدهُ بالقدرة فوق كل يد. فلا يَستعلي أحد على امرأته فالله بالمرصاد؛ فلذلك حسن الاتصاف هنا بالعلوّ والكبر.

والحمد لله رب العالمين.

---

١) ظ: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٠٦.

٢) ظ: أحكام القرآن /الجصاص، ٢٦٢/٢، شرائع الإسلام /العلامة الحلي، ٢٨٣/٢.

٣) مجمع البيان /الطبرسي، ٦٤/٣.

٤) تفسير القمي/القمي، ١٦٥/١.

٥) الواضح الميسر/محمد علي الصابوني، ص١٨٦.

٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل/ناصر مكارم الشيرازي، ٤١٨/٣.

٧) تفسير القمي، ١٨١/١.

٨) تفسير الصافي/الكاشاني، ٤٤٩/١.

٩) التفسير البسيط /الواحدي، ٤٩٠/٦.

١٠) مجمع البيان/الطبرسي، ٨٠/٣.

١١) تفسير الصافي، ٤٤٨/١.

١٢) ظ: جامع البيان عن تأويل القرآن/ الطبري، ٨١/٥، التبيان في تفسير القرآن/الطوسي، ١٩٠/٥-١٩١.

١٣) الهِجارُ: (حَبْل يُعْقَدُ في يد البعير ورجله في أَحد الشِّقَّيْنِ، وربما عُقِدَ في وَظِيفِ اليَدِ ثم حُقِبَ بالطَّرَفِ الآخر). ابن منظور، لسان العرب، ٢٥٦/٥.

١٤) أنوار التنزيل وأسرار التنزيل، ٣٤٣/١.

١٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٥٠/٣.

١٦) تفسير النور/محسن قراءتي٥٠/٤.

١٧) من لا يحضره الفقيه/الصدوق، ٥٢١/٣، مجمع البيان في تفسير القرآن/ الطبرسي، ٨٠/٣.

١٨) ظ: مجمع البيان، ١١٤/٣.

قال الإمام الجواد عليه السلام

إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي. والذي بعث محمدًا بالنبوة، وخصنا بالإمامة، أنه لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا.

(موسوعة الإمام الجواد (ع) : ١ / ٥٦٦).

حكاية مستبصر

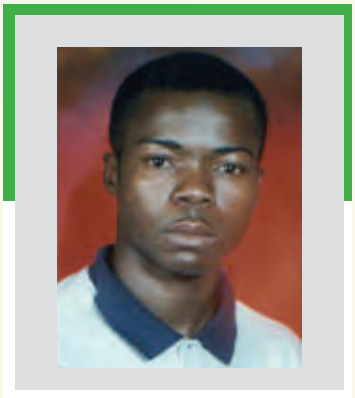

بشير سليم

مولده ونشأته: ولد عام ١٩٧٦م بجزيرة الموزمبيق، ونشأ في بيئة تعتنق المذهب الشافعي، فسار على نهج الآباء منتميًا لهذا المذهب، واصل دراسته إلى حد الثانوية، ودرس القرآن والتفسير، ثم بادر بعد ذلك إلى سلك التعليم، فحمل على عاتقه مهمة تدريس الأطفال في منطقته، شاءت الأقدار الإلهية التي رعته بألطافها منذ صغره أن ينبثق نور المعرفة في قلبه لينتمي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام عن بصيرة وفهم وإدراك في موبوتو ببلده موزمبيق عام ١٩٩٤م.

فيقول الأخ بشير: كنت في المقبرة لزيارة بعض الموتى، أقبل جمع يحملون على أكتافهم جنازة، تحيطهم هالة من اللوعة والأسى والحزن، حتى جاؤوا بها إلى حفيرة قد أعدت من قبل، فوقفت عند ذلك القبر منكسرًا باكيًا، حتى اعترتني حالة من الكآبة لما شاهدت من منظر إنزال الجنازة في القبر وتسوية التراب عليها.

وبينما أنا في تلك الحالة إذ شرع أحدهم بتلقين الميت، فانتبهت إليه وبدأت أصغي إلى كلامه بوعي وتدبر، فبدأ الشخص ينادي الميت باسمه وكأنه يخاطب ضميري: يا فلان بن فلان! يرحمك الله اذكر ما خرجت من الدنيا شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمد عبده ورسوله، وإنك رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمّد نبيًا، وبالقرآن إمامًا ....

وما إن طرق سمعي هذا الكلام، عزمت من ذلك الحين أن أسلك طريق الجد والاجتهاد، والاهتمام بشؤون ديني.

وبدأت أبحث عن المسائل الدينية التي جاءت في التلقين، وهي مسألة التوحيد والنبوة والإمامة، فشرعت بالبحث والاستقصاء العلمي، وكان لكل مسألة منها وقفة متأنية، حتى وصلت إلى مسألة القرآن واتخاذه إمامًا لنفسي، فراجعت العديد من التفاسير، وكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل في البحث، وذلك لأني واجهت فيها استفسارات وأسئلة كثيرة طفحت في ذهني، وكان من أهمها مسألة التأويلات والتفاسير المتعددة للآيات.

مسألة تأويل القرآن: ووجدت معظم الفرق تسعى لتطبيق الآيات وفق آرائها وأفكارها، وكل منها يحاول إخضاع القرآن لما يتلاءم مع متبنياته ومعتقداته الخاصة، من ذلك تجلى لي أن القرآن حمال لوجوه ومعاني متعددة، ولا يسعه أن يكون لوحده إمامًا يصون الأمة من الانحراف والتفرق والضياع، بل لابد له من مبين ومفسّر للكثير من آياته، ويحتاج إلى من يوضح معانيه ومقاصده.

ولذا نجد النبي ﷺ قد أكد في مواقف عديدة على مسألة التمسك بالعترة وملازمتها للقرآن، كما قال ﷺ في حديث الثقلين: تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فقرن ﷺ العترة بالقرآن وجعل التمسك بهما عصمة من الضلال، ومعنى ذلك أن التمسك بالقرآن دون العترة لا يعصم من الضلال، بل يؤدي إلى الوقوع في الاختلاف والتفرق والانحراف.

وهذا الحديث مشهور وصحيح وثابت قد بلغ حد التواتر. وكذلك حديثه ﷺ: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

الطريق الصحيح لسد باب الاختلاف: إذا كان لابد للمسلمين أن يتحرزوا من الضلال، كان عليهم أن يتمسكوا بأهل البيت عليهم السلام والقرآن معًا، فإن الأمة الإسلامية لا يمكنها بلوغ العزّ والسؤدد والوصول إلى المنازل الرفيعة التي توخاها الإسلام إلاّ بالتمسك بكلا الثقلين.

التحرر من الانقياد الأعمى: يقول الأخ بشير سليم بعد خوضه هذه الأبحاث: إن هذه المسألة وفرت لي بداية انطلاقة في البحث الذي منه غيرت مسير اتجاهي العقائدي، وبعد مضي سنة واحدة من البحث والتحري والتتبع تبلورت صورة الفكر الشيعي في ذهني، بشكل نشأت منها القناعة في نفسي لدقتها ووضوحها وصدقها، ولم تمض مدة حتى وجدت قلبي ينبض بمحبة أهل البيت عليهم السلام ووجدت لساني يلهج بذكرهم وفضائلهم.

ويضيف الأخ بشير: بدأت حياتي الجديدة بعد ذلك برؤية ومنهجية سلوكية أخرى تلقيتها من أهل بيت رسول الله ﷺ الذين هم خزنة علم الله، وتراجمة وحيه، وحججه على أرضه. وهكذا اجتزت عقبات هذه الرحلة الشاقة بعون الله، لأصل في نهاية المطاف إلى العقيدة الراسخة التي لم إرثها من الآباء.

(نقل بتصرف: موسوعة من حياة المستبصرين/ مركز الأبحاث العقائدية/ ج١ص١٣٩)

في الذاكرة

شهر ربيع الأول

١ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى غار ثور استعداداً للهجرة سنة ١٣ من البعثة.

١ مبيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله سنة ١٣ من البعثة.

١ أول هجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١ هـ .

٣ رمي الكعبة بالمنجنيق حتى أُحرقت على يد الحصين بن نمير قائد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ .

٤ خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار وهجرته إلى المدينة.

٥ وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام عام ١١٧ هـ.

٨ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ . وبدء إمامة الإمام صاحب الأمر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، وبداية غيبته الصغرى.

٩ مقتل عمر بن سعد لعنه الله سنة ٦٧ هـ .

١٠ وفاة عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٣٢ قبل البعثة .

١٠ زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام سنة ١٥ قبل البعثة .

١٠ اغتصاب معاوية بن أبي سفيان للخلافة وأخذ البيعة من الناس، وأول ملوك بني أمية ، وذلك سنة ٤١ هـ.

١٢ وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة مهاجرًا من مكة سنة ١٣ من البعثة.

١٢ هلاك المعتصم العباسي (لعنه الله) بسرَّ من رأى سنة ٢٢٧ هـ .

١٤ هلاك يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

١٥ بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام في السنة الأولى للهجرة.

١٧ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عام الفيل (٥٧٠م) سنة ٥٣ قبل الهجرة.

١٧ مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة.

١٨ بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة في عام الهجرة .

٢٣ وصول السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكـاظم عليهما السلام إلى بلدة قم سنة ٢٠١ هـ .

٢٥ استشهاد سعيد بن جبير رضي الله عنه على يد الحجاج بن يوسـف الثقفي (لعنه الله) سنة ٩٥ هـ .

٢٥ وفاة السيد علم الهدى الشريف المرتضى رحمه الله عام ٤٢٦هـ.

٢٦ ابرام معاهدة الصلح (الهدنة)بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان على شروط نَقَضَها معاوية ، وذلك سنة ٤١هـ.

٢٧ دخول أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنورة بظعينة الفواطم . مهاجرًا من مكة إلى المدينة وملتحقًا بالنبي صلى الله عليه وآله.

٢٧ معراج النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة بـ ٥ سنوات .

٢٧ وفاة المرجع الأعلى زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره عام ١٣٩٠هـ .

٢٩ توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى حرب الجمل (على رواية) سنة ٣٦ هـ .

تنويه

نعتـذر لجميـع السـادة الكتّـاب النجبـاء والقـراء الأفاضـل عـن عـدم صـدور العـدد الخـاص بشـهري المحـرم الحـرام وصفـر ١٤٣٩هـ ، وذلـك لظـروف قاهـرة .

أسرة التحرير

في الذاكرة

شهر ربيع الثاني

١ خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه للثأر لدم الحسين عليه السلام، وسميت حركته بثورة التوابين والتي انتهت بمقتله ومقتل أصحابه سنة ٦٥ هـ .

٣ وفاة مرجع الشيعة في عصره الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بـ(المحقق الحلي) قدس سره صاحب كتاب (شرائع الإسلام)، عام ٦٧٦ هـ .

٥ هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ .

٧ شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية) بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بأربعين يوما سنة ١١ هـ .

٨ مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٣٢ هـ .

٨ وفاة الشاعر الكبير السيد حيدر الحلي رحمه الله ، صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (الله يا حامي الشريعة) ، وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

٩ وفاة السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام الكاظم عليهما السلام سنة ٢٠١ هـ.

٩ وفاة السلطان معز الدولة الديلمي رحمه الله في بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

١٠ بدء ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطالبًا بدم الامام الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأصحابه سنة ٦٦ هـ.

١٥ وفاة السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام بمدينة قم ودفن فيها سنة ٢٩٦ هـ.

٢١ خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة المغصوبة من أهل البيت عليهم السلام بعد أربعين يومًا من هلاك أبيه يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

مرقد السيدة معصومة في مدينة قم

بدء ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي

في ١٤ ربيع الثاني سنة ٦٦ هـ

أقبل المختار بن أبي عبيد الثقفي في جماعة يحملون السلاح يريدون نصر الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فأخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وضربه بالقضيب حتى شَتَرَ عينه، فكتب فيه عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية وكتب يزيد إلى عبيد الله: أن خلِّ سبيله فخلى سبيله ونفاه، فخرج المختار إلى الحجاز، فكان مع ابن الزبير، فلما لم ير ابن الزبير يستعمله، شَخَصَ إلى العراق .... فلما صار إلى الكوفة اجتمعت إليه الشيعة، فقال لهم: إن محمد بن علي بن أبي طالب ـ محمد بن الحنفية ـ بعثني إليكم أميرًا وأمرني بقتل المحلين وأطلب بدماء أهل بيته المظلومين، وإني والله قاتل ابن مرجانة، والمنتقم لآل رسول الله ممن ظلمهم! فبايعه طائفة من الشيعة، وقالت طائفة: نخرج إلى محمد بن علي فنسأله، فخرجوا إليه فسألوه فقال: ما أحب إلينا ممن طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا، وقتل عدونا. فانصرفوا إلى المختار فبايعوه وعاقدوه)[1]. وقد بايعه إبراهيم بن الأشتر أبو النعمان وكان كأبيه مالك (رحمهما الله) سيد نخع وفارسها، شجاعًا شهمًا مقدامًا رئيسًا، عالي النفس، بعيد الهمة، شاعرًا فصيحًا مواليًا لأهل البيت عليهم السلام والذي يعد القائد الأساسي وعماد حركة المختار، بل يصح عدُّه صاحب الثورة الحقيقي لأهمية دوره فيها. واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين، وثار إبراهيم بن الأشتر في عشيرته فقَتَلَ صاحب الشرطة[2]. ففرح المختار بقتل إياس (صاحب الشرطة) وقال : هذا أول الفتح إن شاء الله. فأمر المختار بإشعال النيران ورفعها ـ إيذانًا ببدء الثورة ـ ونداء: (يا منصور أمت) ووزع مقاتليه الثائرين، ونادى المنادي: يا لثارات الحسين، وكانت الحرب بين أصحابه وبين الذين ندبهم ابن مطيع ـ والي ابن الزبير على الكوفة ـ لمقاتلة المختار وأصحابه في تلك الليلة، فكان الظفر لأصحاب المختار، فبرز إبراهيم بن الأشتر لابن مطيع في أصحابه وحمل عليه، وحصر ابن مطيع ومن معه في أشراف الكوفة في القصر ثلاثًا . . . وترك القصر (واختفى ابن

مطيع) ففتح أصحابه الباب وقالوا: يا ابن الأشتر آمنون نحن؟ فقال: أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار . . . ودخل أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، وجهاد المحلين والدفع عن الضعفاء)[٣].

ومعنى ذلك أن نجاح الثورة في الكوفة كان سهلًا نسبيًا، لأن موجة أخذ الثأر لأهل البيت عليهم السلام كانت قوية عارمة!

ثار المختار رحمه الله على ابن الزبير والأمويين معًا فانتصر عليهم، وتتبَّع قتلة الإمام الحسين عليه السلام وقتل جميع القادة ومئات ممن اشتركوا في دم الحسين عليه السلام. يقول الطبري: (فقال المختار: أعرضوهم عليّ، وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلّا قيل له هذا ممن شهد قتله، فيقدمه فيضرب عنقه، حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلًا . . . ونادى منادي المختار: إنه من أغلق بابه فهو آمن، إلّا رجلًا شرك في دم آل محمد ﷺ[٤] . . .واكتسح ابن الأشتر جيشًا كثيفًا لعبد الملك في الموصل، وقتل قائده عبيد الله بن زياد.

وبذلك تحققت أهداف ثورة المختار بأخذ ثأر الإمام الحسين عليه السلام وقتل قتلته، وحكم العراق والمناطق التابعة له في إيران وأرمينية نحو سنتين، فحكم بالعدل وحسن السيرة، إلى سنة ثمان وستين هجرية، ثم انتصر عليه مصعب ابن الزبير، فقتله.

عمد الإعلام الأموي والزبيري معًا على الطعن بدين المختار ونزاهته وبشرعية ثورته، ولكن الثابت عندنا أن خروج المختار وطلبه بثأر الحسين عليه السلام وقتله لقتلة الحسين عليه السلام، لا شك في أنه كان مرضيًا عند الله وعند رسوله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد أخبره ميثم التمار وهما في حبس عبيد الله بن زياد بأنه يفلت ويخرج ثائرًا بدم الحسين عليه السلام . . . ويظهر من بعض الروايات أن هذا كان بإذن خاص من الإمام السجاد عليه السلام.

ويبدو أن السيد الخوئي قدس سره فهم من إخبار ميثم عما يكون من المختار أنه إجازة له بذلك، لأن ميثم رحمه الله تعلم ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام. فالمختار رحمه الله على هذا الرأي مخوَّلٌ من المعصوم عليه السلام بحركته للأخذ بثأر الحسين عليه السلام.

وروى الكشي: ١/ ٣٤٠، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (... لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلتنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسَّمَ فينا المال على العسرة. وقال عليه السلام في كلام مع ابن المختار: .....سبحان الله أخبرني أبي والله أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أوَلم يبنِ دورنا، وقتل قاتلنا، وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله... وقال له أيضًا: رحم الله أباك رحم الله أباك، ما ترك لنا حقًا عند أحد إلّا طلبه، قتل قتلتنا، وطلب بدمائنا.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام.

وروي أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام لما أُتي برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد، خرَّ ساجدًا، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيرًا . .).

(نقل بتصرف من: جواهر التاريخ/ الشيخ علي الكوراني/ ج٤ ص٣٧٢)

---

١) اليعقوبي: ٢/ ٢٥٨.

٢) ينظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي/ ٣/ ٥٤١.

٣) ينظر: نهاية الإرب/ ٤٥٧٥.

٤) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٢٥.

القراءات القرآنيّة المنسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآلوسيّ

د. عصام كاظم الغالبيّ
كلية التربية الأساسية/جامعة الكوفة

ينابيع

القراءة في اللغة مصدر الفعل (قرأ)، يقال: (قرأ الكتاب قراءة وقرآنا ... وقرأ الشيء جمعه وضمه)[1]، أما في الاصطلاح فحدودها كثيرة منها أنها (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله)[2]، ومنها أنها (علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من السماع)[3]، أو هي (وجوه مختلفة في الأداء من الناحية الصوتية أو التصريفية أو النحوية)[4].

واختلف العلماء في حقيقة القراءات فيرى الباقلاني (ت٤٠٣هـ) أنها قرآن منزل من عنده تعالى[5]، ويرى الزركشي (ت٧٩٤هـ) أن القرآن والقراءات (حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وآله، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها)[6].

وقد أدى ذلك إلى جعل النظر إليها متأرجحا (بين التقديس والمناقشة، فمن يقدسها يعتبرها قرآنا، ومن يناقشها يعتبرها علمًا بكيفية أداء كلمات القرآن، وفرّق بين القرآن وأداء القرآن)[7].

وممن رأى أنها ليست من القرآن وليست مسألة دينية الدكتور طه حسين رأى أنّ القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافرًا ولا فاسقًا، وللناس أن يجادلوا فيها وأن ينكروا بعضها[8].

وكذلك اختلفوا في القراءات القرآنيّة، أهي متواترة أم لا؟ فذهب قوم منهم إلى تواترها، ومن هؤلاء الزرقانيّ الذي يقول: (والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة)[9]، وغالى بعضهم فادّعى أن من زعم عدم تواتر القراءات السبع فقد كفر[10]، ولعل السبب في ما ذُهب إليه هو ربط هؤلاء القرآن بالقراءات، وعدم تواتر القراءات يؤدي في نظرهم إلى عدم تواتر القرآن[11].

وذهب آخرون إلى عدم تواترها عن النبي صلى الله عليه وآله، فيرى الزركشي أن القراءات السبع متواترة عن الأئمة السبعة أما تواترها عن النبي ففيه نظر، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد

عن الواحد، ولم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين[١٢].

وقد رُوي في كتب التفسير والقراءات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عددٌ كبير من القراءات القرآنية ونُسبت إليهم، وليس من السهل الجزم بصحة نسبتها إليهم أو بعدم الصحة، وقد تناولها عدد من الباحثين جمعًا ودراسة وأثرًا[١٣].

والملاحظ في القراءات المنسوبة إليهم عليهم السلام عدم التعارض أو التناقض فيما بينها، فالقراءة إما أن تُنسب لأحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإما أن تُنسب إلى عدد منهم عليهم السلام، ولا تكاد تجد إمامًا قرأ بقراءة معينة، وقرأ إمام آخر بقراءة أخرى.

وقد أورد الآلوسي عددًا من القراءات المنسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام مبيّنًا المعنى الذي تؤديه ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** (الفاتحة:٦)، إذ ذكر الآلوسي أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قرأ (صراط المستقيم) بالإضافة.[١٤]

ومن ذلك أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: **(فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)** (المائدة:٨٩)، فقد ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام

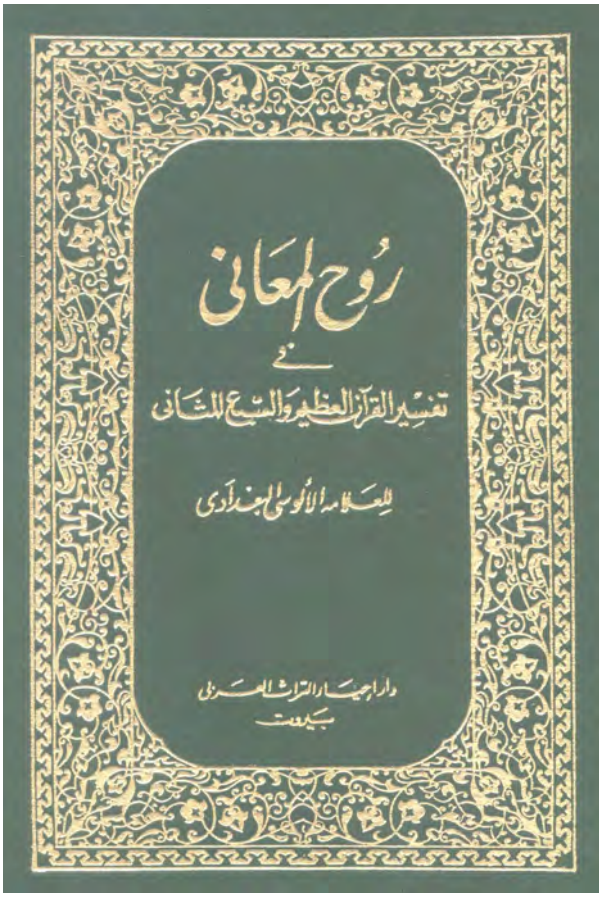

أنه قرأ (أهاليكم) قائلًا: (بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالألف وهو أيضًا جمع أهل على خلاف القياس كليال في جمع ليلة)[١٥].

ومنه أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)** (الأنعام:٣٣)، إذ ذكر أن الإمام جعفر الصادق وغيره قرأوا (لا يُكْذِبُونَكَ) من الإكذاب، وأن الجمهور قالوا: كلاهما بمعنى كأكثر وكثر وأنزل ونزل؛ وقيل: معنى أكذبته وجدته كاذبًا

كأحمدته بمعنى وجدته محمودًا، ونقل أحمد بن يحيى عن الكسائي أن العرب تقول : كذبت بالتشديد إذا نسبت الكذب إليه وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دونه[١٦].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ**) (الكهف:١٨)، إذ ذكر الآلوسي لكلمة (كلبهم) قراءات كثيرة أوردها عن القراء ومنها قراءة الإمام جعفر الصادق عليه السلام (وكالبهم) بباء موحدة وزنة اسم الفاعل والمراد صاحب كلبهم كما تقول: لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر[١٧].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: (**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**) (الأحزاب:٣٧)، إذ نقل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأجداده عليهم السلام (زوجتكها) بتاء الضمير للمتكلم وحده[١٨].

وذكر الآلوسي أن عددًا من المفسرين ادّعوا زيادة (عن) في قوله تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**) (الأنفال:١)، مستدلين بقراءة الإمام الصادق عليه السلام وغيره (**يَسْأَلُونَكَ الأنفال**) بحذف (عن)، ثم علق قائلًا : (... وليست دعوى زيادة (عَنْ) في القراءة المتواترة لسقوطها في القراءة الأخرى أولى من دعوى تقديرها في تلك القراءة لثبوتها في القراءة المتواترة بل قد ادعى بعض أنه ينبغي حمل قراءة إسقاط (عَنْ) على إرادتها لأن حذف الحرف وهو مراد معنى أسهل من زيادته للتأكيد، على أنه يبعد القول بالزيادة، هنا الجواب بقوله تعالى: (**قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**)، فإنه المراد به اختصاص أمرها وحكمها بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله فيقسمها النبي عليه الصلاة والسلام كما يأمره الله تعالى من غير أن يدخل فيه رأي أحد)[١٩].

وذكر الآلوسي عددًا من القراءات التي قُرئ بها قوله تعالى: (**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**) (التوبة:١١٨)، ومنها قراءة الإمام الصادق عليه السلام وغيره إذ روى عنه أنه قرأ (خالفوا) بزيادة الألف[٢٠]، وتحويل الفعل من المبني للمفعول إلى المبني للفاعل.

ومسألة زيادة الألف في القراءات القرآنية وتأثيرها في البنية والدلالة وردت في العشرات من القراءات القرآنية ولم تقتصر على قراءة الإمام عليه السلام[٢١].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: (**وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ**) ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قرأ (وتعززوه) بفتح التاء وكسر الزاي مخففًا[٢٢].

وذكر الآلوسي أن الإمام الصادق عليه السلام قرأ قوله تعالى: (**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (يوسف:١٢) قرأه (نرتع ويلعب) بقلب الياء نونًا ونسبة الفعل الأول إليهم والفعل الآخر إلى يوسف عليه السلام[٢٣].

ومسألة قلب بعض الحروف إلى حروف أخرى مشابهة لها في الرسم كثيرة الورود في القراءات القرآنية، حيث وجد أكثر من مائة قراءة اختلفت بسبب عدم تنقيط حروف العربية آنذاك[٢٤].

وفي تفسير قوله تعالى: (**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**) (يوسف:٤٩) ذكر الآلوسي أن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وغيره قرأوا (يُعصَرون) على البناء للمفعول ... من عصره الله تعالى إذا أنجاه أي ينجيهم

الله سبحانه مما هم فيه من الشدة، وهو مناسب لقوله: (**يُغَاثُ النَّاسُ**)[٢٥].

وروى الآلوسي أن الإمام الصادق عليه السلام وغيره قرأوا قوله تعالى: (**قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ**) (الفرقان:١٨) قرأوه (يُتَّخَذَ) مبنيًا للمفعول، وخرج ذلك الزمخشري على أنه من اتخذ المتعدي إلى مفعولين والمفعول الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل والثاني (مِنْ أَوْلِيَاء)[٢٦].

---

١) تاج العروس (قرأ).
٢) أثر القرآن والقراءات في النحو العربي: ٣٠٩.
٣) مقدمات في علم القراءات: ٤٧.
٤) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٥.
٥) يُنظَر: نكت الانتصار لنقل القرآن: ٤١٥، وتاريخ القرآن: ١١٧.
٦) البرهان: ١ / ٣١٨.
٧) تاريخ القرآن: ١١٧.
٨) يُنظَر: في الأدب الجاهلي: ٩٥.
٩) مناهل العرفان: ١ / ٤٣٩.
١٠) يُنظَر: المصدر نفسه: ١ / ٤٣٤.
١١) يُنظَر: منهج النقد في التفسير: ٢٣٨، ٢٣٩.
١٢) يُنظَر: البرهان: ١ / ٣١٩.
١٣) يُنظَر: القراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت وآثارها، رسالة ماجستير، كلية الفقه / جامعة الكوفة، ٢٠١٥.
١٤) يُنظر روح المعاني: ١ / ٩٣.
١٥) روح المعاني: ٧ / ١٢.
١٦) يُنظر روح المعاني: ٧ / ١٣٦.
١٧) يُنظر روح المعاني: ١٥ / ٢٢٦.
١٨) يُنظر روح المعاني: ٢٢ / ٢٦.
١٩) روح المعاني: ٩ / ١٦٠، ١٦١.
٢٠) ينظر: روح المعاني: ١١ / ٤١.
٢١) ينظر: زيادة الألف في القراءات القرآنية وأثرها في البنية والدلالة (بحث)، الدكتور عصام كاظم الغالبيّ، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، عدد خاص، نيسان ٢٠١٣: ٢٤١-٢٥٦.
٢٢) يُنظر روح المعاني: ٢٦/ ٩٦.
٢٣) يُنظر روح المعاني: ١٢ / ١٩٤.
٢٤) يُنظر أثر الرسم القرآني في اختلاف القراءات عدم التنقيط أنموذجا (بحث)، د.عصام كاظم الغالبي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العشرون: ٦٣ – ٧٩، وتنظر مصادره.
٢٥) يُنظر روح المعاني: ١٢ / ٢٥٦.
٢٦) روح المعاني: ١٨ / ٢٤٩.

شريف العلماء
سيرته وآثاره العلمية

د. سلمان هادي آل طعمة
مؤرخ وباحث إسلامي

ينابيع

لا شك أن الدراسات التربوية تؤكد أن البيئة في حياة الطفل تعتبر النواة الأولى التأسيسية في بناء شخصيته، ومعنى ذلك أن العائلة الصالحة لها تأثير كبير على سلوك الطفل وسيرته، فهي المدرسة الأولى التي تربي وليدها تربية حسنة، فينشأ نشأة صحيحة، ذلك الفتى الصالح المهذب الورع التقي صاحب الخلق الرصين، يتطلع إلى المُثل العليا ويسعى وراء الحق وينشد الحياة والمستقبل العلمي المرموق.

احتضنت مدينة كربلاء المقدسة كبار مشاهير رجال العلم والأدب والفقه الإسلامي، وهم على درجة كبيرة من الثقافة والمعرفة والذكاء، نشأوا في بيئات صالحة، يمتلكون القدرة الفريدة على النجاح والازدهار. ففي مثل هذه الأجواء بزغ كوكب درّي وضاء متألق في سماء العبقرية، فكان نقلة نوعية وفرتها تلك البيئة الملائمة لشخصية المفكر الفذ العالم الرباني الشيخ شريف العلماء.

يكاد يجمع المؤرخون على أنه ولد في مدينة كربلاء ونشأ على ثقافة دينية، وأقبل على العلوم الإسلامية من فقه وأصول وحديث، وانقطع للتدريس في مدرسة حسن خان، وأن ألف طالب مجتهد يجلس تحت منبره لغزارة علمه وتفوقه في علم الأصول وبقية العلوم. وتجدر الإشارة إلى أن الطلبة هم المادة الرئيسية في كل الحوزات العلمية، لما تتمتع به هذه الطبقة من ميزات النشاط والحيوية والقبول السريع بالعمل والإقبال الشديد عليه إضافة إلى أن افرادها من الشباب الواعي الذين تمتد أعمارهم قياسًا بعناصر المجتمع الأخرى.

كان الشيخ شريف العلماء مشتهرًا بالتقوى والصلاح والورع، ينشد السعادة والتأمل، وقد ترجم له الكثير ممن عاصروه وعاشوا بعد عصره وهذا دليل على غزارة علمه وسعة اطلاعه.

قال صاحب كتاب (الروضة البهية): محمد شريف ابن مله حسن المازندراني

أصلًا الحائري مسكنًا ومدفنًا، ولد في كربلاء المشرفة ببالي أنه المسموع من لسان الشريف عاش في كربلاء أكثر عمره الشريف واشتغل أولًا على السيد الأستاذ السيد محمد ابن السيد علي الآتي ذكرهما. ثم على أستاذه أغا سيد علي والد السيد الأستاذ، وفي تسع سنين في الأصول والفقه فصار محسودًا بين الحاسدين ومستغنيًا عن الاشتغال وقابلًا للإفتاء ومجتهدًا بصيرًا وجامعًا لجميع الشرائط المعتبرة ....[1].

وذكره سيدنا المحسن الأمين في موسوعته (أعيان الشيعة) فقال:

(الشيخ محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري المعروف بشريف العلماء.

ولد في كربلاء وتوفي فيها سنة ١٢٤٥هـ، ودفن قرب باب القبلة. شيخ العلماء ومربي الفقهاء مؤسس علم الأصول جامع المعقول والمنقول نادرة الدهر وأعجوبة الزمان.

قرأ أولًا على السيد محمد المجاهد، ثم قرأ على والده صاحب الرياض في الأصول والفقه حتى استغنى عن الأستاذ ولم يعد ينتفع بدرسه، فسافر مع أبيه إلى إيران - وكان يسكن هناك - وساح فيها وبقي في كل بلد شهرًا أو شهرين فزار - الإمام - الرضا عليه السلام، ورجع إلى كربلاء وحضر درس صاحب الرياض فرأى أنه لا يستفيد من درسه وصار السيد معمرًا، فاشتغل -

الشيخ شريف العلماء ـ بالمباحثة والمطالعة واجتمع في درسه الفضلاء حتى زادوا على الألف، منهم السيد إبراهيم صاحب الضوابط، وملا إسماعيل اليزدي، ... وملا آقا الدربندي، وسعيد العلماء البارفروشي، والشيخ مرتضى الأنصاري، والسيد محمد شفيع الجابلقي، وغيرهم.

وكان يدرّس درسين أحدهما للمبتدئين والآخر للمنتهين، وقلما رُئي مثله في تأسيس قواعد الأصول، وقد صرف عمره على تربية العلماء، فلهذا كان قليل التصنيف، ومصنفاته على قلتها لم تخرج إلى البياض، وكان أعجوبة في الحفظ والضبط ودقة النظر وسرعة الانتقال في المناظرات وطلاقة اللسان، له يد طولى في علم الجدل، وكان له ولد توفي سنة وفاته وانقطع نسله[٢].

وأضاف لنا سيدنا الحسن الصدر: من أساتذته حجة الإسلام الحاج أسد الله البروجردي أستاذ الشيوخ الذي تتلمذ عليه جماعة[٣].

كان والده الشيخ حسن علي المازندراني يتوسم فيه الوعي المبكر والاستعداد التام لسماع الجديد من الآراء والأفكار في الدرس والتحصيل، وتهيأت له الظروف المناسبة وتوفرت له فرص الاطلاع على كتب الفقه والأصول والفلسفة والمنطق والكلام فنهل من معين الفكر حتى ارتوى، وكان على قدر كبير من الجرأة والصبر اللذين يؤهلانه لتحمل أعباء كبيرة في حوزة كربلاء.

هذا العالم الذي قضى حياته في خدمة الدين والعلم وبذل كل ما لديه من أجل انتشال الناس من كابوس الجهل وإرشادهم إلى ما فيه خير الأمة وصلاحها. فإنه كان عبدًا صالحا ذا حظ وافر من المعارف الدينية الأصلية والفرعية، دؤوباً في إصلاح شؤون هذه الطائفة المظلومة وتربية عوامها، ينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم وفكرهم، ونجح بحمد الله نجاحًا باهرًا في إصلاحها. فكان أحد أركان العلم وأساطينه، يلقي المحاضرات على الطلبة، ولم يفقد حافظته وقوة حجته وحسن برهانه لفرط ذكائه ودعوته الصريحة للجهاد والتضحية في سبيل الفكر والعمل، قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) (التوبة:٤١).

وكانت تربطه بكثير من طبقات المجتمع صلات وثيقة ومودة صافية، ومما يروى عنه أنه كان يتصف بالأخلاق العالية والنفس المجبولة على حب الخير الخالية من درن الحياة، فهو صاحب النفس الأبية التي تحلت بالود والإخلاص وترفعت عن الخطايا والزيف والجحود، بذلك أحبه طلاب العلم والتفوا حوله يستفيدون من بحر علمه الزاخر ويستقون من معين فضله الطاهر.

ذكره المرحوم الشيخ محمد حرز الدين في معارفه: (كان متكلمًا فيلسوفًا بارعًا بالأصول، وحدثنا بعض المعاصرين الأعلام أنه كان يحضر مجلس درسه ألف رجل أو يزيد بين عالم فاضل وكلهم من أهل التحقيق وجلهم صاروا مراجع تقليد، إلى أن قال: توفي في الحائر الحسيني سنة ١٢٤٥هـ ودفن بداره)[٤].

وترجم له المولى حبيب الكاشاني، فقال: (كان أصوليًا بحتًا مؤسسًا لقواعد شريفة لم نسمع بمثلها، ويجلس في محضر درسه أزيد من ألف فاضل، من جملتهم

الشيخ مرتضى الأنصاري، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، لأنه مقرراً له حتى قيل إن الضوابط من تقريراته، وسعيد العلماء البارفروش والسيد سعيد البروجردي، .... وكان في أول أمره في كمال الفقر والفاقة، ولكن حكي أن بعض أعيان البارفروش بنى له مدرسة سماها المدرسة الشريفية وزوجه بنته فصار في رفاهية ويسر، فإن مع العسر يسرا[٥].

واستلهم طلابه الفوائد من محاضراته التي تطرح فيها الكثير من المفاهيم الإسلامية والمسائل الفقهية، إذ أنها مدرسة عظيمة أحرزت له التلاميذ الذين أحيوا أمر الأئمة عليهم السلام، وكانت لهم منزلة وشأن واعتبار، لذا فإن عدد التلاميذ لدى الأستاذ الشريف يتكرر لدى التلميذ صاحب الضوابط كما في قوله: (يحضر درسه في كربلاء أكثر من ألف إمامي مجتهد، وتلميذه العَلَم البارز الشيخ مرتضى الأنصاري صاحب كتاب (الرسائل في الأصول والمكاسب في الفقه) حيث يجري تدريسها حتى يومنا هذا كمصادر رئيسية لمن يريد الاجتهاد وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام، وظهر تلميذ شريف العلماء وهو السيد ابراهيم القزويني المتوفى عام ١٢٦٢هـ وكان كأستاذه يحضر في درسه الف عالم وفقيه[٦].

لقد كان الشيخ شريف العلماء أنموذجًا حيًا للمرجعية الرائدة للأمة الإسلامية في عصره، وقادها بوعي وحكمة، فقد نشر الوعي الإسلامي وفق منهاج شامل قويم في تربية النفس وتنشئة جيل صالح يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله ويعمل الصالحات، كما في قوله سبحانه و تعالى: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء:٩).

ونقل لنا الأستاذ نور الدين الشاهرودي، في بحثه المعنون (حوزة كربلاء على عهد شريف العلماء)، قال: (في عهد الرئاسة العامة بشيخ العلماء ومربي المجتهدين ومربي الفقهاء الفحول المولى محمد شريف بن المولى حسن علي القبيسي المازندراني الحائري المعروف بشريف العلماء، أخذت الحوزة العلمية في كربلاء زخمًا قويًا وطاقة إضافية نظرًا لأن حلقات درسه وأبحاثه وتقريراته الفقهية والأصولية اجتذبت إلى مدينة كربلاء المئات بل الألوف من الفضلاء والطلاب والمبتدئين والمنتهين[٧].

آثاره:

مر بنا قبل قليل أن الشيخ شريف العلماء كان قليل التأليف، لم يسعفه الظرف للانصراف إلى الكتابة، بل ركّز عنايته بتدريس طلابه، وقد اعترض أحد طلابه ذات مرة بقوله: لماذا لا تؤلف؟ وهذه التحقيقات غير الموروثة من السلف ويعجز الآتون بعدك عن الوصول إليها، فاللازم أن تؤلف لحفظها. فقال: عملي

تربية الطلاب وتعليم المتعلمين وكل ما تؤلفونه أنتم التلاميذ فهو مني[٨].

وقد ذكر له الميرزا محمد علي المدرس في موسوعته (ريحانة الأدب) كتابًا واحدًا، هو:

١- رسالة (جواز أمر الآمر مع العلم بانتقاء الشرط)[٩]، وذكر هذا الكتاب شيخنا أغا بزرك الطهراني في موسوعته (الذريعة) بقوله: (جواز أمر الآمر مع علمه بانتقاء الشرط)، رسالة مبسوطة لشريف العلماء المولى محمد شريف بن المولى حسين علي الآملي المازندراني الحائري المتوفى بالطاعون في ١٢٤٦ هـ ودفن في داره، توجد نسخته عند شيخ الإسلام الزنجاني في زنجان.

٢- بيع المعاملات والصرف والخيارات[١٠].

٣- الرسائل الكثيرة[١١].

٤- رسالة في مقدمة الواجب[١٢] في مجموعة فيها شرح الوافية لبحر العلوم، ورسالة الشرط في ضمن العقد للقمي، وغيرهما في كتب السيد محمد اليزدي، ونسخة أخرى مع فوائد الوحيد البهبهاني في خزانة السيد الميرزا علي الشهرستاني أولها (ذهب الأكثرون إلى أن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم إلّا به).

مدرسته العلمية ومرقده:

من الآثار التاريخية الشاخصة التي تركها في كربلاء هي مدرسته لطلاب العلوم الدينية المعروفة بمدرسة شريف العلماء، وهي اليوم موئل رواد أهل العلم تقع مدرسته في زقاق كدا علي المتشعب من شارع الحسين عليه السلام الرئيسي، وهي كائنة بجانب مرقده الشريف، وهي من المدارس العلمية الدينية في كربلاء، وتحتوي على

٢٢ غرفة في طابقين يسكنها طلاب العلوم الدينية بينهم عدد من الطلاب الأجانب وقد بادر بتأسيسها المجتهد الأكبر والمرجع الديني السيد محسن الحكيم المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ وجعلها وقفًا على طلاب العلوم الدينية في كربلاء والنجف في سنة ١٣٨٤هـ[١٣].

وهكذا هو حال العلماء العاملين وظفوا علمهم ودينهم لوجه الله ورضاه. فقد كان شريف العلماء موسوعة معرفية أنارت طريق العلماء والباحثين

وفاته:

أدركته الوفاة في الحائر الشريف المقدس بالطاعون سنة ١٢٤٥هـ ومنهم من يقول ١٢٤٦هـ حيث مثواه الأخير ودفن في داره التي تقع في زقاق كدا علي جنب مدرسته الدينية بشارع الإمام الحسين عليه السلام.

عاش الشيخ شريف العلماء حياة عريضة خصبة كانت بالغة الأثر، فقد كان من المفكرين الذين رسموا الطريق الفكري للنهضة العلمية، وكان إلى ذلك زعيمًا فقيهًا ومثلًا أعلى للعبقرية، تتوفر فيه صفات القوة والتجرد والأمانة، وهو بلا شك ممن لا يلحق شأوه ولا يشق غباره أستاذ ماهر وجهبذ باهر حسن السمت كثير الصمت مع زهد وورع وتقوى وصلاح.

---

١) الروضة البهية/ السيد محمد شفيع الجابلقي ص٩.

٢) أعيان الشيعة/السيد محسن الأمين/ ج٩ص٣٦٤.

٣) تكملة أمل الآمل/ السيد حسن الصدر ٥ / ٤١١.

٤) معارف الرجال/ الشيخ محمد حرز الدين ٢ / ٢٩٨.

٥) لباب الألقاب في ألقاب الأطياب/ الشيخ حبيب الله الكاشاني ط٢ ص٣٥.

٦) دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري/مركز كربلاء للبحوث ص٢٣٠.

٧) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء/ نور الدين الشاهرودي ص٥٨.

٨) قصص العلماء/ الميرزا محمد التنكابني ص١٢٧.

٩) ريحانة الأدب/الميرزا محمد علي المدرس٣/ ٢١٩.

١٠) الذريعة/الشيخ اغا بزرك الطهراني ٢٤٢/٥، ومعجم مؤلفي الشيعة/ علي الفاضل القائيني ٣١٠.

١١) الذريعة ١٠/ ٢٥٥، ومعجم مؤلفي الشيعة ص٣١٠.

١٢) الذريعة ١٠٦/٢٢، ومعجم مؤلفي الشيعة ص٣١٠.

١٣) تاريخ الحركة العلمية في كربلاء – نور الدين الشاهرودي ص٤٢٨.

للفضيلة نجومها

الشريف المرتضى (علم الهدى)

مكانته ..علمه ..آثاره

أ.د. الشيخ صاحب محمد حسين نصار
جامعة الكوفة /كلية الفقه

ينابيع

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥- ٤٣٦ هـ) كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام وله باع في علوم العربية، عاش في بغداد خلال فترة الحكم البويهي الذي بدأ سنه (٣٢٠هـ) في العراق وفارس، وكانت هذه الفترة من فترات ضعف الخلافة العباسية ومليئة بالصراعات السياسية، ولم يكن لهذه الصراعات آثار سلبية على النشاطات الفكرية والثقافية، بل على العكس لقد شهدت هذه المرحلة حركة علمية واسعة ونشطة، خلفت ذخيرة كبيرة من المؤلفات والأعمال في كثير من المجالات العلمية والمعرفية، وله مجموعة متزاحمة من الثقافات والمعارف العالية فإن له آثاراً متميزة في القرآن والكلام والعقائد والفقه وأصوله والأدب والشعر والجدل وغيرها من العلوم والفنون .

وكان رحمه الله ميّالاً إلى الزهد في الدنيا راغبًا عنها ذامًّا لها، داعيًا إلى الاعتبار فيها، سالكًا سبيل أجداده الكرام عليهم السلام من جعلها مجازًا للآخرة، وزادًا لدار القرار. إلّا أنه مع زهده في الدنيا وتقشفه فيها كان ذا مقام سياسي في الدولة خطير، وذلك بفضل ما أوتي من أصالة الرأي ووقار العلم والمال، مع عزّ العشيرة وكثرة الرجال، وكان شغوفًا بالعلم منصرفًا إليه بين دراسة وتدريس محبًا لتلامذته وملازميه.

والذي يدرس الشريف المرتضى يجده عالمًا موضوعيًا في شتى المجالات الفكرية والعلمية والثقافية والجوانب الأخرى.

اسمه ونسبه وولادته:

هو السيد الشريف أبو القاسم علي بن طاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين.

ولد السيد الشريف المرتضى في رجب سنة (٣٥٥ هـ - ٩٦٦ م) في بغداد، لقب بالمرتضى ذي المجدين علم الهدى. كان أوحد أهل زمانه علمًا وكلامًا وحديثًا وشعرًا فكان بذلك مثالًا للثقافة الكاملة.

أما والده فيكنى بأبي أحمد ويلقب (بالطاهر، الأجل، ذي المناقب، الأوحد) كان نقيب الطالبيين وعالمهم وزعيمهم، جمع إلى رياسة الدين زعامة الدنيا لعلو همته وسماحة نفسه وعظيم هيبته وجليل بركته. وكان قوي المنة شديد العصبة.

وأما والدته فهي فاطمة بنت الحسين الملقب بالناصر الصغير نقيب العلويين في بغداد وعالمهم وزاهدهم وشاعرهم.

وقد ورد في كتاب الفوائد الرجالية حول نسب الشريف المرتضى ما يأتي:

(أما النسب فهو أقصر الشرفاء نسبًا، وأعلاهم حسبًا، وأكرمهم أمًا وأبًا وبينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام عشر وسائط من جهة الأم والأب معًا وبينه وبين الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام خمسة آباء كرام)[1].

سماته الخَلقية وصفاته الخُلقية:

كان الشريف المرتضى رحمه الله ربع القامة نحيف الجسم أبيض اللون حسن الصورة. اشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء عن الحُسّاد والأعداء، بالرغم مما وصمه به هؤلاء من البخل وقلة الإنفاق. وخير دليل على سخائه وبذله ما تعهد بمكتبته

(مشهورة جدًا، حيث تضم ثمانين ألف كتاب) ومدرسته العلمية وتلامذته من إنفاق وبذل.

وكان رحمه الله ميّالًا إلى الزهد في الدنيا راغبًا عنها ذامًا لها، داعيًا إلى الاعتبار فيها، سالكًا سبيل أجداده الكرام عليهم السلام، والصحابة المنتجبين العظام، من جعلها مجازًا للآخرة، وزادًا لدار القرار.

إلّا أنه مع زهده في الدنيا وتقشفه فيها كان ذا مقام سياسي في الدولة خطير، وذلك بفضل ما أوتي من أصالة الرأي ووقار العلم والمال، مع عزّ العشيرة وكثرة الرجال.

وكان رحمه الله شغوفًا بالعلم منصرفًا إليه بين دراسة وتدريس، محبًا لتلامذته وملازميه.

وقد اتخذ من داره الواسعة مدرسة عظيمة تضم طلاب الفقه والكلام والتفسير واللغة والشعر والعلوم كالفلك والحساب وغيره، حتى سميت (دار العلم)، وكان له فيها مجلس للمناظرات.

والملفت للنظر حسب ما روى المحققون أن مدرسته كانت جامعة إنسانية اجتمع فيها كثير من طلاب العلم من مختلف المذاهب والملل دون تفريق بين ملة وملة ومذهب ومذهب آخر.

وهذا يدل على رحابة صدره وسعة أفقه وعمق نظرته الإنسانية وترفعه عن العصبية والطائفية والمذهبية التي كان يعتبرها نابعة من الجهل وضيق الأفق.

كما أنه قدس سره شغف بجمع الكتب وولع باقتنائها، ويكفي ما ذكر أن خزانته ضمت ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروءاته على ما حصره وأحصاه صديقه وتلميذه أبو القاسم التنوخي[٢].

عصره ومعاصروه وأصحابه:

عاش الشريف المرتضى في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين وهي فترة انكماش الدولة العباسية وضعفها ووهنها أيام سيطرة أمراء الإقليم على حكم أقاليمهم وتولي بني بويه شؤون السلطة في بغداد.

وكان له بفضل ما أوتي من شرف العلم والنسب وما تحلى به من غزارة العلم وقوة الشخصية وعزة النفس ووفره المال وجميل الخصال وسمو الرتبة وجليل المكانة أصدقاء كثر جلهم من أهل العلم والأدب والفضل والشرف.

ويكفي أن نذكر بعض أساتذته وتلامذته ممن كانت لهم المراكز والرتب العلمية والدينية والدنيوية، إضافة إلى صلاته الوثيقة بالخلفاء والملوك والوزراء والأمراء والقادة، لنتبين المكانة العالية التي كان يتمتع بها رحمه الله.

أساتذته ومشايخه:

١- الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) العالم المتكلم المشهور، اشتهر بكثرة علمه. وهو محمد بن محمد بن النعماني العكبري البغدادي المكنى بأبي عبد الله وابن المعلم.

٢- ابن نباتة: الشاعر المشهور وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي.

٣- المرزباني (ت٣٧٨هـ): وهو أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله المعروف بالمرزباني. كان راوية للأخبار والآداب والشعر.

٤- ابن جنيقا: وهو أبو القاسم بن عبد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق المعروف بابن جنيقا. كان قاضيًا محدثًا ثقة مأمونا

حسن الخلق.

٥- أبو عبد الله ابن بابوية القمي: وهو الحسين بن علي بن الحسين بن بابوية، أخو الشيخ الصدوق، كان جليل القدر عظيم الشأن في الحديث. وقد وثقه أصحاب التراجم، وأخباره مشهورة في كتبهم[٢].

من تلامذته:

١- شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ): وهو الفقيه الأصولي والمحدث الشهير.

٢- أبو يعلى سلار (سالار) بن عبد العزيز الديلمي (ت٤٦٣ هـ): وهو محمد بن حمزة أو ابن عبد العزيز الطبرستاني. وكان ينوب عن أستاذه المرتضى في التدريس، وهو فقيه متكلم.

٣- أبو الصلاح تقي الدين بن النجم الحلبي (ت٤٧٧هـ): وهو الشيخ تقي الدين بن النجم الحلبي خليفة المرتضى في البلاد الحلبية ومن كبار علماء الإمامية.

٤- القاضي أبو القاسم عبد العزيز بن البراج (ت٤٨١هـ): وهو أبو القاسم القاضي السعيد عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج.

٥- أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ): وهو الشيخ الإمام العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، عالم، فاضل، متكلم، فقيه، محدث، ثقة جليل القدر.

٦- عماد الدين ذو الفقار محمد بن معبد الحسني: وهو السيد الإمام عماد الدين ذو الفقار محمد بن معبد بن الحسن بن أبي جعفر الملقب بحميدان، أمير اليمامة بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف بن الأخيضر بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. كان فقيهًا عالمًا متكلمًا ورعًا.

٧- أبو عبد الله جعفر بن محمد

الدوريستي: هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباسي الرازي الدوريستي. من أكابر علماء الإمامية اشتهر في جميع الفنون[٤].

عاصر الشريف المرتضى من الخلفاء كل من: الطائع لأمر الله، والقادر، وابنه القائم بأمر الله وأبو العباس محمد بن القائم بأمر الله.

وعاصر من الملوك: بهاء الدولة البويهي وأبناؤه شرف الدولة، وسلطان الدولة، وركن الدين جلال الدولة، وأبو كاليجار المرزبان.

ما قيل في الشريف المرتضى:

قيل في الشريف المرتضى الكثير في تعداد مزاياه وفضائله ومراتبه:

١- في مرآة الجنان: (إمام أئمة العراق بين الاختلاف والافتراق، إليه فزع علماؤنا، وأخذ عنه عظماؤنا، صاحب مدارسها وجامع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره وعرفت بها أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره وتواليفه في أصول الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين مما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل)[٥].

٢- في جامع الأصول قال ابن الأثير: (إن مروج المائة الرابعة بقول فقهاء الشافعية هو أبو حامد أحمد بن طاهر الأسفرايني، وبقول علماء الحنفية أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، وباعتقاد المالكية أبو محمد عبد الوهاب بن نصر، وبرواية الحنابلة هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن حامد، وبرواية علماء الإمامية هو الشريف المرتضى الموسوي)[٦].

٣- في تتمة يتيمة الدهر قال الثعالبي: (قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم، وله شعر في نهاية الحسن)[٧].

٤- وجه تلقيبه بـ (علم الهدى): إن سبب تسمية السيد المرتضى بـ (علم الهدى).

أنه مرض الوزير أبو سعيد محمد بن الحسين بن عبد الصمد، في سنة عشرين وأربعمائة، فرأي في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول له: قل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأ، فقال: يا أمير المؤمنين ومن علم الهدى؟ فقال عليه السلام: علي بن الحسين الموسوي. فكتب إليه الوزير بذلك، فقال: الله الله في أمري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة عليّ، فقال الوزير: والله ما كتبت إليك إلّا بما لقبك به جدّك أمير المؤمنين عليه السلام. فعلم القادر الخليفة بذلك، فكتب إلى المرتضى، يا علي تقبل ما لقبك به جدك، فقبل وأسمع الناس)[٨].

تصانيفه:

وقد بلغت تصانيفه ورسائله ومؤلفاته مئة وسبعة عشر مصنفا[٩].

وهكذا نجد الشريف المرتضى طيب الله ثراه، قد مخر عباب هذا البحر الزاخر المتلاطم الأمواج الدينية منها والأدبية والفكرية والسياسية والاجتماعية، فكان كالمارد تحدى العواصف والأعاصير ممتشقًا ذهنًا وقّادًا وقلبًا كبيرًا، وعلمًا غزيزًا، وعزيمة لا تلين. فكان بحق عَلما في حياته، وقدوة بعد مماته.

وقد ذكر الجزري: (.... كانت إليه نقابة الطالبيين ببغداد وكان عالمًا فاضلًا متكلمًا فقيهًا على مذاهب الشيعة وله تصانيف كثيرة)[١٠].

ونقل في موضع آخر قوله: (... من المجدّدين لمذهب الإماميّة على

رأس المائة الثالثة على رواية أو قول علماء الإمامية)[11].

ألّف في العلوم الإسلامية كتبًا كثيرة تقرب من ثمانين كتابًا ورسالة من مختصر ومطول طبع بعضها ولا يزال المعظم منها غير مطبوع.

من مؤلفاته المطبوعة (الأمالي) و(الشافي في الإمامة) و (طيف الخيال) و(الشهاب في الشيب والشباب) و(تنزيه الأنبياء) و (الانتصار) و(ديوان شعره) و(الفصول المختارة) و(المقنع في الغيبة) و(الأصول الاعتقادية) و(أحكام أهل الآخرة).

وفاته:

توفي السيد الشريف المرتضى قدس سره في الخامس والعشرين من ربيع الأول من سنة (٤٣٦ هـ ١٠٤٤م)، وعمره يومئذ ثمانون سنة وثمانية أشهر، ودفن في داره أولًا ثم نقل إلى جوار جده موسى بن جعفر عليه السلام، حيث دفن في مشهده المقدس مع أبيه وأخيه وقبورهم ظاهرة مشهورة [12].

هامش:

١) الفوائد الرجالية/بحر العلوم/ص٤٤.

٢) التنوخي: هو أبو القاسم علي بن المحسن القاضي صاحب المرتضى وتلميذه، ولد بالبصرة سنة ٣٦٥ هـ وولي القضاء بالمدائن، وكان متحفظًا في الشهادة محتاطًا صدوقًا في الحديث توفي (سنة ٤٤٧) ودفن في داره بدرب التل، وقد كتب عنه الخطيب البغدادي وصلى على جنازته.

٣) ظ: روضات الجنات/محمد باقر الأصفهاني الخوانساري/ص ٣٨٣.

٤) الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)/ السيد المرتضى، المقدمة.

٥) م.ن/ص٦ (المقدمات).

٦) مرآة الجنان/اليافعي/٣: ٢٨.

٧) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول في إحدى طبعاته ٤: ٦٤٤.

٨) ظ : رياض العلماء/للحجة عبد الله الأفندي.

٩) تتمة يتيمة الدهر في ذكر أحواله وأحوال شعرائه، الثعالبي /١ / ٣٥ ط.

١٠) روضات الجنات /ص ٢٩٥ – ٢٩٦.

١١) رسائل الشريف المرتضى/المجموعة الأولى/ ص٣٣ - ٣٩.

١٢) جامع الأُصول في أحاديث الرسول/ابن الأثير الجزري/ج٤: ص١٩٧.

١٣) المصدر نفسه/ج٤: ص٢٣١.

١٤) رسائل الشريف المرتضى/المجموعة الأولى / ص٣٩.

للفضيلة نجومها

نجيب بني أمية
خالد بن سعيد بن العاص (رض)

محمد علي جعفر
كاتب وباحث إسلامي/بغداد

ينابيع

لما بُعث رسول الله ﷺ في مكة آمن به قوم وكفر به آخرون، ولم يكتفوا بعدم الإيمان به، بل نصبوا له العداوة والبغضاء، ولو تمكنوا منه لقتلوه، وكان من بين أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ زعماء بني أمية ومنهم (سعيد بن العاص بن أمية).

وهناك أيضًا السابقون الأولون إلى الاسلام، ومنهم خالد بن سعيد بن العاص، وبعده أسلمت امرأته أميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية، وبعدهما بيسير أسلم أخويه عمرو وأبان. فكان خالد بن سعيد بن العاص: أبو سعيد نجيب بني أمية، من السابقين الأولين، ومن المتمسكين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام[1].

سبب إسلامه

روي عنه أنه قال: رأيت ـ في المنام ـ كأني واقف على شفا حفرة من النار، فجاء أبي يريد أن يلقيني فيها، فإذا أنا برسول الله محمد ﷺ قد أخذ بمجامع ثوبي وجذبني إليه، وهو يقول: إليّ إليّ لا تلقى في النار، فانتبهت فزعًا من منامي، وقلت والله إن رؤياي هذه لحق، فخرجت أريد رسول الله ﷺ[2]. فذهب إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إلى من تدعو؟ قال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه[3]، فكان رابعًا أو خامسًا في الإسلام[4].

وعلم أبوه (سعيد بن العاص) بإسلام ولده خالد، فأرسل في طلبه من بقي من ولده، ولم يكونوا أسلموا، فوجدوه، فأتوا به أباه فسبّه وضربه بعصا في يده حتى كسرها على رأسه، وقال: اتبعت محمدًا وأنت ترى خلافه قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم، وعيب من مضى من آبائهم!!؟ قال: قد والله تبعته على ما جاء به. فغضب أبوه ونال منه، وقال اذهب يا لُكَعْ حيث شئت والله لأمنعنّك القوت. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت بخالد.

فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويعيش معه، وتغيّب عن أبيه

في نواحي مكة حتى خرج المسلمون إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية فخرج معهم، وكان أبوه شديدًا على المسلمين وكان أعزّ من بمكة، فمرض، فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يُعبد إله ابن أبي كبشة[٥] بمكة. فقال ابنه خالد عند ذلك: اللهم لا ترفعه. فتوفي في مرضه ذلك.

وهاجر خالد إلى الحبشة ومعه امرأته أميمة بنت خالد الخزاعية وَولِدَ له بها ابنه سعيد بن خالد وابنته أم خالد واسمها أمة، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد[٦].

وعن ابنته أمّ خالد، قالت: وهاجر إلى أرض الحبشة المرة الثانية، وأقام بها بضع عشرة سنة، وولدتُ أنا بها، ثم قدم على النبي ﷺ بخيبر، فكلّم المسلمين فأسهموا لنا (أي أخرجوا لنا سهمًا من الغنائم)، ثم رجعنا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقمنا بها، وشهد أبي مع رسول الله ﷺ عُمرة القضاء وفتح مكة وحنينًا والطائف وتبوك[٧].

وتولّى خالد تزويج أمّ حبيبة من النبيّ ﷺ، باعتباره ابن عم أبيها، فإنها - أم حبيبة - بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، والعاص هو ابن أمية[٨].

مبعوث رسول الله ﷺ

بعد أن قويت شوكة الإسلام بعث رسول الله ﷺ رسائل إلى ملوك الدول في عصره ومنهم قيصر الروم يدعوهم إلى الإسلام، يقول خالد بن سعيد بن العاص: (بعثني النبي ﷺ إلى قيصر صاحب الروم بكتاب، فقلت: استأذنوا لرسول رسول الله ﷺ فأتى قيصر، فقيل له: إن على الباب رجلًا يزعم أنه رسول رسول الله، ففزعوا لذلك، فقال: أدخله فأدخلني عليه وعنده

بطارقته فأعطيته الكتاب فقرئ عليه، فإذا فيه: بِسْم اللّه الرَّحْمَن الرَّحيم، من محمد رسولَ اللّه ﷺ إلى قَيصر صَاحب الروم، ... فقرئ الكتاب حتى فرغ منه ثم أمرهم فخرجوا من عنده، ثم بعث إليّ فدخلت عليه فسألني فأخبرته، فبعث إلى الأسقف فدخل عليه، فلما قرأ الكتاب قال الأسقف: هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى الذي كنا ننتظره. قال قيصر: فما تأمرني؟ قال الأسقف: أما أنا فاني مصدقه ومتبعه، فقال قيصر: أعرف أنه كذلك، ولكن لا أستطيع أن أفعل، إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم[٩].

مواقفه الخالدة

* بعد فتح مكة وإسلام الكثيرين من قريش حقنا لدمائهم، وبعد اختلاطهم بالمسلمين في المدينة (أراد عمرو بن العاص

أن يختلق فتنة بين المهاجرين والأنصار ... فتصدى له خالد بن سعيد وشتمه، وقال: يا معشر قريش، إن عَمرًا دخل في الإسلام حين لم يجد بُدًّا من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه وإن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار)[10].

* إن عمرو بن معدي كرب الزبيدي ..ارتد عن الإسلام... فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه، فاستدعى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّرهُ على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زبيد...ثم سار حتى لقي بني زبيد بوادٍ يقال له (كثير) فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة؟ قال: سيعلم إن لقيني، وخرج عمرو بن معد فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف مكانك، فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم عمرو وقتل أخاه وابن أخيه، وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبى منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هرابهم مسلِّمًا، فرجع عمرو بن معدي كرب، واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له فعاد إلى الإسلام[11].

* استعمل رسول الله ﷺ خالدًا على صدقات اليمن، وأخاه أبانًا على البحرين، وعمرًا على تيماء وخيبر، ولم يزالوا على ذلك حتى قبض رسول الله ﷺ فلما بلغهم استخلاف أبي بكر بعد رسول الله ﷺ تركوا أعمالهم وعادوا إلى المدينة، فقال لهم أبو بكر: كيف تركتم أعمالكم؟ فقال خالد: رأينا أن لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، ولم يبايعوا أبا بكر حتى بايع بنو

هاشم[١٢].

* عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، كان الذي أنكر على أبي بكر اثنى عشر رجلًا من المهاجرين (منهم) خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية .... فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقًا أنت أحقُّ به وأولى به من غيرك، لأنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيف ما مال).

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:.... إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوعز إليّ قبل وفاته، وقال لي: (يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وإنك مني بمنزلة هارون من موسى وإن الأمة من بعدي كهارون ومن اتبعه، والسامري ومن اتبعه، فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: إذا وجدت أعوانًا فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعوانًا كُفَّ يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلومًا. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلتُ بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسي يمينًا أن لا أرتدي برداء إلّا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت.

ثم أخذتُ بيد فاطمة وابنيّ الحسن والحسين فدرتُ على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلّا أربعة رهط سلمان وعمار وأبو ذر والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا عليّ إلّا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه.

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل - ويعني أبي بكر - فعرّفوه ما سمعتم من قول نبيكم، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه[١٣].

* عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في حديث طويل... فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة، فقالوا للمهاجرين: إن الله عز وجل بدأ بكم في القرآن فقال: (لَقَدْ تَابَ اللّه عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) فبكم بدأ. وكان أول من بدأ وقام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية.

فقال: يا أبا بكر اتق الله فقد علمت ما تقدم لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لنا ونحن محتوشوه في يوم بني قريظة، وقد أقبل على رجال منا ذوي قدر فقال: (يا معشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها، وإني مؤد إليكم أمرًا فاقبلوه، ألا إن عليًا أميركم من بعدي وخليفتي فيكم، أوصاني بذلك ربي وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتأووه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، وولي عليكم الأمر شراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري، القائلون بأمر أمتي، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي، واجعل له من مرافقتي نصيبًا يدرك به فوز الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها السماوات والأرض).

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يرضى بقوله، فقال خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب فوالله إنك لتعلم أنك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك، والله

إن قريشا لتعلم أني أعلاها حسبًا وأقواها أدبًا وأجملها ذكرًا وأقلّها غنى من الله ورسوله، وإنك لألأمها حسبًا، وأقلها عددًا، وأخملها ذكرًا، وأقلّها من الله عز وجل ومن رسوله. وإنك لجبان عند الحرب، بخيل في الجدب، ليئم العنصر ما لك في قريش مفخر، قال: فأسكته خالد فجلس[١٤].

فلما أُفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جوابًا، فقال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لُكع إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولي أبي حذيفة.

قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ، فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص، وقال: يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحَدّ من أسيافكم، وإنّا لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا، والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري.

فقال أمير المؤمنين: اجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك

سعيك، فجلس .... ثم التفت إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم الله... [١٥].

وبقي خالد بن سعيد على موقفه ولم يبايع أبا بكر حتى أُكْرِه أميرُ المؤمنين عليه السلام على البيعة فبايع مُكْرَهاً[١٦].

* روى أن أبا بكر حضّ الناس على الجهاد فتثاقلوا، قال عمر: لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا.... الآية، ـ الآية التي تتحدث عن المنافقين ـ فقال له خالد بن سعيد بن العاص: يا بن أم عمر، ألنا تضرب أمثال المنافقين؟ والله لقد أسلمتَ وإن لبني عَدِيّ ـ عشيرة عمر ـ صنمًا إذا جاعوا أكلوه وإذا شبعوا استأنفوه[١٧].

* كان خالد بن سعيد بن العاص ممن أبى خلافة أبي بكر، وامتنع عن البيعة ثلاثة أشهر، نص على ذلك جماعة من أثبات أهل السنة، كابن سعد في ترجمة خالد من طبقاته ص٧٠ من جزئها الرابع، ورغم ذلك فقد كان أبو بكر مُعظِمًا له يهابه ويحترمه لمكانته في قومه. وذكر أن أبا بكر لما بعث الجنود إلى الشام، عقد له على المسلمين وجاء باللواء إلى بيته[١٨]، فقال عمر لأبي بكر: أتولي خالدًا وقد حبس عليك بيعته؟.... ما أرى أن تولّيه وما آمن خلافه، فانصرف عنه أبو بكر، وولى أبا عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة [١٩]، فأرسل أبو بكر أبا أروى الدوسي، فقال له: إن خليفة رسول الله يقول لك: اردد إلينا لواءنا، فأخرجه فدفعه إليه، وقال: ما سرتنا ولايتكم، ولا ساءنا عزلكم، فجاء أبو بكر فدخل عليه يعتذر إليه، ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف[٢٠].

استشهاده:

خرج خالد بن سعيد مع الجيش إلى الشام واستشهد بأجنادين بمرج الصفر[٢١]. في خلافة أبي بكر، أوائل السنة الرابعة عشرة وقيل في صدر خلافة عمر.

رحم الله خالد بن سعيد بن العاص الأموي، فلقد كان بحق (نجيب بني أمية).

---

١) الفوائد الرجالية/السيد مهدي بحر العلوم/ج٢ ص٣٢٥.
٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/السيد علي خان المدني/ص ٣٩٣.
٣) أُسد الغابة/ابن الأثير/ج٢ص ٨٣.
٤) الآحاد والمثاني/الضحاك/ج١ص٣٨٧.
٥) ابن أبي كبشة: ويعني نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.
٦) أُسد الغابة/ابن الأثير/ج٢ص٨٣.
٧) الاستيعاب/ابن عبد البر/ج٢ص٤٢١.
٨) ينظر: السنن الكبرى/البيهقي /ج٧ص١٣٩.
٩) كنز العمال/المتقي الهندي /ج١٠ص٥٨٥.
١٠) ينظر: شرح النهج/ابن أبي الحديد/ج٦ص٣٢.
١١) بحار الأنوار/المجلسي/ج٢١ص٣٥٨.
١٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة/السيد علي خان المدني/ص٣٩٣.
١٣) الاحتجاج/الشيخ الطبرسي/ج١ص٩٧
١٤) الخصال/الشيخ الصدوق/ص ٤٦١.
١٥) الاحتجاج/الشيخ الطبرسي/ج١ ص١٠٤.
١٦) خاتمة المستدرك/النوري الطبرسي/ ج٧ص٣٣٢.
١٧) عين العبرة في غبن العترة/السيد أحمد بن طاووس/ص١٨.
١٨) المراجعات/شرف الدين/هامش ص ٣٩٧.
١٩) السقيفة وفدك/الجوهري /ص٥٥.
٢٠) المراجعات/شرف الدين/هامش ص ٣٩٧.
٢١) الآحاد والمثاني/الضحاك/ج١ص٣٨٧.

المقاومة البكتيرية (Bacterial Resistance) ضد أدويه المضادات الحيوية (AB Drug) مشكلة متنامية في العراق

د. الصيدلي : عبد الوهاب رزاق

ينابيع تعتبر أدوية المضادات الميكروبية (Antimicrobial drugs) ومن ضمنها المضادات الحيوية (Anti-biotics) من أكبر العوائل الدوائية في علم الأدوية وأكثرها استخدامًا في المجال الطبي في وقتنا الحاضر، بعد اكتشاف أوائل هذه المجموعة صدفةً من قبل العالم البريطاني السير (اليكساندر فيلمنج) في عام ١٩٢٨م حيث استطاع تحديد البنسلين، ولكن لم يستطع انتاجه، ولاحقا في عام ١٩٣٩م استطاع عالم الصيدلة (هوارد فلوري) وعالم الكيمياء الحيوية (إرنست بوريس تشين) إنتاج وصناعة البنسلين الذي أنقذ حياة الملايين من الناس والجنود خلال الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٣٥م أنتج أول مضاد حيوي، وهو برونتوسيل (Prontosil) الذي يعتبر أول أنواع أدوية السلفانمايد (Sulfonamide).

تعمل هذه المجموعة من الأدوية على القضاء أو منع نمو البكتريا التي تسبب العدوى، وتعتبر في يومنا هذا بعض الأمثلة الأكثر دراماتيكية على التقدم في الطب الحديث، فبعض أمراض العدوى البكتيرية التي كانت تعتبر في السابق تقريبًا قبل عام ١٩٣٠م من الأمراض المستعصية والتي لا علاج لها وتؤدي إلى الوفاة مثل مرض ذات الرئة (Pneumonia) وتسمم الدم

(Septicemia) والتدرن (Tuberculosis)، تعتبر الآن هذه الأمراض بسيطة وسهلة العلاج بجرع قليلة من هذه الأدوية، ولكن المشكلة التي تقوض نجاح هذه الأدوية في وقتنا الحاضر هي المقاومة البكتيرية.

في الحقيقة فإن هذه المقاومة ليست مشكلة حديثة بل ظهرت بعض أنواع البكتريا كـــ (Streptococci، Gonococci، Pneumococci) المقاومة للسليفونمايد في أوائل عام ١٩٤٠م وقد حذر السير اليكساندر فليمنج في عام ١٩٤٥م من أن الاستخدام المفرط لهذه الأدوية يؤدي إلى تكوين المقاومة، ولكن المشكلة أخذت بالظهور على نطاق أوسع بين أعوام ١٩٨٠ و١٩٩٠م عندما لاحظ بعض العلماء والأطباء فشل بعض هذه المضادات في معالجة بعض أمراض العدوى البكتيرية.

وفي شهر نيسان من عام ٢٠١٤م أصدرت منظمة الصحة العالمية WHO بيانًا قالت فيه (هذا التهديد الخطير لم يعد تنبؤا بالمستقبل، إنه يحدث الآن في كل منطقة من العالم ويمكن أن يصيب أيَّ شخص وأيَّ عمر وأيَّ بلد، المقاومة البكتيريةَ الآن تمثل التهديدَ الرئيسي للصحة العامة)، وسبب فشل هذه الأدوية في العلاج هو خلق المقاومة من قبل البكتريا ضد هذه الأدوية وهذا موضوع خطير أخذ بالازدياد ليس على مستوى العراق فقط

بل حتى على مستوى الدول المتقدمة طبيًا، فهو يعتبر الآن مشكلة عالمية تهدد الصحة العامة، وتحتاج إلى اهتمام من قبل المؤسسات الصحية، وتحتاج إلى إنشاء برامج توعية بهذا الموضوع الخطير للكوادر الطبية والمجتمع على حد سواء، ولما لهذا الموضوع المهم من تأثير صحي واقتصادي على المريض والمؤسسات الصحية.

المصطلح (pan-drug resistance)، يشير إلى آليات المقاومة الجديدة والمستحدثة من قبل بعض أنواع البكتريا، ولبعض أنواع المضادات الحيوية الشائعة كالبنسلينات وسيفالوسبورينات وسيلينومايد وغيرها، وربما لجميع أنواع المضادات الحيوية المتوفرة في الأسواق، هذه المقاومة المنتشرة عالميًا تهدد قدرة الأطباء على معالجة أمراض العدوى البكتيرية، ونتيجة لهذا فهناك زيادة في مده المرض وقد تؤدي في البعض الحالات إلى الموت، فمع عدم وجود مضادات حيوية فعالة تعمل على منع ومعالجه العدوى البكتيرية، أو استخدامها كعلاج وقائي في العمليات الطبية كالولادة القيصرية أو استبدال مفصل الورك وغيرها من العمليات الرئيسية التي تحتاج إلى استخدام مضاد حيوي قبل العملية أو خلالها أو بعدها، فإن معدل الإصابة بالالتهابات البكتيرية عالٍ جدًا.

أسباب تكون هذه المقاومة هي الطفرة الجينية بالدرجة الأساس التي تحدث لأسباب طبيعية وعشوائية (random spontaneous mutation) أو ما يصطلح عليه بالتطور العمودي (vertical evolution) أو تكون مكتسبة (acquisition)، والذي يصطلح عليه بالتطور الأفقي (horizontal evolution) حيث تقوم البكتريا المقاومة بنقل الجين المقاوم (resistome) إلى بكتريا أُخرى غير مقاومة، وتحدث المقاومة نتيجة تعرض الميكروب إلى مواد كيميائية كالمضادات الحيوية أو ظروف أخرى تهدد وجود الميكروب وتقضي عليه.

ووفقًا لنظرية التطور فإنه غالبًا ما ستقوم هذه البكتيريا بتطوير آليات جديدة للدفاع والبقاء في هذه الظروف الجديدة، وهذه إحدى ميزات هذه الكائنات التي عاشت وتأقلمت مع الظروف القاسية على كوكب الارض منذ مليارات السنين، أحد أهم هذه الدفاعات هو حدوث الطفرة الجينية في تصنيع بروتينات جديدة تعمل كنواقل أو تغير تركيب البروتينات الأصلية أو انتاج إنزيمات معينة فلا تستطيع المضادات الحيوية العمل عليها، وغيرها الكثير من الطفرات، يصطلح على البكتريا المقاومة في البعض الأحيان (superbugs).

ومن أمثله هذه المقاومة:-

١- تكوين البكتيريا مقاومة ضد مجموعة أدوية البيتا لاكتام: (B-lactam) من أمثلة هذه المجموعة في الصيدليات العراقية (أموكسلين، سيفاليكسين (كفلكس)، سيفتراكسون، سيفوتاكين (كلافوران))، من خلال الجينات المقاومة التي إما تنتج إنزيمات معينة كأنزيم البتا لاكتاميز (B-lactamase) الذي يقوم بتدمير أدوية هذه المجموعة (أموكسلين وأمبسلين) والجينات المسؤولة عن هذا الطفرة (amp C، bla Z) أو إنتاج نواقل تقوم بنقل هذه الأدوية عند وصلها إلى جدار البكتيريا

بعيدًا عن البكتيريا والجين المسؤول عن هذا (opr M) أو تغير موقع عمل المضاد الحيوي على البكتيريا والجين المسؤول عن هذا (mec A) الذي يقوم بتقليل جاذبية هذه المجموعة إلى بروتين معين يسمى (penicillin-binding protein 2a PBP2a).

٢- تكوين بكتيريا مقاومة ضد مجموعة مايكروليد (Macrolides)، من أمثلة هذه المجموعة (ايرثرومايسن، كلاثرومايسن، ازيثرومايسن) عن طريق إنتاج إنزيم يسمى (Esterase) الذي يقوم بتدمير تركيب هذه المجموعة، والجين المسؤول عن إنتاج هذا الإنزيم (ereA، ereB) أو عن طريق إضافة جزيء سكر (sugar) (إلى المركب بعملية تسمى (Glycosylation)، والجينات المسؤولة عن إنتاج إنزيم يقوم بهذه العملية هي (mtg، oleI، and oleD)، أو تغير تركيب هذه الأدوية بعملية (Acetylation) والجين الذي يقوم بإنتاج الإنزيم المسؤول عن هذه العملية هو(cat).

٣- تكوين بكتيريا مقاومة ضد مجموعة (Aminoglycosides)، من أمثلة هذه المجموعة (جنتمايسن، أميكاسين) من خلال إنتاج إنزيمات معينة تقوم بتغيير تركيب هذه الأدوية وتجعلها غير فعالة.

٤- تكوين بكتيريا مقاومة ضد مجموعة (Quinolones)، من أمثلة هذه المجموعة (سبروفلوكساسين (سبرودار)) من خلال إنتاج إنزيم (acetyltransferase) والجين المسؤول عنه (ib-aac٦)، الذي يغير تركيب هذه المجموعة أو عن طريق إنتاج نواقل تقوم بإبعاد هذه المضادات عن البكتيريا.

العوامل التي تقود إلى حدوث هذه الطفرات هو الاستخدام السيء وغير المبرر لهذا الأدوية، وهذه المشكلة - مع الأسف - شائعة في العراق، كاستخدام هذه الأدوية عند أشخاص غير مصابين بالعدوى البكتيرية، ومن الأمثلة الشائعة على هذه المسألة في صيدلياتنا هي استخدام المضادات الحيوية في حالات العدوى الفيروسية كالإنفلونزا (flu)، وقد حذرت مراكز مكافحة الأمراض واتقائها (centers of diseases control and prevention) التابعة لوزارة الصحة والخدمات البشرية في الولايات المتحدة الأمريكية أن المضادات الحيوية غير فعالة أبدًا ضد الفيروسات، إلّا في حالة إذا كان هناك التهاب بكتيري مصاحب للعدوى الفيروسية، والاستخدام غير الضروري لهذه الأدوية لفترة طويلة (غير الفترة المحددة من قبل الطبيب أو الصيدلي)، والاستخدام المتعدد للمضادات الحيوية في آن واحد أو استخدام المضادات الحيوية واسعة الطيف في ظروف لا تستدعي استعمالها، ووصف المريض لنفسه مضادًا دون استشارة ولا تشخيص من ذوي الاختصاص، كل هذه الأمور تقود إلى حدوث الطفرات الجينية في البكتيريا.

أيضا هناك عامل مهم ومصدر مهم لنشوء هذه الطفرات، وهي المستشفيات أو المراكز الصحية التي تكون مصدر رئيسي وغزير لإنتاج السلالات البكتيرية المقاومة، لأن البكتريا في هكذا أجواء تكون معرضة دائمًا إلى أنواع متعددة من الأدوية والمضادات الحيوية ولفترات طويلة، ويمكن أن تنتقل إلى المرضى الراقدين في المستشفى حيث تكون المناعة لديهم ضعيفة، خصوصًا كبار

السن، وبالتالي يؤدي ذلك إلى سهوله انتقالها إلى الأشخاص خارج المستشفى، ومثالها:

Methicillin-resistant) (Staphylococcus aureus (MRSA . من طرق الكشف ومعرفة نوع البكتريا المسببة للعدوى، وتحديد المضاد الحيوي المناسب الذي يعمل على هذه البكتريا، القيام بتحليل اختبار الحساسية للمضادات الحيوية

antibiotic susceptibility testing) (AST)) (. القيام بهذا التحليل ربما يقلل فرص حدوث المقاومة لأنه سيجنب المريض من استخدام أنواع مختلفة من المضادات.

أما المشكلة الاقتصادية لهذه المقاومة هي أن علاج العدوى التي تحدث نتيجة بكتريا مقاومة للمضادات الحيوية المتوفرة في الأسواق سوف تحتاج إلى صرف مبالغ أكثر من المعتاد لاستخدام مضادات حيوية أقوى وأغلى ثمنًا لمعالجتها، ولفترة مكوث أطول في المستشفى، وأكثر تأثيرات جانبية والقيام بأكثر من تحليل للوصول إلى التشخيص الدقيق، وهذه الكُلفة يصطلح عليها في مفهوم الصيدلة الاقتصادية بالكلفة الطبية المباشرة، وهناك كلفة طبية غير مباشرة تتعلق بالمريض نفسه كمبالغ السفر للحصول على عناية طبية في بلد آخر ومبالغ البقاء في الفندق، أما التكلفة الكلية لعلاج هؤلاء المرضى فهي تقريبا ١٠ بليون دولار بالسنة في الولايات المتحدة .

وربما تؤدي إلى الوفاة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية حسب ما صرح مركز الأمراض واتقائها ما يقارب مليوني أميركي يصاب بالعدوى المقاومة و ٢٣٠٠٠ شخص منهم يموت بهكذا عدوى مقاومة للمضادات الحيوية الموجودة، وخصوصًا إذا كانت البكتريا مقاومة لأقوى أنواع المضادات الحيوية وهي عائلة الكاربابنيم (carbapenem-resistant bacteria).

بعض الاستراتيجيات لتقليل حدوث المقاومة

١- مسؤولية الطبيب في التشخيص الدقيق، ووصف العلاج المناسب، وتحديد الفترة العلاجية الدقيقة.

٢- مسؤولية المريض باتباع أوامر الطبيب والصيدلي بحذر وحرص شديد من ناحية وقت أخذ العلاج والطريقة الصحيحة وفترة العلاج وعدم قطع العلاج حتى مع الشعور بالتحسن حتى انتهاء الفترة العلاجية المحددة.

٣- تجنب ـ قدر الإمكان ـ استعمال أكثر من مضاد حيوي في آن واحد، خصوصًا إذا كانا واسعي الطيف.

٤- تقليل الاستعمال المفرط للمضادات الحيوية (لا يستعمل إلّا في حالات الضرورة القصوى).

٥- القيام بتحليل اختبار الحساسية للمضادات الحيوية قبل إعطاء العلاج للمريض لتحديد نوع البكتريا المسببة ونوع المضاد الحيوي المناسب لاستعماله.

مواقف خالدة

جاء رجل من أهل الشام فاستأذن بالدخول على الإمام الصادق عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه، فأذن له، فلما دخل سلَّم، فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس. ثم قال له : ما حاجتك أيها الرجل ؟ قال: بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه، فصرت إليك لأناظرك. فقال الإمام عليه السلام: في ماذا ؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه، فقال عليه السلام: يا حمران دونك الرجل ! فقال الرجل : أريدك أنت لا حمران. فقال عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني، فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر وملّ وعرض، وحمران يجيبه. فقال عليه السلام: كيف رأيت يا شامي ؟ قال : رأيته حاذقًا ما سألته عن شيء إلّا أجابني فيه. فقال عليه السلام: يا حمران سل الشامي، فما تركه يكثر. فقال الشامي : أرأيت يا أبا عبد الله أناظرك في العربية ؟ فالتفت الإمام عليه السلام فقال : يا أبان بن تغلب ناظره، فناظره، فما ترك الشامي يكثر. قال : أريد أن أناظرك في الفقه، فوجه إليه أحد طلابه وهو زرارة ليناظره فغلبه ، ثم طلب الشامي المناظرة في الكلام ثم في التوحيد ...وهكذا في كل العلوم وفي كل مناظرة يوجهه لأحد طلابه. .وفي كل مناظرة يخسر الشامي .. فضحك الإمام عليه السلام حتى بدت نواجده. فقال الشامي: كأنك أردت أن تخبرني أن في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

ثم قال الإمام عليه السلام: يا أخا أهل الشام !... إن الله أخذ ضغثًا من الحق وضغثًا من الباطل، فمغثهما، ثم أخرجهما إلى الناس، ثم بعث أنبياء يفرقون بينهما، فعرفهما الأنبياء والأوصياء فبعث الله الأنبياء ليفرقوا ذلك وجعل الأنبياء قبل الأوصياء ليعلم الناس من فضل الله ومن يختص، ولو كان الحق على حدة والباطل على حدة كل واحد منهما قائم بشأنه ما أحتاج الناس إلى نبي ولا وصي، ولكن الله خلطهما، وجعل يفرقهما الأنبياء والأئمة عليهم السلام من عباده. فقال الشامي: قد أفلح من جالسك ! ثم قال اجعلني من شيعتك وعلمني، فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام: علمه فإني أحب أن يكون تلماذا لك. فقال بعض الأصحاب رأينا الشامي عند هشام بعد موت أبي عبد الله عليه السلام وكان ذكي القلب.

(نقل بتصرف: رجال الكشي/ الشيخ الطوسي/ ج٢ص٥٥٤)

ظلامة أئمة بقيع الغرقد عليهم السلام

د. حسن عبد المجيد الشاعر
جامعة الكوفة/كلية الآداب

ينابيع

من المسلّم به أن أيّ أُناس، في أيّة ديار إذا أحبوا أشخاصًا لأسباب دينية ترتبط بعقيدتهم لاستحقاق درجات رفيعة لهم في الدار الآخرة إن كانوا يؤمنون بها، أو سياسية جراء تولي شخص ما زعامة أدت بالبلاد التي يتزعمها أن تكون قوية ومزدهرة، أو علمية فترفع شأن عالم بعلمه الذي أوقفه بعد اجتهاده لخدمة البشر، أو اقتصادية كأن تعلي شأن شخص بذل ما في وسعه لإعلاء شأن بلاده في الجانب الاقتصادي فتكون أغنى دولة في العالم؛ فإنهم يرفعون شأنهم في تلك الديار ونشر هذا الشأن لتعرف مكانتهم بين الدول الأخرى، ورفع شأنهم في ديارهم تكريم أهلها لهم، وأبسط أنواع التكريم أن يبنى لهم قبر شاخص يبقى مَعلمًا يتعرّف إليه الناس جيلًا بعد جيل، أو تؤلف بحقه المؤلفات، أو تعقد له الندوات والمؤتمرات محليًا وعالميًا.

دعونا نتحدث عن آل محمد (صلوات الله عليهم)، ممن دفنوا في المدينة المنورة في بقيع الغرقد تلك البقعة العظيمة المشرفة التي دفن فيها صحابة الرسول (رضوان الله عليهم) ممن كافح ونافح من أجل إعلاء شأن الدين الإسلامي والمحافظة عليه ونشره بين الناس، الذين أوجب الله تعالى ورسوله مودتهم واتباعهم، فضلًا عما أُثر عنهم من العلم المتوارث عن جدِّهم رسول

اللّه ﷺ عن جبرئيل عن اللّه تعالى الذي خدموا به المجتمع الإسلامي، وتضحياتهم التي قدموها لأناس جهلوا حقهم اليوم.

المسلمون اليوم – إن كانوا مسلمين – يلاحظون ويطلعون على قبور آل محمد في بقيع الغرقد، فهي مطموسة، ويريد من يفرض السلطة عليها أن تجفى، وكانت السلطة قد هدمت مشاهدهم مع بيت الأحزان للزهراء عليها السلام[1]، ولولا أنها مع قبور صحابة رسول اللّه (رضوان اللّه عليهم)، لعفي أثرها، كما يلاحظ إعفاء أثر بيوت آل محمد (صلوات اللّه عليهم) في هذه المدينة المشرفة. ألا يسر جدهم بعد اللّه تعالى أن تكون لهم قبور شاخصة يزورها المسلمون المحبون لهم إثباتًا لمودتهم لرسول اللّه ﷺ، وطاعة للّه تعالى؟ نعم، طمس القبور عمل أمر به رسول اللّه ﷺ، ولكنه مشروط بالشرك باللّه، فإذا عُبِدَ هذا المزار من دون اللّه تعالى كان يحق هدمه وإعفاء أثره، أما إذا كان مكانًا مباركًا يطلب العبد مناجيًا ربه تحت قبته بحق صاحب هذا المزار أن يقضي حاجاته، فما الضير من إعلائه، والتفنن في إعماره.

ويبدو أن القائلين بهدم القبور يتذرعون بأحاديث تنقسم إلى قسمين:

الأول: أحاديث لم يفهموا نصوصها.

الثاني: أحاديث أخذوا بالمنسوخ منها ولم يتمسكوا بالناسخ.

ومما يؤثر، ويتمسك به أصحاب هذا

المذهب ماروي عن السكوني أن الرسول ﷺ بعثه إلى المدينة وقال له: (لا تدع صورة إلّا محوتها، ولا قبرًا إلّا سويته، ولا كلبًا إلّا قتلته)[٢]. وما روي عن أبي الهياج أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: (أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ لا ترى قبرًا مشرفًا إلّا سويته، ولا تمثالًا إلّا طمسته)[٣]. وقال الترمذي عنه: (حديث حسن، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، فكرهوا أن يرفع القبر فوق الأرض)[٤]. وذكر الشيخ الطوسي أن الشافعي وأصحابه يرون أن السنة في تسطيح القبر، أما تسنيمه فغير مسنون، وأن تسنيمه أحب إلى أبي هريرة، وأن النبي ﷺ سطح قبر ولده إبراهيم[٥].

وأشار الترمذي من قبل أن الشافعي يكره رفع القبر لكي لا يوطأ أو يجلس عليه، ونقل حديثًا لرسول الله ﷺ هو: (لا تجلسوا على القبور ولا تُصلّوا إليها)[٦]. ونقل البخاري أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي وافاه الأجل بعده: (لعن الله اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٧]. وأن عائشة قالت معقبة على قول الرسول ﷺ: (ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجدًا)[٨].

وقد بنى ابن تيمية الرأي في تقسيم زيارة القبور على قسمين هما: الشرعية، والبدعية بحسبان هذه الأقوال والتشدد فيها، فقال:

(فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له، كما يقصد بالصلاة على جنازته، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه، فالسُنّة أن يسلم على الميت، ويدعو له، سواء أكان نبيًا أو غير نبي، وكما كان النبي يأمر أصحابه إذا زار القبور أن يقول أحدهم: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم، واغفر لنا ولهم)، وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم، أو زار شهداء أحد وغيرهم. وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين، بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين، بل الصلاة في المساجد التي على القبور إما محرمة وإما مكروهة.

والزيارة البدعية: أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء له، فهذا ليس من سنة النبي ﷺ، ولا استحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هو من البدع المنهي عنها باتفاق سلف الأمة وأئمتها، وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ، وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي ﷺ؛ بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله : (من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) ، وقوله : (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي) ونحو ذلك، كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة، ليست في شيء من دواوين الإسلام التي يعتمد عليها، ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين: لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ...)[٩]..انتهى كلام ابن تيمية .

واتبع الكحلاني ابن تيمية بالرأي فقال:

(وهذه الأخبار المعبر عنها باللعن والتشبيه بقوله: لا تجعلوا قبري وثنًا يُعبد من دون الله تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتجصيص ووضع الصندوق المزخرف ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه والتمسح بجدار القبر وأن ذلك يفضي مع بعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان المنع عن ذلك بالكلية قطعا لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد)[١٠].

والأقوال التي ذكرها ابن تيمية عن النبي ﷺ لم تثبت صحتها في الكتب الأربعة، ولا عند أئمة المسلمين، وقيل بأنها موضوعة[١١]، ولكن زيارة القبور قد أمر بها رسول الله ﷺ، وهو مما ورد صحيحًا في الكتب، قال ﷺ: (قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها فإنها تذكر الآخرة)[١٢]. وقد نقل هذا الحديث بصور مختلفة ورواه المحدثون[١٣]. وأن الرسول ﷺ قد أوجب بزيارته الشفاعة، قال: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[١٤]. وقد نقل السنقري نصوصًا متعددة في إباحة الرسول ﷺ زيارة القبور، فضلًا عن نقله أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة رضي الله عنه، وأن عائشة كانت تزور قبر أخيها عبد الرحمن[١٥].

وقد رد العلماء على تقسيم ابن تيمية الزيارة على نوعين شرعية، وغير شرعية (بدعية)، لأن الزيارة لا تنحصر في هذين القسمين، وإدخال الأمور الهامشية كالاستغاثة والسؤال منه في ماهية الزيارة، ليتضح أن القسم الثاني منها، الذي يعني به الإشراك لا يتعلق بصلة بزيارة قبور أئمة المسلمين، ولعل الغاية من ذكر هذين القسمين هي ترسيخها في أذهان البسطاء[١٦]؛ لأن الزيارة يعنى بها عُرفًا (قصد المزور إكرامًا له وتعظيمًا واستيناسًا به)[١٧]. وذكروا أيضًا أن هذا التقسيم منقوص منه؛ لأنه لا يشتمل على قسم ثالث هو التبرك بصاحب القبر من دون إشراك[١٨]. وقال آخرون مثل هذا القول[١٩].

الثالث: منع زيارتهم، والبكاء عليهم، ومس تراب قبورهم، ومعاقبة كل من يبكي عليهم، والتنكيل به، وقتله من دون شفقة، والتمثيل به:

من المسلّم به أن من يأتم بإمام يتعاهد ما يفتي به، وحبه وتفانيه من أجله قد يعمي بصره، ويسود بصيرته، فيحكم على الأمور بطريق واحد وإن كان على غير هدى، فللإمام جمع ناس يأتمون به، وهم يحبونه، ويتفانون من أجله، وينسى أن هذا الإمام وغيره ناس لكنهم يمتازون عنهم بالعلم الذي يجب أن يكون في طريق الهداية لا الضلال، ويؤدي بمن يقتدون بهم إلى الجنة لا النار التي وقودها الناس والحجارة.

وقد لاحظنا فيما تقدم أن من يأخذ بفتوى ابن تيمية، وهم يتولون الأمور في مكة والمدينة، يحاسبون من يتبرك بقبور أهل البيت عليهم السلام الذين ووريت أجسادهم الطاهرة بقيع الغرقد، ويبكي عليهم، ويمس تراب قبورهم، وينكلون به، وربما يصل الأمر إلى قتله شر قتلة، والتمثيل به، والمثلى حرام.

والأمر بحسب ما قدمناه يرد إلى الحقد الدفين لأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وربما يتصل

هذا الأمر بجدهم المصطفى ﷺ، ولولا أنه رسول الله، وهو أحد قسمي الشهادة، لما بقي له قبر شاخص إلى اليوم، وهذا الشأن قديم أمارته النفس الأمارة بالسوء التي تحب الخير لنفسها دون غيرها من سائر الخلق، وكان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قد ذكر أن قوله تعالى: (**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**) (النساء:٥٤) نزل بحق أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله ﷺ لم يسلم من الحسد، فحسده الناس على ما آتاه الله تعالى من الفضل[٢٠].

وهل يُحسد آل محمد الطيبون الطاهرون؟ الذين أخلصوا في طاعة الله، وخدمة المسلمين ما أبقاهم الله تعالى، والتأريخ حافل بتراثهم الناصع الوضاء، الذي يتشرف المسلمون به، فبهم فتح الله، وبهم يختم، وهم عمود الله في الأرض، والسراج المنير، وهل يلجأ الناس في الديجاء إلّا إلى النور؟ والناس ظلموهم ظلمًا كبيرًا لا مثيل له بدلًا من تكريمهم وتعظيمهم لعلمهم، ونسبهم، وفضلهم الذي آتاهم إياه الله تعالى. وليت الأمر قد بلغ هذا المبلغ على الرغم من تضاده مع العقل، والمنطق، والشرع، والعرف، فهم قد حاربوا محبيهم ومريديهم، ونكّلوا بهم أشدّ التنكيل وقتلوهم، وحوادث الزمان كثيرة، فقد قتلوا محبيهم طول الأزمنة ابتداء من رحيل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلى يومنا هذا، مرورًا بحكم بني أمية، وبني العباس حتى النكبات في الجزيرة العربية، والعراق، وبلاد الشام فقد تعرض محبوهم لأشد العقوبات والتقتيل، وبلغ الأمر في استباحة أموالهم وأعراضهم، فهم ليسوا بمسلمين[٢١].

الرابع: تشويه تراثهم، وإعلاء شأن مبغضيهم، ومحاولة الحط من شأنهم:

مما يتصل عقلًا ونقلًا بما تقدم، أن من يحسد أو يكره لأي سبب يحاول أن يشوه كل ما يتصل بالمحسود من الصفات والخلال، فضلًا عن إخفائه بأية طريقة تتاح له، وإذا كان الحاسد، والكاره متسلطًا فسيعبث بأخبار من يحسده أو يكرهه عبثًا متنوعًا، فالتشويه والإخفاء قد لا يكفيان، فيسلط الظالم أزلامه لشن حملة إعلامية من نوع آخر، ألا وهي نسبة ما لغيره له، وهو أمر يفضي إلى حقيقة الحاسد، وربما يفيد الحاسد الكاره بنشر فضيلة قدر للزمان أن يطويها، قال أبو تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود[٢٢]

وقد بدأ بهذا الأمر معاوية بن أبي سفيان ومن تولى شؤون البلاد بعده من الحكام والسلاطين الظالمين للعباد، ويخبرنا التاريخ عن الجرائم التي اقترفها هؤلاء الحاكمون فجروا الدولة الإسلامية إلى الويلات والنكبات، ولعل من الويلات والنكبات قبل كل شيء هو الظلم الذي أوقعوه بأهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام، وسكوت الناس عنه، فاستأجروا الأزلام إغراء بالمال والسلطان من أجل مطامع وهمية دوامها قليل، وعقابها كثير، وأحلامها قصيرة، وحقيقتها المرة طويلة[٢٣].

وكان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قد أخبرنا بأن أهل البيت عليهم السلام مظلومون، وأن

من يظلمهم سيحاسب، وأن العاقبة ستكون لهم دائمًا، فهم أولياء الله تعالى وخاصته، قال عليه السلام: (إن الله لم يبعث نبيًا إلّا اختار له نفسًا ورهطًا وبيتًا، فو الذي بعث محمدًا بالحق لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلّا نقصه الله من عمله مثله، ولا يكون علينا دولة إلّا وتكون لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين)[٢٤]. وقد روي بروايات أخرى[٢٥].

---

١) ظ. جواهر التأريخ، الشيخ علي الكوراني: ١٣٤-١٣٥.
٢) كشف اللثام عن قواعد الأحكام، الفاضل الهندي: ٣٩٥/٢.
٣) سنن الترمذي:٢٥٦/٢، والخلاف/الشيخ الطوسي:٧٠٧/١، وكشف اللثام:٣٩٥/٢.
٤) سنن الترمذي: ٢٥٦/٢.
٥) ظ. الخلاف /الشيخ الطوسي: ٧٠٦/١-٧٠٧.
٦) سنن الترمذي: ٢٨٧/٢.
٧) صحيح البخاري: ٩٠/٢-٩١.
٨) صحيح البخاري: ٩١/٢.
٩) المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف: ٣٧١-٣٧٢.
١٠) سبل السلام، مراجعة وتعليق: الشيخ محمد بن العزيز الخولي: ١١١/٢.
١١) ظ. المجموع/محيي الدين النووي: ٢٧٧/٨، وتذكرة الموضوعات/الفتني:٧٥، وكشف الخفاء/العجلوني:٢٥١/٢.
١٢) سنن الترمذي، رقم الحديث ١٠٦٠: ٢٥٩/٢.
١٣) ظ. مسند أحمد: ٣٥٥/٥، وكشف الخفاء: ١٣٠/٢.
١٤) سنن الدارقطني، الحافظ الدارقطني، رقم الحديث ٢٤٤/٢٦٦٩:٢، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير /السيوطي، رقم الحديث ٨٧١٥: ٦٠٥/٢.
١٥) ظ. الوهابيون والبيوت المرفوعة، محمد علي بن حسن السنقري الكردستاني: ٤٤.
١٦) ظ. الزيارة في الكتاب والسنة: ٧٢-٧٤.
١٧) مجمع البحرين ومطلع النيرين، الشيخ الطريحي: (زور) ٣٠٥/٢، ظ. تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد: ١٠٧-١٠٨.
١٨) ظ. تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد: ١٠٧-١٠٨.
١٩) التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وجهلة الوهابيين: ١٣٤.
٢٠) ظ. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي:١٠٧/٣-١٠٩، ومسند الإمام الرضا عليه السلام: ١٠٠/١.
٢١) ظ. السلفية بين أهل السنة والإمامية، السيد محمد الكثيري: ٣٥٨-٣٥٩، ومجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت: ١٤٧/١٧.
٢٢) ديوان أبي تمام: ٧٥٨-٧٥٩.
٢٣) ظ. أبو هريرة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي: ٥-٨، ودراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسني: ٩٣.
٢٤) مروج الذهب/المسعودي:٣٠٦/٢، وموسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام: ٦٣، والروائع المختارة: ٨٥.
٢٥) ظ. الأمالي/الطوسي: ٨٣، ١٠٤، وبحار الأنوار: ٢٢٩/٣٢.

ماذا بعد شهري الأحزان

بقلم: حسن جميل الربيعي

ينابيع في كل عام لدى محبي أهل البيت عليهم السلام وعند عشاق الإنسانية شهران للأحزان، شهر المحرم الحرام وشهر صفر، تعم فيهما علامات الحزن، ترفع فيهما رايات العزاء، وتعلو فيهما أصوات البكاء، وما ترى شيعيًا إلّا وترى الحزن باديًا على وجهه، والدمعة مسكوبة من عينه، وقبل كل هذا فإن قلبه مفجوع بالمصيبة الكبرى التي جعلت الحسين عليه السلام وتر الله الموتور وثار الله وقتيل الله، وما أعظمها من مصيبة حتى جاء في وصفها على لسان الإمام الصادق عليه السلام في إحدى الزيارات المباركة: (أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ، واقْشَعَرَّتْ لَه أَظِلَّةُ الْعَرْشِ، وبَكَى لَه جَمِيعُ الْخَلائِقِ، وبَكَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، والأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَما فِيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ، وَمَنْ يَتَقَلَّبُ في الْجَنَّةِ والنَّارِ مِنْ خَلْقِ رَبِّنا، وَما يُرى وَما لا يُرى)[1].

ولهذين الشهرين تقاليد وأعراف لدى الشيعة وغير الشيعة من محبي الإمام الحسين عليه السلام وعاشقيه، فبين من ترى ينصب سرادقًا ليقيم فيه مجلسًا للعزاء، وبين من يوزع الطعام ثوابًا لسيد الشهداء، وبين من يخرج في مواكب، وبين من يزور، ومن يخدم الزائرين في مشهد لا يمثل إلّا المدينة الفاضلة..

أقول: بعد أن ينتهي هذان الشهران،

ماذا يبقى علينا؟ هل نترك الذكرى وصاحبها إلى العام المقبل، ونرجع إلى أعمالنا وأشغالنا، أم لا بد لنا من عمل آخر طوال الأشهر العشرة الباقية؟

وللجواب عن هذا السؤال لا بد أولًا من النظر في سيرة الإمام الحسين عليه السلام للاطلاع على سبب نهضته، وقد فسرها عليه السلام بقوله: (إنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً، وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً، وَلا ظالِماً، وَإنّما خَرَجْتُ لطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي، أُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسيرَ بسيرَةِ جَدّي، وَأَبي عَليّ بنِ أبي طالِب عليه السلام، فَمَنْ قَبِلَني بقَبولِ الْحَقِّ، فَاللّه أَوْلى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللّه بَيْني وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ)[٢].

فالهدف الأساس لخّصه بقوله عليه السلام المتقدم، وجسّده وطبّقه عمليًا في مسيره من مدينة جده حتى وصوله عرصة كربلاء، في ساحة العزة والإباء، وساحة الشموخ والفداء، بمواقفه الممثلة للإسلام، وذلك حين كان ينصح كل من يجده في طريقه، وكان يوعظ ويذكر بالله تعالى؛ وكان يبين الأخلاق الإسلامية حين يسقي جيش الحر العطشان، وحين كان يقرأ القرآن في ليلة العاشر، وحين كان يوعظ القوم أن يتراجعوا عن قتاله، فهو لا يريد أن يذهبوا إلى جهنم بسببه،

وحين كان يصلي في ساحة المعركة والسهام المسمومة تمطره ولا ترحمه.

هكذا كان الإمام الحسين عليه السلام في كل موقف من مواقفه في نهضته المباركة، يريد تجسيد الإسلام تجسيدًا حيًا ليبعثه بعثًا حقيقيًا في ضمير الأمة بعد أن كاد بنو أمية أن يقضوا على الإسلام المحمدي النازل من السماء، ويحولوه إلى إسلام شكلي يحرفونه كما يريدون، كما فعل من قبلهم اليهود والنصارى حين حرفوا دينهم حسب أذواقهم، فباؤوا بغضب من الله وسخطه، ولهم عذاب الخزي والهوان يوم القيامة.

واستمر الإمام الحسين عليه السلام مذكرًا وواعظًا حتى لحظاته الأخيرة وهو بين يدي ذابحه يرفع يديه بالدعاء، ليعلمنا أدب الدعاء، وأدب التضرع في أصعب المواقف، وأن لا ننسى الله تعالى حتى وإن حدث ما حدث، ويعلمنا مفهوم الابتلاء، والصبر عليه، والثبات على الخط الأصيل.

وماذا بعد فاجعة عاشوراء؟

انتقلت زمام المبادرة إلى حجة الله في أرضه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وإلى عمته الحوراء زينب عليها السلام، فسارا على خطى العترة الطاهرة يوقظان في ضمير الأمة روح الإسلام، فزينب عليها السلام التي لم تترك وِردها حتى في ليلة الحادي عشر بعد ذبح إخوتها وبنيها وأصحابهم؛ والإمام السجاد عليه السلام الذي يدخل بين يدي الحكام الظلمة يذكرهم بالله، ويربط في كلمته فيما بينه وبين الرسالة وبين المشاعر المقدسة، في محاولة للتذكير بالله ومشاعره وحرمه.

وحين يريد الطغاة إسكاتهم لا يفتؤون عن ذكر الله تعالى والتذكير به، فزينب عليها السلام حين قال لها ابن زياد: (الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحاديثكم. فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا، إنما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر. قال: كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت؟ قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتتحاكمون عنده)[٣]، فما ذكرت كلمة إلا ولله فيها رضًا، وما ذكرت كلمة إلا لتحيي بها الإسلام.

والإمام السجاد عليه السلام حين خطب في مجلس الطاغية، وعرفوا إن أتم خطبته فسوف يفتضحون فضيحة كبيرة قطعوا خطبته وأذنوا، (فلمّا قال المؤذّن: (الله أكبر) قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: كبّرت كبيرًا لا يُقاس، ولا يُدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله، فلما قال ـ المؤذن ـ (أشهد أن لا إله إلّا الله)، قال الإمام عليه السلام: شهد بها شعري وبشري، ولحمي ودمي، ومخّي وعظمي، فلما قال ـ المؤذن ـ (أشهد أنّ محمّدًا رسول الله)، التفت الإمام عليه السلام من على المنبر إلى يزيد، وقال: يا يزيد، محمّدٌ هذا جدّي أم جدّك؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت، وإن قلت: إنّه جدّي، فلِمَ قتلت عترته؟)[٤]، فالإمام عليه السلام قام بتصحيح الموقف حسب الرؤية الإسلامية، وقام ببيان العقائد الحقة، كحقيقة التوحيد، وبيان ارتباط العترة بالنبوة التي هي أصل من أصول الدين، فأدحضهم ورفع راية الإسلام.

أقول: هذه مواقف الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في نهضتهم الخالدة، فماذا علينا بعد شهري الأحزان؟

إن هذين الشهرين يجب أن يكونا مدرسة في تعلم كل القيم الخيرة التي

يجب أن يتحلى بها الإنسان المؤمن، والتي يستمدها ممن جسد الإسلام بنفسه، من الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

لذلك فبعد هذين الشهرين لابد أن نعمل على إحياء مبادئ الإمام الحسين عليه السلام حق الإحياء، وهي مبادئ الإسلام المحمدي، لذا لابد أن يعمل الإنسان في ما بعد الشهرين على تأصيل الالتزام الديني، والانضباط الخلقي، والسلوك الرباني، والاندفاع الداخلي نحو الله تعالى، وهذا ما كان يعمل على تدريب نفسه عليه في هذين الشهرين، فإننا إذا أردنا أن نكون حسينيين لا بد أن نعيش مع الإمام الحسين عليه السلام في كل موقف من مواقفه، والتي لم يرد منها الإمام الحسين عليه السلام إلا وجه الله تعالى؛ وبالتالي لا بد أن نحيي الحسين عليه السلام بمواقفه كما أحياها هو بنفسه، في أن نتبعه اتباع الإسلام، ونحبه بحبه، ونحييه بتفعيله وتطبيقه، فقد قال الإمام السجاد عليه السلام: (أحبونا حب الإسلام)[٥]، هذا الحب الموصل إلى الجنان، عن أبي عبيدة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : من أحبنا فهو منا أهل البيت قلت : جعلت فداك منكم ؟ قال: منا والله ، أما سمعت قول إبراهيم عليه السلام: (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)[٦].

فهذا ما يريده منا الحسين عليه السلام، الاتباع الموصل إلى طريق النجاة، وبعبارة أخرى الاتباع الإلهي.

وتأسيسًا على ما تقدم لابد لهذين الشهرين أن يصبحا شهري إعداد وتهيئة لما بعدهما؛ إعداد لبرنامج إسلامي لكل فرد يسير على ضوئه في خط التكامل نحو الله، وأن يكدح في هذا الخط، فهو خط ليس سهلًا، بل هو خط صعب عسير في أن يحاول التكامل، التكامل المعرفي لله وفي الله وإلى الله، في أن يحاول معرفة الله تعالى معرفة تجعله يرى الله في كل شيء، وحين يعيش معية الله معه لا يرتكب المعاصي، ولا يذهب حيث منعه الله، بل يتواجد في محال طاعة الله، وحينئذ يتحلى بالتقوى، والتي هي كما فسرها المعصوم: (أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك)[٧]، وبالتالي يعمل بوصية الإمام الحسين عليه السلام حين يخرج وينادي بالناس: (أوصيكم بتقوى الله، فإن الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه، فإن الله تبارك وتعالى لا يخدع عن جنته، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله)[٨].

وإذا عمل بهذا يكون إنسانًا ربانيًا بمفهوم حسيني أولًا، وهو غاية كل مؤمن أن ينسب إلى الله تعالى عن طريق الحسين عليه السلام، وثانيًا: يضمن سعادة الدنيا والآخرة، وهاتان ضمانتان يستمدهما من رحاب عاشوراء؛ إذن لا بد على الموالي أن يتخذ من هذين الشهرين دورةً لتهذيب النفس وإرشادها نحو الخط القويم.

وأضيف أنه إذا أحس بمعية الله تعالى معه عبر التقوى المتحصلة عنده، فحينئذ لا يخاف شيئًا ولا يخشى، بل يستمد قوته وعزمه وإرادته من الله تعالى، وحينئذ يصرخ بوجه الظالم والفاسد رافضًا ظلمه وفساده، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام وثار بوجه الظلم والفساد، وحينئذ يحاول تصحيح مسير كل خارج عن المسير، فيكون المؤمن القوي الذي يستطيع تغيير المنكر بيده، فيطبق قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم

يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[٩].

ومن هنا لا بد للحسيني على طول السنة أن يكون عاملًا لإحياء أمر الإسلام بما أحياه أهل الإسلام، فيطبق قولهم عليهم السلام: (رحم الله من أحيا أمرنا) بمفهومه الصحيح الذي فسره الإمام الرضا عليه السلام حين سأله السائل: (وكيف يحيى أمركم؟) فأجابه عليه السلام: (يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[١٠].

فإن كلمات أهل البيت عليهم السلام مدارس نور ورحمة وإشعاع، ومحال بركة، ولذا كانوا عليهم السلام يؤكدون عليها دائمًا، يقول الإمام الصادق عليه السلام: (رَحِمَ اللّه عَبْداً حَبَّبَنَا إِلَى النَّاسِ ولَمْ يُبَغِّضْنَا إِلَيْهِمْ أَمَا واللّه لَوْ يَرْوُونَ مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَكَانُوا به أَعَزَّ ومَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ ولَكِنْ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَحُطُّ إِلَيْهَا عَشْرًا)[١١].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (يا جابر إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[١٢].

وعنه عليه السلام أنه قال: (لو أنا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكنا حدثنا ببيِّنة من ربنا بيَّنها لنبيه فبيَّنها لنا)[١٣].

وبالتالي فإن نشر أحاديثهم هي إحياء لأمرهم، وهذه الأنوار الإلهية التي نسمعها ونقرأها دائمًا، ولكنها تكثر في كل يوم من أيام هذين الشهرين (المحرم وصفر)، هي تذكير بالله، وإحياء لهم، وإحياء للإسلام بصورته الصحيحة غير المزيفة بعد أن عمل الظالمون على تزييف صورة الإسلام بنشر الأباطيل والأكاذيب والخرافات؛ ولذا لا بد بعد انتهاء هذين الشهرين لابد أن نخرج بتحصيل معرفي من علوم آل محمد صلى الله عليه وآله والتي استمعناها ووعيناها، فنبلغها من لم يسمعها، ونحاول أن نعمل على توعية من لم يعها وعيًا كاملًا صحيحًا، تطبيقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (نَضَّرَ اللّه عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وحَفِظَهَا وبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيه ورُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَه مِنْه)[١٤].

هذه بعض القضايا المهمة التي لا بد أن نركزها في أذهاننا ونعمل على تفعيلها، والمقام لا يسع الإطالة؛ وإلا فهذان الشهران هما مدرسة إسلامية كاملة.

وإذا كان لا بد من كلمة ننهي بها المقام فأقول:

إذا أردنا أن نكون حسينيين حقًا فلابد أن نعمل كل عمل يقربنا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلى أهل بيته عليهم السلام؛ وأن نعيش مع الله كل لحظة من حياتنا، فهكذا عاش الإمام الحسين، عاش لله وفي الله وإلى الله، إلى أن قدّم نفسه فداء دين الله تعالى، وأصبح قربانًا لذاك الدين، (اللهم تقبل منا هذا القربان).

نسأل الله أن يجعلنا (حسينيين) قولًا وفعلًا، وأن لا يخرجنا من هذه الدنيا إلا ونحن سائرون على خط الإمام الحسين عليه السلام، مستشهدون بين يدي حفيده الإمام الحجة بن الحسن المهدي (عج).

---

١) الكافي: ٣١٠/٩.
٢) الخوارزميّ، مقتل الحسين ×: ٢٧٣/١.
٣) الأمالي للصدوق: ٢٢٩.
٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ٧٦/٢.
٥) روضة الواعظين: ١٩٧.
٦) تفسير العياشي/ج٢ ص٢٣١.
٧) وسائل الشيعة: ١٨٩/١١.

٨) تحف العقول: ٢٤٠.
٩) القواعد والفوائد/ الشهيد الأول/ج٢ص٢٠٣ـ مسند أحمد: ٢٠/٣.
١٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٧٥/١.
١١) الكافي: ٢٢٩/٨.
١٢) بصائر الدرجات: ٣١٩.
١٣) المصدر نفسه.
١٤) الكافي: ٤٠٣/١.

نوادر في البيان والبلاغة والفصاحة

*دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير: أقرَّ اللهُ عينك وفرحك بما آتاك، وأتم سعدك، لقد حكمت فقسطت، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟، فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم. فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقالوا: ما نراها قالت إلّا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أمّا قولها أقر الله عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: وفرحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) (الأنعام:٤٤) وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تَمَّ أمرٌ بَدا نقصُهُ تَرقَّبْ زوالًا إذا قِيلَ تَمْ

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: **(وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)** (الجن: ١٥)، فتعجبوا من ذلك.

(المستطرف في كل فن مستظرف/ الأبشيهي/ ج١ ص٨٧)

تداعيات المتلقي من بيان كلام الإمام الحسين عليه السلام

م.م فرقان الدباغ
كلية التربية الأساس/ جامعة الكوفة

ينابيع لا يمكن لأي باحث أن يستعرض مساحة كلام الإمام الحسين عليه السلام بأكملها، ولا يمكن لأي قارئ متطور أن يقرأ كلام الإمام الحسين عليه السلام من دون أن يتوقف مرات ومرات أمام البيان الساطع للبنى البلاغية والفكرية والثقافية في المتن اللغوي للخطاب؛ لأنَّ كلامَ الإمام الحسين عليه السلام حافلٌ بفنية القول؛ ولأنَّ الخطاب الحسيني يكتنز أكبر قدر ممكن من الطاقات الدلالية التي يندغم فيها الجانب الشكلي مع الجانب المضموني، الأمر الذي لم يجعل هذا الخطاب مجرد هيكلية بنائية مفرغة من أي قصد سوى التأطير. فقد (شغل الحديث الفني المرتبة العليا في أدب الإمام عليه السلام من حيث الكيفية الفنية في التعبير)[1].

وهنا نحاول الغوص في قاع كلام الإمام الحسين عليه السلام بصفته واقعة أدبية وثقافية لها نسقها البلاغي الخاص سعياً إلى وصف وتحليل تلك الواقعة للخلوص إلى التشخيص والفهم، وذلك من خلال التناول التحليلي لأقطاب البيان الرئيسة كي نستطيع أن نضيف إلى فهم الخطاب الحسيني الكثيرَ مما هو مُجْد وفاعل بشكلٍ لا نستطيع أن نحققه بالوقوف الدائم عند الوصف السطحي المجرَّد والأحكام العائمة المفتقرة إلى برهان الخطاب والتجربة الكلامية المتحققة، وبشكلٍ يجعل الطموح إلى الأفضل مُسوّغاً. كاشفين عن دقائق مكنونة في باطن الخطاب ـ بنيته العميقة ـ بلا تحيز لباني الخطاب، أو تجنٍّ عليه، انطلاقاً من مبدأ إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه بلا زيادة أو نقصان، باعتبار ذلك مطمحاً علمياً تسعى إليه الحركة العلمية في العالم بخطواتٍ دؤوبة، ونسأل اللّه التسديد والتأييد لتحقيق هذا الهدف.

لكلمات الإمام الحسين عليه السلام البيانية طاقاتٌ إيحائية خالدة بخلود الدين الإسلامي، ينشدُّ لها ذهن المتلقي حتى تورِّث عنده تداعيات، والتداعيات تعود في أصلها اللغوي إلى الفعل (تداعى) يُقال: (تَداعَى الكثيب من الرمل إذا هِيلَ فانْهالَ.

وفي الحديث: كَمَثَل الجَسدَ إذا اشْتَكَى بعضهُ تَداعَى سائرهُ بالسَّهَر والحُمَّى كأن بعضه دعا بعضاً... ، وتَداعَى عليه العدوّ من كل جانب: أَقْبَلَ ... وتَداعَت القبائلُ على بني فلان إذا تألَّبوا ودعا بعضهم بعضاً إلى التَّناصُر عليهم . وفي الحديث: تداعتْ عليكم الأمم أي اجتمعوا ودعا بعضهم بعضًا ...)[٢]، نفهم من ذلك أن التداعي هو الآثار المترتبة من شيء ما أو حدث ما، أو اللاحقة له، أو التابعة له، أما في اصطلاح النقد الأدبي الحديث هي الخواطر التي تردُ ذهن المتلقي، والناتجة من إيحاءات الخطاب سواء أكانت تلك الخواطر حسية أم تجريدية، أي ما يستحضره المتلقي في خياله جراء مواجهة الخطاب الأدبي الموحي. فمؤلف اللغة الأدبية يبثُّ ببلاغة البيان دوافعَه الفكرية وهواجسَه النفسية؛ إذ لا يقتصر على تقاليد فنية يطيعها.

والتداعي لا يقتصر على توارد الخواطر أو الأفكار بل حتى توارد الكلمات (ويعد تداعي الكلمات وسيلة مهمة للتعرف على قوى الترابط بين الكلمات، إذ إن هناك تجاذب أو تنافر فيما بينها، بمعنى آخر أن ورود إحداها على اللسان ينبئ بظهور قرينتها من بعدها، فإذا سمع على سبيل المثال شخصًا يقول (آناء الليل) فإن احتمال سماعه يضيف (أطراف النهار) ترد بشكل أكبر كونهما عبارتين متلازمتين)[٣]، و هكذا.

ولسنا هنا بصدد الوقوف طويلاً عند إشكالية مصطلح التداعيات أو مناقشته، بل بصدد رؤية تجلياته في كلام الإمام الحسين عليه السلام.

١) تداعيات المتلقي من التشبيه:

في يوم ما (قال رجل: إن المعروف إذا أُسدي إلى غير أهله ضاع. فقال عليه السلام: ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعةُ مثلَ وابلِ المطر، تصيب البَرَّ و الفاجرَ)[٤].

أخرج الإمام ما لا تقع عليه الحاسة - فعل المعروف مع غير أهله -إلى ما تقع عليه الحاسة - وابل المطر - معنوي حسي.

والحديث يتطلب نوعاً من التأمل والتفكر لأنه حديث حكمة مطعمة بفنية التشبيه البلاغية، وهو يحمل قدراً من الضبابية الشفافة؛ لأنه حديثٌ فنيٌّ، وفي الحديث الفني لا بد أن يعيش المتلقي تجربة الخطاب كي يميط اللثام عن الدلالة التي تحقق الإمتاع الدلالي والجمالي.

في حقيقة الأمر، إن أول ما يتداعى في ذهن المتلقي عند سماعه قول الرجل البيتُ الشعري المشهور لزهير بن أبي سلمى[٥]:

ومن يجعل المعروفَ في غير أهله
يكن حمدُهُ ذماً عليه ويندم

والإمام الحسين عليه السلام دَحَرَ البنيةَ المضمونية لهذا الخطاب الشعري بتشبيه (صنع المعروف مع غير أهله مثل وابل المطر).

يتداعى في ذهن المتلقي من ذلك أن صنع المعروف في غير محله لا يَضيعُ؛ لأن الإنسان الذي يصنع المعروف في غير محله يُثاب من الله تعالى ثواب الصلاح في الأرض، أي ثواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والتشابه الحاصل بين فعل المعروف في غير أهله ووابل المطر - رمز العطاء والخير والرزق - يوحي إلى علو منزلة فعل المعروف في غير محله وعظم منزلة الجهة الصادر منها الفعل،

فهي تماثل منزلة السماء مصدر اليُمْن والبركة (المطر) التي تغدق الماء الذي هو مصدر الحياة على صالح الأرض وطالحها، قال تعالى: (**وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ أفلا يؤمنون**) (الأنبياء:٣٠)، وقال جلّ شأنه: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**) (فصلت:٣٩). فكأن الإمام أراد أن يقول: إن صنعَ المعروفِ في غير أهله يُصْلِحُ الذي لا يجازي المعروف بالمِثْل، كالمطر الذي يحيي الأرض بعد موتها.

نفهم من ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام يؤيدُ فكرة صنع المعروف في غير أهله كونها تُعمِّمُ الخيرَ في الأرض. وبذلك يدحض الإمام رؤية الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى.

٢) تداعيات المتلقي من الاستعارة:

يقول الإمام عليه السلام في دعوة الناس إلى الجهاد والمسير إلى صفين مع أبيه عليه السلام: (ألا إنَّ الحربَ شرُّها ذريعٌ، وطعمُها فظيعٌ، فَمَنْ أخذَ لها أهبَتَها، واستعدَّ لها عُدَّتَها، ولم يألم كلومَها قبل حُلُولِها، فذاك صاحبُها)[٦].

استعار الإمام الطعم إلى واقع الحرب أو مُخَلَّفَاتها. وهذه استعارة تستحق الحسبان؛ لأن حقيقة الطعم تكمن في المأكل والمشرب لا في الحرب. وقد خرج الكلام مخرج الإخبار بالآثار المترتبة نفسيًا وإنسانيًا ... من الحرب.

فكأن الإمام لما استعار الطعم للحرب أراد أن يُشْعِرَ المتلقيَ بمرارتها كما يَشْعُرُ الذائقُ بمرارةَ الطعام وبنكهته.

والخطاب هنا يَكشف عن شخصية بانيه، بأنها عارفة بزمام الحرب وشاهدة على نوازل الزمان التي لا تعرفها إلّا النفس المتجرِّعة للهمِّ الكثيرِ والنفس المعبأة بالأمل والتضحية.

٣) تداعيات المتلقي من الكناية:

قال الإمام الحسين عليه السلام في أمر الإمام المهدي المنتظر (عجّل اللّه له ظهوره وسهّل له حضوره): (إذا خَرَجَ الْمَهْدِيُّ عليه السلام، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرَبِ وَقُرَيْش إلاّ السَّيْفُ ...)[٧].

يتداعى في ذهن المتلقي من هذه الكناية عداء العرب ودورهم في الاعتراض على قدوم الإمام الحجة المنتظر (عج)، ويتداعى في ذهن المتلقي أيضًا المناخ الواقعي لظهور الإمام المهدي (عج).

و(السيف) هنا لا يملك إلّا مؤشرًا على المجابهة التي يخوضها الطرفان. وأداة الاستثناء (إلّا) تقطع الطريق أمام أي احتمال بدل قاعدة السيف، فكأن الاستثناء هنا أفاد القطع أو الجزم بالخبر.

وقد جاء السياق التعبيري للكناية بصيغة الجملة الفعلية (لم يكن + خبرها المقدم + اسمها المؤخر) دون توظيف صياغة الجملة الاسمية؛ لأن الصيغة الفعلية تدل على الحركة والتغير والتجدد وهذا ما يتناسب مع حدث ظهور الإمام المهدي (عج) فجاءت الصيغة الفعلية مُتآزرةً مع حراك حدث الظهور، أما الصيغة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار[٨]، فالإمام المهدي لم يظهر بعد؛ أي أن الإخبار هنا دال على الحدوث مستقبلًا لا الثبوت؛ فالأمر لم يتم ولم يحصل بعد. فالإمام الحسين عليه السلام وظف الجملة في مكانها اللائق بها. وهذا الأسلوب التعبيري يؤشر على أن الإمام الحسين عليه السلام يستعمل بنية الكلمة في غاية الدقة والقصدية.

وإلى هنا نمسك بعنان القلم، ونحسب

أننا قد أوقفنا القارئ الكريم على النزر من جماليات الخطاب الحسيني، وما أكثر جمالياته، ولكن أكثر الناس لا يعرفون، ولو أنهم آمنوا بحقه واتقوا مخالفته لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن جحدوا وكذبوا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

وفي الختام نقول:

* إن مقدرة الإمام الحسين عليه السلام البيانية غنية بوسائل الإبلاغ التي يعمد إليها من دون إجهاد عقلي، ويقصد إليها قصدًا من أجل التفصيل والتقرير، فتجري التشبيهات والاستعارات والكنايات وكأنها من وحي الطبع والسليقة، ومن مقتضيات المفاهيم التي تختلج في الصدر والتي تقننها عقيدة قوية، كل ذلك صُبَّ في لغة مشحونة بالإيحاء.

* إن الإمام استعمل فنون البيان من أجل إحداث الجمال القولي إلى جانب الاتصال بالمتلقي في آنٍ واحد، ولو كانت غاية الإمام الاتصال دون الجمال لكانت اللغة مكشوفة غايتها الإعلام؛ لذلك لم يكتفِ الإمام بأن يعرض كلامه بشكل تقريري مباشر وإنما أرسله على سبيل المجاز ليزيد كلامه ألقًا وإشراقًا، وهذه من بصمات الجمال.

---

١) أدب الإمام الحسين عليه السلام – قضاياه الفنية والموضوعية: لـ(موسى خابط عبود)، رسالة ماجستير ، جامعة بابل /كلية التربية ، ٢٠٠٨م: ٦٤.

٢) لسان العرب: لـ (ابن منظور): ٢٤٦/ ٨. مادة (دعا).

٣) تداعي الكلمات واكتساب القواعد النحوية في اللغة العربية لدى أطفال العراق: لـ (رنا زهير فاضل العزاوي)، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد /كلية التربية، ٢٠٠٤م : ٤.

٤) لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام: لـ (سماحة آية الله السيد مصطفى الموسوي الاعتماد)، تح: (محمد حسين اعتماد الموسوي)، (د. ت): ١٣١.

٥) ديوان زهير بن أبي سلمى: شرحه وقدَّم له: (الأستاذ علي فاعور): ١١١. وللمزيد من الاطلاع المعرفي في معنى البيت ينظر: شرح المعلقات السبع: لـ (لزوزني): ٨٨.

٦) (ذريع: سريع، فظيع: شديد وشنيع يجاوز الحد أو المقدار). ينظر: مختار الصحاح: لـ(محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي): ٢٢١، ٥٠٧. مادة (ذرع) و(فظع).

٧) لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام: ١٧.

٨) لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام: ١٥٨.

٩) هناك فرق بين قولك (هو يتعلم وهو متعلم. و(يتعلم) يدل على الحدوث والتجدد أي هو آخذ في سبيل التعلم بخلاف (متعلم) فإنه يدل على أن الأمر تم وثبت). التعبير القرآني: لـ (د. فاضل صالح السامرائي): ٢٣ – ٢٤.

أجوبة مسابقة العدد (٧٦)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: أ ـ عرفة.

السـؤال الثاني: ب ـ ثلاثة رجال.

السـؤال الثالث: ب ـ ضربة عمرو بن عبد ود يوم الأحزاب.

السـؤال الرابع: ب- ابن الأقساسي .

السؤال الخامس: ج ـ ستة أشخاص.

السؤال السادس: ج ـ زيد.

السـؤال السابع: ج ـ الحيرة.

السـؤال الثامن: ج ـ مسجد الفتح.

السـؤال التاسع: ب ـ سعد بن معاذ.

الفائز بالجائزة الأولى: سعد ناجح محمد / كربلاء/ الهندية.

الفائـز بالجائـزة الثانيـة: مهنـد سـليم صالـح / بغداد/ البيـاع.

الفائز بالجائزة الثالثة: إيمان حسين جعاز/ بغداد/ مدينة الصدر.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٧٨)

١ يهلك فيك رجلان: محب مفرط وكذاب مفترٍ، تفترق فيك أمتي كما افترقت بنو إسرائيل في ....)، قول لرسول الله ﷺ وجهه للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مبينا موقف المسلمين معه عليه السلام بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ، فبمن شبهه من الأنبياء؟

أ- موسى ب-هارون ج-عيسى

٢ من النساء العارفات المسلمات، كانت قريبة من البيت النبوي وقد قالت لخديجة بنت خويلد (رض) قبيل وفاتها حينما بكت لعدم حضورها في زواج فاطمة عليها السلام:(يا سيدتي لك علي عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر)، فمن هي؟

أ-أسماء بنت عميس ب-أم أيمن ج-ميمونة بنت الحارث

٣ قال الإمام الصادق عليه السلام لأبان بن تغلب:(يأتي زمان على الناس يصيبهم فيه سبطة يأرز العلم فيها، فقال أبان: وما السبطة؟، فبينها الإمام عليه السلام له، فبماذا بينها عليه السلام ؟

أ- الفرقة والتباعد ب- الفترة والغيبة ج- المخالفة والمغايرة

٤ نقل أبو محمد الحسن بن أحمد المُكتّب نص التوقيع الصادر عن الناحية المقدسة بما يتعلق بوفاة آخر سفير من سفراء الغيبة الصغرى (علي بن محمد السمري) عندما حضر عند السمري قبل وفاته بأيام، فأين كانت وفاة السمري؟

أ- دار السلام(بغداد) ب- سامراء ج- تل عكبرا

كوبون المسابقة

ينابيع

٧٨

الاسم الثلاثي: العنوان:

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠,٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥,٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠,٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ جمادى الثانية/ ١٤٣٩هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ سنة العلماء وهي السنة التي مات فيها جهابذة العلماء: اولهم الأمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وفيها قتل سعيد بن جبير (رض)، فأي سنة كانت؟

أ- ٩٦هـ ب- ٩٥هـ ج- ٩٤هـ

٦ لما كانت الليلة التي ولد بها النبي صلى الله عليه وآله ظهرت جملة من المعاجز منها غور بحيرة ساوة وانطفاء نار الفرس وسقوط شرفات من طاق كسرى، فكم شرفة سقطت من الطاق؟

أ- أربع عشرة شرفة ب- ثلاث عشرة شرفة ج- اثنا عشرة شرفة

٧ أما الحرام فالمات دونه ... والحل لا حل فأستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه ... فكيف بالأمر الذي تبغينه

أبيات تمثل بها أحد أولاد عبد المطلب (جد النبي) عندما عرضت امرأة من بني خثعم نفسها عليه، فمن هو؟

أ- أبو طالب ب- عبد الله ج- الحارث

٨ من علمائنا الأعلام، توفي سنة ٣٢٩هـ، عاصر الكليني وهو أول من ابتكر طرح الأسانيد وجمع بين النظائر واتى بالخبر مع قرينه في رسالته لابنه، فمن هو؟

أ- علي بن الحسين بن بابويه
ب- علي بن الحسين المرتضى الموسوي
ج- محمد بن محمد الطوسي

٩ امتازت السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أم أمير المؤمنين عليه السلام بميزة خاصة عن باقي نساء بني هاشم، فما هي تلك الميزة؟

أ- أول هاشمية ولدت لهاشمي
ب- أول هاشمية تشرفت بخدمة النبي صلى الله عليه وآله
ج- أول هاشمية أسمها فاطمة

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500 | القمر: نايل سات

علماؤنا | صورة لتشييع جثمان آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره) المتوفى في ٢٧ ربيع الأول ١٣٩٠هـ